المعاجم العربية

دراسة تحليلية

الدكتور / عبد السميع محمد أحمد





المعاجم العربية

دراسة تحليلية

الدكتور

عبد السميع محمد أحمد

ملتزم الطبع والنشر

دار الفكر العربي

الادارة : ١١ شارع جواد حسني

ص ب : ١٣٠ ت : ٣٩٢٥٠٢٣

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

زخرت المكتبة العربية بطائفة قيمة من الكنوز ، حفظت الثروة اللغوية التى امتد عمرها نحو ستة عشر قرناً، إذا أخذنا فى التقدير ، القرون الأولى التى عثر للغة فيها على بواكير تامة النضج قوية التكوين ، ممايدعم الحكم بأن هذه البواكير ، البالغة الذروة فى سلامة البيان وفصاحة التعبير ، وإحكام النسج ، يتحتم لبلوغها إياه أن تعبر قروناأخرى سابقة . وهذه الملاحظة كان يمكن أن تصل بنا إلى التعرف ، بطريقة أدق وأعمق ، على حلقة اتصال العربية بأمها ، وأم أخواتها الساميات ، لو أن حركة التدوين صحبتها منذ العصور المبكرة ، وأنى ذاك !

ولعل المعاجم العربية توضع فى المقدمة من هذه الكنوز ، وإنها لكذلك ، ولولا ماقامت به من حراسة ألفاظ وأساليب اللغة ، وصيانة ماضمته من تراث حضارى متشعب فروع المعرفة - لولا هذا لضاعت هذه الثروة التى نحرص عليها ، وعلى دراستها ، والتى يعكف العلماء على تيسير تفهمها ، والغوص عن دراريها .

والدراسة التى يقدمها هذا الكتاب تسهم فى هذا المجال ، وتضع بعض الصور على الطريق ،وتحاول أن تكشف الحجب التى تحول كثيراً ، تهيباً وخشية ، دون الانتفاع بمافيها من خير كثير .

والمعنيون باللغة والمتصدون لمزاولة فنونها لايستغنون عن الرجوع إلى المعاجم ، والتردد على صفحاتها ، وقد يرون في واحد منها قصوره عن الوفاء برغبتهم ، فيضجرون ، أويتوهمون عجز اللغة عن مسايرة مقتضيات العصر ومتطلبات الحضارة ، فيولون وجوههم وجهات تباعد بينهم وبين ماضيهم العريق .

ومن ثم تعالج هذه الدراسة التأريخ للمعاجم العربية المجنسة ، وتحاول أن تقدم بعضها بشيء من التحليل والدرس ، وتبسط الحديث عنها ، وتترجم لمناهجها ، وتيسر الانتفاع بها وارتيادها .

وعسى أن أقدم إن شاء الله في الكتاب الثاني دراسة لمعاجم الموضوعات توخياً لهذا الغرض ، وإسهاماً في المجال اللغوى الجدير بالعناية .

وماتوفيقى إلا بالله .

عبد السميع محمد أحمد

المتحدثون بالعربية :

يتحدث اللغة العربية اليوم ملايين من الناس ، ينتشرون فى هذه الأقاليم الواسعة الممتدة من المحيط الأطلسى إلى الخليج العربى ، تربطهم وشائج كثيرة أخرى غير اللغة ، من الجنس والدين والعادات والتقاليد والمشاعر والأحاسيس والآلام والآمال ، وملايين أخرى هاجرت من هذا الموطن الأول إلى حيث يطيب لها العيش وتدعوها الحياة ، يحتفظون فيما يحتفظون به بهذه اللغة العريقة ، لغة القرآن الكريم .

وقد قدر للغة العربية فوق ماقدر لأخواتها الساميات ، من الكنعانية القديمة ، والفينيقية ، والآرامية وفروعها كالمندعية والسوريانية ، وكالعربية الجنوبية ، والحبشية القديمة ،وكالمصرية القديمة فى رأى كثير من علماء اللغات ، قدر لها أن تبقى هذا العصر الطويل مصونة محتفظة بمقوماتها الأولى ، وإن كانت قد خضعت لظروف التطور الذى دفع جميع مظاهر الحياة إلى مصيرها المقسوم .

وكان العامل الأول فى احتفاظها بكيانها أنها لغة القرآن الكريم الذى قدر الله له الخلود وضمن له الصون : « إنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِكْرَ وإنَّا له لَحَافظونَ [1] » ، ثم هى لغة الرسول الكريم الذى نشر هذا الدين وأذاعه فى قوم لغتهم العربية ، وتولى هؤلاء تبليغ الأمانة من بعده ، ثم قيام المسلمين منذ العصور الإسلامية الأولى بدراسة القرآن الكريم وحديث رسول الله واستنباط الأحكام الدينية ، والاستعانة على هذه الدراسة بفقه اللغة نفسها وفهمها ، مادعا إلى تعدد مناحى البحث واتساع آفاقه .

ولقد تأخرت الدراسات اللغوية العربية إلى مابعد ظهور الإسلام ، ولم يتح للعرب قبله أن ينشئوا بحوثاً أو يبتكروا دراسات ؛ لعوامل ، فى مقدمتها تلك الجهالة الجهلاء والأمية التى كانت تغطى الجزيرة العربية بظلمات كثيفة حرمتها العلم ، وباعدت بينها وبين ماكان ينبغى . ولو أنه قد أتيح لكثير من العرب فى عصر ماقبل الإســـــلام أن

---

(1) سورة الحجر : آية ٩ .

يكتبوا ، أو يسجلوا آثارهم ومعارفهم بضرب من ضروب التسجيل ، لوقف العالم على تاريخ شعب عريق ولأحاط بظروف الحياة التى كان يحياها فى هذه المنطقة الفسيحة من الأرض . وهذا هو أبو عمرو بن العلاء (ت ١٥٤ هـ) يقول : « ماانتهى إليكم ماقالت العرب إلا أقله ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير [١] » . ويقول البلاذرى (ت ٢٧٩ هـ) فى فتوح البلدان : « دخل الإسلام وفى قريش سبعة عشر رجلا كلهم يكتب [٢]» . ويحصر المؤرخون أسماء الكاتبين بالمدينة عند دخول الإسلام فلايتجاوزون أحد عشر رجلا [٣] . ولاشك أن هذا العدد البالغ الضآلة لايسمح بانصراف إلى استنباط علم أو تخليد أثر ، فضلا على نشر المعرفة بين الناس وبث نتاج العقل والفكر .

وقد حرص الإسلام على أن يحبب العرب فى العلم وأن يأخذ بأيديهم إلى حيث ينبغى للإنسان ، فكان أول مانزل من القرآن الكريم الدعوة إلى القراءة والتماس وسائلها بما خاطب به الرسول الكريم الأمىُّ حين قال :« اقرأْ باسم ربّك الّذى خلق * خَلقَ الإنْسانَ منْ علَق * اقْرأْ وربُّكَ الأكْرَمُ * الذى علَّم بالقلم * علَّم الإنسانَ مَالم يَعلمْ * »[٤] . ودعا إلَى أن يتخصص جماعة من المسلمين للعلم ، يفرغون له ، ثم يخلون إلى الناس يبصرونهم ويفقهونهم : « فَلولاَ نَفرَ منْ كلِّ فرقة منهُمْ طَائفة ليتفقهوا فى الدين ولينْذروا قومهم إذا رَجعُوا إلَيهمْ [٥] » . ومن ثم وضع الرسول (صلى الله عليه وسلم) الدعوة إلى التعليم فى صدر مايعنى به ، وقبل من الأسرى أن يفتدوا أنفسهم بتعليم الصغار من أبناء المسلمين .

ولئن افتقد عرب الجاهلية الكتابة ، وسيلة من وسائل نقل التراث اللغوى والذخيرة العقلية ، وحفظ مايحرص الناس على حفظه من تاريخ الأمة وتسجيل آثار ماضيها ،

---

(١) ابن سلام : طبقات الشعراء : ص ٢٢ ، ٢٣ .

(٢) فتوح البلدان : ص ٤٧١ .

(٣) إبراهيم أنيس : دلالة الألفاظ : ص ١٨٥ - ١٨٦ .

(٤) سورة العلق : آية ١ - ٥ .

(٥) سورة التوبة : آية ١٢٢ .

فقد عوضوا من ذلك بماكانوا يتمتعون به من ذكاء قلب، وحضور ذهن ، وتوقد بديهة ، ومن قدرتهم على الاحتفاظ ، فى صدورهم وذاكرتهم ، بمايودون له أن يبقى ويشيع .

ولكن النظر العلمى الدقيق ، والتجارب تؤيده ،لايثق فى الاعتماد على الذاكرة وحدها ، فى حفظ مانحرص على الاحتفاظ به بعيدا عن عوادى الضياع : فالنسيان وتوزع القلب بين أحداث الحياة ، واضطراب الناس فى مناحى الأرض يبتغون الرزق ، وتنقلهم فى جوانبها ، وحرب بعضهم بعضاً ، وسقوط كثير منهم صرعى دون الغاية ، واتصال الأمم بعضها ببعض ، واحتكاك أذهان أبنائها ، واتصال عقولهم ، كل أولئك وغيره ،لابد يدفع اللغة إلى التطور ، ويتيح لها أن تبدل من وسائلها ، وأن تضيف إلى ثروتها معانى وأفكاراً وأساليب وألفاظاً ، وأن تتخفف ممايثقلها من المعانى والأساليب والألفاظ ، ثم لايمضى غير يسير حتى تصير خلقاً آخر يقرب أو يبعد عن الخلق الأول . واللغة كائن حى نام ، يتمرد على القيود ، ولايأبه لمايفرض عليه من حدود ، وهو متطور دائما ، متجدد الحركة إلى ازدهار ونضرة إن وجد إليهما سبيلا ، وإلى غير ذلك إن ضل السبيل ولم يهتد إلى الغاية .

والوسيلة الأصيلة التى يرضاها العلم لتسجيل المظاهر اللغوية وحفظها حتى يتاح الوقوف على ماأنتج الإنسان فى الحياة - هى ماوفق إليه الإنسان نفسه ،من الكتابة ؛ لجأ إليها المصريون القدماء فنقشوا على معابدهم وقبورهم وآثارهم ماترجم عنهم ، وكذلك فعل الآشوريون فى بعض ماوصل إلينا ، وصنع غيرهم هذا الصنيع . ولكن العرب قبل الإسلام تخلفوا بعض الوقت عن الطريق ، ولم يقدر لنا أن نصل إلا إلى قدر قليل من الشعر والنثر مشكوك فى كثير منه .

وإنما بدأ العرب بالتدوين بعد الإسلام . وأول مادونوا القرآن الكريم ، بعد أن انتبهوا الى الخطر الجسيم الذى يمنى به الدين لو أنهم تأخروا عن تدوينه . ويروى المؤرخون أن وقعة « اليمامة » (١٢ هـــ) التى استشهد فيها كثير من حفاظ القرآن الكريم على عهد أبى بكر (رضى الله عنه) ، كانت أعظم مالفت نظر عمر بن الخطاب ، ودعاه إلى أن يلح على أبى بكر أن يأمر بجمع القرآن ، وأبو بكر يمتنع عن أن يحدث أمراً لم يصنعه رسول الله . حتى إذا شرح الله صدره ، أمر زيد بن ثابت أن يتولى جمع القرآن ، فجمعه فى صحف ظلت لدى أبى بكر إلى أن اختاره الله سنة ثلاث عشرة من الهجرة ، ثم ظلت

عند خليفته عمر (رضى الله عنه) إلى أن توفى سنة ثلاث وعشرين من الهجرة، وبقيت من بعده عند حفصة ابنته زوج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حتى نسخ منها عثمان مصاحفه التى فرقها فى الأمصار [١] . وكان ذلك أول محاولة لتدوين اللغة .

والدافع الدينى الذى حمل المسلمين على جمع القرآن ، ثم على تدوينه فى مصاحف وبعثها فى الأمصار ، هو نفسه الذى لفت الأنظار إلى المصدر الهام الثانى من مصادر الدين الإسلامى ، وهو الحديث الشريف . والحذر الذى كاد يصد أبا بكر عن جمع القرآن وقف بعمر بن عبد العزيز (تولى سنة ٩٩ - ١٠١هـ) أربعين ليلة يستخير الله قبل أن يأذن لأبى بكر محمد بن عمر بن حزم فى تدوين الحديث فى كتاب بعث به إلى الأمصار .

ولئن كان كتاب الوحى على عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قد دونوا آيات الكتاب الكريم ، بأمر من الرسول فى بعض الرقاع والعسب [٢] واللخاف [٣] ، فإن حديث رسول الله لم يظفر بهذا الذى ظفر به القرآن . فقد وجدت أحاديث تنهى عن تدوين الحديث ، منها مارواه مسلم فى صحيحه عن أبى سعيد الخدرى أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لاتكتبوا عنى ومن كتب عنى غير القرآن فليمحه ، وحدثوا عنى فلاحرج ، ومن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» وروى البخارى عن ابن عباس ، قال : « لما اشتد بالنبى صلى الله عليه وسلم وجعه قال : ائتونى بكتاب أكتب لكم كتابا لاتضلوا بعده . قال عمر : إن النبى صلى الله عليه وسلم غلبه الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا » .

ويمكن التوفيق بين هذه الأحاديث ، وماورد من أن بعض الناس كان يدون الأحاديث على عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأن الرسول نفسه كان يسمح بذلك فى

---

(١) يروى المؤرخون أن زيد بن ثابت ومن كان معه نسخوا ستة مصاحف بعث بها عثمان إلى الكوفة ، والبصرة ، ودمشق ، ومكة ، والمدينة ؛ وأبقى لنفسه مصحفا دعى المصحف الإمام - الشيخ محمد الخضرى : تاريخ التشريع الإسلامى : ٨٣ .

(٢) جمع عسيب : جريدة النخل يكشط خوصها ، أو لم ينبت عليها خوص .

(٣) اللخاف جمع لخفة كصحفة : وهى الحجارة الرقيقة البيضاء .

بعض الظروف . ومن ذلك مارواه البخارى عن أبى هريرة أن خزاعة قتلوا رجلا من بنى ليث عام فتح مكة بقتيل منهم قتلوه فأخبر بذلك النبى (صلى الله عليه وسلم) ، فركب راحلته ، فخطب وقال : إن الله حبس عن مكة القتل [1] ، وسلط عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون ، وإنها لم تحلّ لأحد قبلى ، ولم تحلّ لأحد بعدى ، ألا وإنها أحلت لى ساعة من نهار ، وإنها ساعتى هذه حرام ، لايختلى [2] شوكها ، ولايعضد شجرها ، ولاتلتقط ساقطتها إلا لمنشد [3] . فمن قتل له قتيل فهو بخير النظرين ، إما أن يعقل ، وإما أن يقاد أهل القتيل .فجاء رجل من أهل اليمن ، فقال : اكتب لى يارسول الله (يريد أن يكتب له الخطبة التى سمعها منه) ؛ فقال (صلى الله عليه وسلم) : « اكتبوا لأبى فلان » وكذلك ماروى عن عبدالله بن عمرو بن العاص من أنه كان يكتب كل ماسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ،فقد روى عن مجاهد ، قال : رأيت عندعبدالله بن عمرو (يعنى ابن العاص) صحيفة ، فقال : هذه الصادقة ، فيها ماسمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليس بينى وبينه فيها أحد ؛ وكذلك ماروى من أن عبدالله بن عمرو بن العاص قدم مصر فى عهد أبيه ، وعلم بها ، وتفقه عليه كثير من أهل مصر [4] .

وفى الحق كان ظهور الإسلام منشطا للذهن العربى ، باعثا له من عقاله ، موجداً له المجال العلمى الفسيح . وتتحدث كتب التاريخ أن عمرو بن العاص أشار على معاوية بن أبى سفيان ، حين تطلع إلى الإحاطة بسير الأقدمين والتعرف على أخبار ملوكهم ، باستدعاء عبيد بن شرية الجرهمى [5] (ت ٧٠هـ) وسؤاله عن أخبار المتقدمين ، فاستدعاه واتخذه سميراً له ، وأمر كتابه بتدوين أحاديثه ، وقد دونت فى كتاب [6] .

وحدث مثل هذا فى نواحى أخرى من فروع العلم ، فيقال إن زياد بن أبيه ألف كتابا .

---

(١) شك البخارى فى أنها القتل أو الفيل .

(٢) أى لايقطع . (٣) من يعرف بها . (٤) فجر الإسلام : ١ / ٢٥٦ .

(٥) عبيد بن سرية ، ويقال ابن سارية ، ويقال ابن شرية .معجم الأدباء : ١٢ / ٧٢ .

(٦) ابن النديم : الفهرست ص ١٣٨ . وقد طبع فى حيدر أباد بالهند الجزء الذى وجد منه باسم : « أخبار عبيد بن شرية الجرهمى فى أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها على الوفاء والكمال » .

في مثالب العرب [1] ، وأن لابن عباس مدونات استقى منها من بعده من المؤرخين[2] ، وإن عروة بن الزبير (ت ٩٣ هـ) أحرق بعض كتب ألفها في الفقه يوم الحرة [3] ، وإن كتابا في الطب ترجم على عهد عمر بن عبد العزيز ، وإن حماد بن ميسرة بن مبارك الكوفي (٩٥ - ١٥٠ = ٧١٣ - ٧٦٧ م) المعروف بالراوية جمع القصائد السبع .

وعندما قبل مبدأ التدوين وجدنا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ينشيء أول ديوان للجند يقيد أسماءهم وأعطياتهم [4]،ووجدنا كذلك حرص بعض القضاة المصريين على تدوين أحكامهم التي يصدرونها وأسباب حكمهم ليرجع إليها من يشاء ممن يجيء بعدهم .

ولكن هذا كله لايعد إلا مقدمات لعصر التدوين الذي تعد سنة ١٤٣ هجرية مبدأ نهضته : ففي هذه السنة حج أبو جعفر المنصور (١٠١ - ١٥٨ هـ) ، والتقى في المدينة بالإمام مالك بن أنس ، وطلب إليه أن يكتب كتابا في الحديث ، فكتب له « الموطأ » في الفقه والحديث ، وعند رجوع الخليفة إلى بغداد أوعز بنفسه ، وبولاته ، إلى العلماء بتدوين الكتب في كل فن . وكان الميدان اللغوي أحد الميادين الخصيبة التي اتجهت إليها عناية اللغويين ، فتركوا لنا فيه ثروة لغوية ضخمة تذكر لهم بكل تقدير .

تدوين اللغة :

حظيت الدراسات اللغوية بعناية العلماء منذ عصر التدوين الأول ، دعا إلى ذلك ظروف النهضة الثقافية التي فتح آفاقها مجيء الإسلام واتساع فتوحه ، ودخول كثير من الأقطار في هذا الدين ، تنهل من مبادئه وتعاليمه وتتشوف إلى دراسة مصادره ومنابعه ؛ وتفرق كثير من المسلمين في هذه الأقطار بعوامل الفتح أو الهجرة أو التجارة، واتصالهم بأممها اتصالا يتيح تبادل المعارف ، ويسمح باحتكاك الأذهان ، ويدعو في كل حال إلى الرجوع إلى المصادر العربية الأصيلة ممثلة في القرآن الكريم وفي الحديث الشريف ، ومذخور العرب من شعر ونثر وحكمة ومثل ، ودراسات أتى بها الدين الجديد .

---

(١) ابن النديم : الفهرست ص ١٣٧ .

(٢) ابن سعد : الطبقات ٥ / ٢١٦ .

(٣) ابن حجر : تهذيب التهذيب ٧ / ١٨٣ .

(٤) ابن جرير الطبري : ٥ / ٢٢ .

وكان أول ماوجه العلماء من عناية إلى القرآن الكريم، فهو الذخيرة الخالدة، صان اللغة نقية صافية فى مفرداته وأساليبه، وكان أصفى مرآة لأرقى اللهجات العربية على الإطلاق، وهو منتهى الفصاحة ومنار البيان. وهو مع ذلك حافل بمايعد غامضا على كثيرين خاصة من دخلوا حديثا في الدين، أو اتصلوا بلغة العرب أيما اتصال. ومن ثم عني الصحابة ومن بعدهم بتفسير ألفاظه وشرح غريبه. وتسابق الرجال فى ذلك المضمار وأبدعوا وخلفوا ذخيرة طيبة تعد الباكورة الأولى فى حفظ الثروة اللغوية وتدوينها. وممن سبقوا فى هذا المجال عبد الله بن عباس (ت ٦٨ هـ)، فقد نسب إليه أول كتاب فى غريب القرآن[1] وأبو سعيد بن تغلب بن رباح البكرى (ت ١٤١ هـ)، وأبو فيد مؤرج السدوسى(ت١٩٥أو١٧٤هـ)وابن قتيبة[2](ت٢٧٦هـ)،وغيرهم كثير،حفلوا بهذا الكتاب المقدس، فرتب بعضهم ألفاظه ترتيبا أبجديا، وتطرقوا لمشتقاتها، ودرسوا استعاراته. وكذلك صنع آخرون في غريب الحديث ، فذكر ابن النديم أن أول من أسهم فى هذا اللون من الدراسات اللغوية أبو عدنان عبد الرحمن بن عبدالأعلى (المعاصر لأبى عبيدة معمر ابن المثنى – ت ٢١٠ هـ) وأبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ) وله كتابه المشهور: «غريب الحديث»، ويقال إنه مكث فى جمعه وإعداده وتفسير غريبه أربعين سنة[3]. وتتوالى جهود العلماء على مدى العصور : فتقرأ للزمخشرى (٤٦٧ - ٥٣٨ هـ) كتابه : « الفائق فى غريب الحديث » ، ولمجد الدين بن الأثير (ت ٦٠٦ هـ) مؤلفه: «النهاية فى غريب الحديث والأثر»، وعليه اعتمد كثير من اللغويين مؤلفى المعاجم .

ويلاحظ أن الاهتمام بغريب الحديث تأخر بعض الوقت عن العناية بغريب القرآن، لماسبقت الإشارة إليه من أن القرآن الكريم كان محفوظا متعبدا به قراءة وتلاوة، وفهما ودرسًا، وأن حرص المسلمين عليه مستمد من حرص المبعوث الأمين صلوات الله وسلامه عليه، إذ كان يدعو إلى حفظه وتدوينه، ثم من حرص صحابته من بعده، وأن العناية

(١) جورجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية : ١ / ٢٤٠ .

(٢) ابن النديم : الفهرست :ص٨٥ . ط . الاستقامة بالقاهرة .

(٣) بروكلمان : تاريخ آداب اللغة العربية ، ترجمة الدكتور عبدالحليم النجار : ٢ / ١٥٦ .

(٤) طبع فى حيدر آباد بالهند سنة ١٣٢٤هـ ثم فى مصر سنة ١٣٦٤ هـ (١٩٤٠) .

بالحديث الشريف، وهو المصدر الهام الثانى من مصادر التشريع الإسلامى، تأخرت بعض الوقت. ولم تكن ألفاظ الحديث الشريف متعبدا بتلاوتها وترداده، شأن القرآن الكريم، بل أباح بعض المسلمين لأنفسهم روايته بمعناه إن تعذر عليهم تذكر لفظه، ولم يقدر لحديث رسول الله أن يدون فى عهده تدويناً شاملا تاما كماقدر للقرآن،وكان تفرق الرواة فى أقطار الأرض مماجعل الحريصين على تدوينه وجمعه يلقون فى سبيل مهمتهم المزيد من العناء .

والعناية بغريب هذين المصدرين الهامين كانت المقدمة للعناية بسائر اللغة شعرا ونثرا ، وفى هذين الأخيرين ، وفى سائر الثروة اللغوية القديمة ، مالم يجمعه القرآن الكريم والحديث الشريف، بل إن هناك ثروة لغوية تحاشاها هذان المصدران الكريمان فكان لابد إذاً من جهود أخرى فى هذه السبيل .

ولعل اللغويين ، وقد وجدوا الغنى الفسيح فى الألفاظ اللغوية التى تدور حول موضوع واحد اتجهوا إلى هذه الناحية أول مااتجهوا لسهولة تأتيها ، وإمكان حصرها ، فجمعوا الألفاظ التى تتصل بالنبات والأشجار والكلأ. وبالإنسان وبالحيوان كالخيل والفرس ، وبالحشرات، وبالأماكن كالدارات ، كما كتبوا فى المعرب والدخيل والأعجمى وغير ذلك . وبرز هذا اللون من كتب اللغة ، خطوة تالية لخطوة المصنفات الخاصة بغريب القرآن والحديث. وحفظ لنا الزمن فيما حفظ ثروة قيمة بعضها اتخذ شكل الرسائل الصغيرة ، ككتاب المطر لأبى زيد سعيد بن أوس (ت ٢١٥ هـ) ، وكتب النخل والكروم والخيل والدارات - للأصمعى (١٢٣ - ٢١٦ هـ) وبعضها جمع ماسطره السابقون فى موضوعه ، وأضاف إليه ، ونسق كل ذلك تنسيقا منظما ، كماصنع أبو عبيد (ت ٢٢٤هـ) فى كتابه : « الغريب المصنف »، والهمذانى : (ت ٣٢٧ هـ) فى : « الألفاظ الكتابية » ، والثعالبى (ت ٤٢٩ هـ) فى : « فقه اللغة وسر العربية » ، وابن سيده (ت ٤٥٨ هـ) فى كتابه الجامع : « المخصص » .

غير أن هذا اللون من كتب اللغة لايغنى عن لون آخر كان لابد من التوصل إليه ، يشرح اللفظة ويجلو غامضها، ويعالج مشتقاتها حين ترد فى نص أدبى يتوقف فهمه على فهم مدلولها ، ولاتستطيع الكتب المشار إليها قبلُ الإرشاد إليه ، إذ أنها تسير فى طريق مقابل ، تفترض معرفة الموضوع والمعنى ثم ترشد إلى اللفظ . وقاد الخليل بن أحمد (١٠٠ - ١٧٠ أو ١٧٥هـ) اللغويين فى هذا الميدان الجديد ، بماابتكره حين

وضع أول معجم عربي سمى : « كتاب العين » ثم تتابع الغيث ؛ فترى « الجمهرة » لابن دريد (٢٢٣ - ٣٢١ هـ . و « التهذيب » للأزهرى (٢٨٢ - ٣٧٠ هـ) و«الصحاح » للجوهرى (٣٣٢ - ٣٩٨ هـ) ، و « أساس البلاغة » للزمخشرى (٤٦٧ - ٥٣٨ هـ) ، و « لسان العرب » لابن منظور (٦٣٠ - ٧١١ هـ) و«القاموس المحيط » للفيروزابادى (٧٢٩ - ٨١٦ هـ) و «مختار الصحاح» للرازى (فرغ من تلخيصه سنة ٦٦٠هـ) والمصباح المنير للفيومى (ت٧٧٢ هـ). ومن المعاجم الحديثة: «المنجد» للأب لويس معلوف اليسوعى(١٨٦٧-١٩٤٦م)، و«المعجم الكبير» الذى أصدره المجمع اللغوى بالقاهرة ، القسم الأول من الجزء الأول من سنة ١٩٥٦، ثم أعاد إصداره بعد تعديل هام به سنة ١٩٧٠، و«المعجم الوسيط» الذى أصدره المجمع (١٩٦٠ - ١٩٦١ م) .

ولم تكن عناية العرب بجمع لغتهم وتدوينها أول ماعرف فى التاريخ ؛ فقد سبقهم فى هذا الطريق أمم قبلهم ؛ سبقهم الآشوريون فى كتاباتهم المسمارية ، والصينيون الذين خلفوا طائفة من معاجمهم ، وكذلك اليونان فقد ذكرت لهم معجمات قديمة [١] .

وتذكر دائرة المعارف الإسلامية [٢] أن الهنود سبقوا إلى وضع معاجم ألفاظ للغة السنسكريتية مرتبة ترتيبا أبجديا. ويرتب بعض الباحثين على هذا : أن العرب قلدوا الهنود فى تنظيم معجماتهم تنظيما هجائيا ، وأن الخليل بن أحمد نفسه تأثر بهم وتتلمذ على طريقتهم. ولكن هذا الافتراض لم يقم عليه دليل يؤيده حتى الآن ، بل يمكن القول إن العرب حين وضعوامعاجمهم المجنسة أو المبوبة ،كانوا مبتكرين غير مقلدين ، ومبدعين غير متبعين ؛ فلقد دعتهم إلى وضعها دوافع ملحة لم تترك لهم فرصة التلقى والكشف عن آثار السابقين من أمم أخرى، ولو أرادوا لأبطأ بهم الزمن ، ولم تسجل لهم محاولات وضع المعاجم اللغوية منذ عصر صدر الإسلام .

---

(١) ذكره د . حسين نصار فى المعجم العربى : ١ / ٢٠٠ ، وأحمد عبد الغفور عطار فى : مقدمة الصحاح ، ص ٤١ .نقلا عن دائرة المعارف البريطانية : مادة : Dictionary .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية : مادة : الخليل بن أحمد .

لفظ معجم : واللغويون ، وقد تفتقت بهم الحيل فوضعوا المعاجم ، لم يسبقوا بإطلاق اسم « معجم » على كتبهم اللغوية التى تعالج تفسير الألفاظ والمفردات ، أو تحشدها فى موضوعات وأبواب . وإنما سبقهم إلى إطلاق هذه الكلمة المؤرخون المشتغلون بالحديث : فوضع أبو يعلى أحمد بن على بن المثنى (٢١٠ - ٣٠٧ هـ) كتابا سماه « معجم الصحابة »، وكذلك صنع البغوى المحدث أبو القاسم عبدالله بن محمد ابن عبدالعزيز (ت ٢١٤ - ٢١٥ هـ) فى كتابيه : « المعجم الكبير » و«المعجم الصغير ». ثم أطلق هذا اللفظ على هذا اللون من الكتب اللغوية التى تعالج اللفظة ، فتشرح مدلولها وجميع مايتصل بها لغوياً ،أو تجمع الألفاظ المتصلة بمعنى أو بموضوع واحد ، فى رسالة أو كتاب أو باب من كتاب .

والنوع الأول يسمى: معجم الألفاظ، والمعجم المجنس، على حد تعبير ابن سيده[1]؛ ويسمى النوع الثانى : معجم المعانى ، والمعجم المبوب .ومادة : ع ج م ، فى أصل إطلاقها تفيد الإبهام وعدم البيان ، وفسرها كتاب العين ، فقال : « العجم ضد العرب ، ورجل أعجمى ليس بعربى من قوم عجم . والأعجم الذى لايفصح ، وامرأة عجماء بينة العجمة . والعجمة كل دابة أو بهيمة ، والأعجم كل كلام ليس بعربى ، واستعجمت الدار عن جواب السائل سكتت » وكذلك كتب الزبيدى فى مختصر العين ، وغيره من اللغويين . وإذا مازيدت الهمزة فقيل : أعجم ، دل ذلك على إزالة الإبهام والخفاء .

يقول أبو الفتح بن جنى:« .. ثم إنهم لما قالوا أعجمت الكتاب إذا بينته وأوضحته، فهو إذا لسلب معنى الاستبهام لاإثباته[2]». وإلى هذا يشير كتاب العين إذ يقول : «وتعجيم الكتاب تنقيطه كى تستبين عجمته ويصح ». وفي الصحاح ، مادة : عجم: « العجم : النقط بالسواد ، مثل التاء عليه نقطتان ، يقال أعجمت الحرف ، والتعجيم مثله ، ومنه حروف المعجم وهى الحروف المقطعة التى يختص أكثرها بالنقط من بين سائر حروف الاسم ، ومعناه حروف الخط المعجم، كماتقول مسجد الجامع وصلاة الأولى ، أى

---

(١) المخصص : ١ / ١٠ .

(٢) أبو الفتح بن جنى - الخصائص ٣ / ٧٥ - ٧٦ . وانظر : الإمام الرضى : شرح شافية ابن الحاجب : ١ / ٩١ ؛ وابن مالك : التسهيل : ١٩٨؛ والسيوطى : المزهر : ١ / ٢٢٠ .

مسجد اليوم الجامع وصلاة الساعة الأولى . وناس يجعلون المعجم بمعنى الإعجام ، مصدراً ، مثل المخرج والمدخل ، أى من شأن هذه الحروف أن تعجم »

وهذا المعنى الأخير مصطلح مستحدث ظهر بعد الإسلام حين امتد ظله ، وعم نوره مساحات شاسعة من الأرض ، وحين أسرع كثير من الأعاجم يدخلون فيه أفواجاً يلتمسون الهداية ، ويبغون الخير ، وحين أقبلوا ، وهم الغرباء عن اللسان العربى ، على دراسة اللغة العربية وقراءتها ، وعسر عليهم أن يقرءوا ألفاظها وكانت كل حروفها مهملة لاتنقط، فكان ابتداع النقط من وسائل تيسير هذه القراءة ، كما كان الشكل وضبط الحروف من وسائله كذلك .

ولعل معنى التيسير الملحوظ فى نقط الحرف وإعجامه ، هو الذى روعى عند حصر ألفاظ اللغة وشرح مفرداتها فى هذا اللون من الكتب اللغوية المعروفة باسم « المعاجم » ، خاصة أنها ترتب أبجدياً حسب حروف الهجاء أى حسب الحروف المعجمة ، فاكتسب هذا الاسم لأحد المعنيين أو لكليهما جميعاً ؛ فالمعاجم ترتب حسب حروف المعجم ، وتؤدى وظيفة هامة : إذ تعين الباحث على التعرف على اللفظة وتشرح له مولدها ، أو تيسر له وسيلة العثور على مجموعة من الألفاظ يجمعها موضوع واحد ؛ ومن ثم نجد هذين اللونين من المعاجم التى أشرنا إليها من قبل .

المعاجم المجنسة :

يقصد « بالمعاجم المجنسة » تلك المعاجم التى تعالج اللفظة : تضبطها ،وتبين أصلها ، ومشتقاتها ، وتشرح مدلولها ، وتتخذ لها نهجاً خاصاً فى ترتيب الألفاظ معتمداً على الترتيب الهجائى أيا كان لون ذلك الترتيب ومداره ، سواء أتى حسب نظام مخارج الحروف ، كماصنع الخليل ومن لف لفه ، أم سار حسب الأبجدية فى ترتيبها المألوف ، كمانجد فى معاجم من سار على غير طريقة الخليل .

ويطلق على هذه المعاجم كذلك اسم : معاجم الألفاظ ، بنفس ماسبق .

ويقابلها : « معاجم المعانى » ،أو « معاجم الموضوعات » ، أو « المعاجم المبوبة ».

وأهداف هذا اللون أن تجمع الألفاظ التى تدور فى فلك واحد وحول موضوع واحد ، وتجعل فى رسائل أو كتب أو أبواب من كتب ، كما صنع أبو زيد بن أوس الأنصارى

(ت ٢١٥هـ) فى كتاب المطر ؛ والأصمعى (ت ٢١٦هـ) فى كتب : الدارات والنبات والشجر ، والنخل والكرم ، والوحوش . وأبو عبيد (ت ٢٢٤ هـ) فى كتابه : الغريب المصنف ؛ وابن سيده (ت ٤٥٨ هـ) فى المخصص .

وإذا كان المرجح أن اللغويين سبقوا إلى المعاجم المبوبة قبل أن يسبقوا إلى المعاجم المجنسة ، كمايقول الأستاذ محمد عبدالجواد - « *لأن هذا أبسط أنواع الجمع ، وهو أمر طبيعى، دعت إليه الحاجة والخوف من ضياع اللغة، وهو من السهولة بحيث لايحتاج إلا إلى الحفظ والإلمام بأطراف الموضوع للوقوف على أجزائه ومسمياتها...*[1] » كان من الطبيعى أن أبدأ به الحديث، فإنى أرى الحاجة أمس إلي تقديم الحديث على المعاجم المجنسة، وهى موضوع هذا الكتاب الأول، ثم أتبعها إن شاء الله ، بالمعاجم المبوبة .

والناظر فى المعاجم المجنسة التى ألفت على مدى عصور تدوين المعاجم ، يرى أن هناك أسساً ثلاثة هامة نها أثرها فى تطور المعاجم ، ولها تقديرها لدى المؤلفين .

١ - والأساس الأول هو النظام الذى رتبت على هداه مواد المعجم ، واختيار الترتيب الهجائى قاعدة له ، وقد اهتدى إلى هذا الأساس ، وكان فاتحة تأليف المعاجم ، الخليل ابن أحمد الفراهيدى (١٠٠ - ١٧٠ أو ١٧٥ هـ) .

وقد هداه عقله الثاقب ،ونظرته العلمية الدقيقة ، إلى اختيار الأبجدية الصوتية؛ إذ رتب الحروف الهجائية مجموعات حسب خروجها من أعضاء الصوت مبتدئا بأقصاها من الحلق متدرجا إلى أسفلها من الشفتين ، على النحو الذى سنعرض له بعد قليل ، إن شاء الله .

٢ - وثانى الأسس التى دار حولها تطور المعجم هو حصر مشتقات المادة اللغوية بعد تغيير موضع حروفها وهو مايعرف « بالاشتقاق الأكبر » ، كمايقول أبو الفتح عثمان ابن جنى (ت ٣٩٢ هـ) ، وأستاذه أبو على الفارسى (ت ٣٧٧ هـ) ، فالمادة الثنائية مثلا : (ق ، د) ، إذا غير موضع حرفيها صارت (د ، ق) ، وكذلك نشتق منها مواد أخرى بتكرار أحد حرفيها ، أو تكرارهما معا ، وكذلك سائر المواد .

---

(١) محمد عبد الجواد : فى تقديمه لكتاب : شجر الدر لأبى الطيب عبدالواحد اللغوى ، ص ١٣ .

٣ - وثالث الأسس هو عدد الحروف التى يتكون منها بناء المادة ، واختلاف نظرات العلماء فى اعتبار هذا العدد : فالخليل رأى الأبنية أربعة ، هى : الثنائى ، والثلاثى ، والرباعى ، والخماسى .

وقسم كتابه إلى هذه الأقسام الأربعة ، وزاد بناء خامساً سماه « اللفيف » ، ووضعه بعد بناء الثلاثى الصحيح .

ورأى غيره وجها آخر : فالأزهرى صاحب التهذيب(٢٨٢ - ٣٧٠ هـ) يجعل الأبنية ستة ، هى : الثنائى المضاعف ، والثلاثى الصحيح ، والثلاثى المهموز ، والثلاثى المعتل ، والرباعى ، والخماسى ، والفارابى صاحب ديوان الأدب (ت ٣٥٠ هـ) رتب الأبنية هكذا : السالم ، المضاعف ، المثال ، ذوات الثلاثة ، ذوات الأربعة ، وكتاب الهمزة .

وقد اختلف بناء المعاجم اللغوية لاختلاف وجهة تناول العلماء لهذه الأسس السابقة . مماجعل من الممكن وضع المعاجم التى صنفها العلماء طوائف أربعة ، نمثل لهافيمايلى بنماذج ممابين أيدى الدارسين أو قريباً منهم .

الفصل الأول

صاحب كتاب العين

الخليل بن أحمد
(١٠٠ - ١٧٠
أو ١٧٥ هـ)

الخليل بن أحمد :

من حق « الخليل بن أحمد » على المعجميين أن يذكروا فى تقدير وإعجاب ماأسداه إلى اللغة العربية من يد لاتنسى ، حين هداه عقله الناضج إلى فكرة حصر مفردات اللغة ومحاولة ضمها فى كتاب يشرح مدلولاتها ، ويحلل مشتقاتها ، ويستدل على جميع مايذكر بالشواهد من مذخور العرب .

ولقد ذكر كتاب التراجم بعضا من سيرته الشخصية ، وأنه من أصل عربى . ولد فى عُمان على الخليج العربى ، سنة مائة من الهجرة ، ونقل إلى البصرة فنشأ بها ، وتلقى عن أفاضل العلماء أمثال أبى عمرو بن العلاء ، وأيوب ، وعاصم الأحول ، وأنه حين تصدى للحديث فى العلم تتلمذ عليه كثير من النابهين أمثال النضر بن شميل ، والأصمعى ، وسيبويه ، وأبو فيد مؤرج السدوسى ؛ وأنه عاش زاهداً عن زخرف الحياة ، يقنع بالكفاف ، حتى إن تلاميذه كانوا يقارنون بينه وابن عون فى الزهد والعبادة فلايدرون أيهما يقدمون . ورفض دعوة سليمان بن على ، والى الأهواز ، أن يزوره ، وقال لرسوله بعد أن أخرج إليه خبزاً يابساً :

أبلغ سليمان أنى عنه فى سعة ... وفى غنى ، غير أنى لست ذا مال
سخى بنفسى أنى لاأرى أحداً ... يموت هزلا ، ولايبقى على حال
والفقر فى النفس،لافى المال نعرفه ... ومثل ذاك الغنى فى النفس لاالمال

وروى عن تلميذه النضر بن شميل (ت ٢٠٣ هـ) أنه قال : أكلت الدنيا بعلم الخليل وكتبه وهو فى خص لايشعر به [١] . وكان سفيان الثورى يقول : من أحب أن ينظر إلى

---

(١) أحمد بن فارس : الصاحبى : ١٨ - (المكتبة السلفية بالقاهرة) .

رجل خلق من الذهب والمسك فلينظر إلى الخليل بن أحمد ؛ وروى كذلك أن الخليل كان يحج سنة ويغزو أخرى .

وإنما ذكرنا هذه الأخبار الخاصة لأنها خيوط تصل إلى حياته العلمية الحافلة .

ولو أنه وجد فى عصر يشيد بالعلماء ويقدر النابهين ، ويعقد المؤتمرات لمناقشة أحدث الآراء وأفضل المبتكرات ، ويمنح الجوائز التقديرية والتشجيعية - لوقفت هذه الأدوات جميعها تنظر فى إعجاب ودهشة إلى رجل يخترع مقاييس الشعر ، فيضع علم العروض ، ويعنى بالقياس فى النحو ، فيتلقاه تلاميذه ويضمنون كتبهم آراءه ومبادئه ، ويضع نظاماً رياضياً لحصر مفردات اللغة ، ثم يضع الأسس لترتيب المعجم ترتيباً أبجدياً على أساس صوتى معتمد على ضبط مخارج الحروف ، هذا إلى علمه بالإيقاع ، والرياضة ، واطلاعه اللغوى ، وقوله الشعر أحياناً .

ويعنينا هنا من هذه الجهود كلها أن نتناول أول محاولة ناضجة لوضع المعجم الأبجدى المجنس العربى بشىء من الحديث [1] .

نهج الخليل فى كتاب العين :

(١) لعل أول ماشغل ذهن الخليل ، عندما أراد جمع المواد اللغوية فى كتاب ، أن يصل إلى طريقة يحصر بها هذه الثروة ؛ وخاصة أن أصحابها لم يعنوا بتدوينها فى عصورها الأولى ،وهم متفرقون فى مساحات شاسعة ،ومنهم من هاجر إلى مواطن أخرى ، سنة الحياة فى الأرض ؛ فرأى الخليل أن مواد اللغة محصورة فى أبنية أربعة ، هى الثنائية ،والثلاثية ،والرباعية ، والخماسية ،وأن هذه الأبنية يزاد عليها أحيانا كثيرة ، ولكن هذه الزيادة لاتخرج بها عن أصولها الأربعة .

---

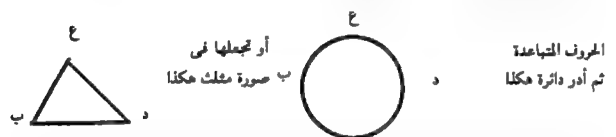
(١) نشر الدكتور عبدالله درويش الجزء الأول من كتاب العين محققا ، وقدم له ، وذيله بفهرس للمواد الواردة به .

وينتهى هذا الجزء بمادة ع ص م ، ومشتقاتها (ويقع فى ٣٧٠ صحيفة ، وطبع بمطبعة العانى ببغداد عام ١٣٨٦ هـ = ١٩٦٧) .

ويلاحظ أن هذا الجزء تناول باب العين ومايليها من الثنائى المضاعف ، ثم من الثلاثى الصحيح حتى باب العين والصاد والميم . ومعنى هذا أن أبواب الثنائى المضاعف لم تستوف فى هذا الجزء .

والذهن الرياضى الذى كان يتمتع به الخليل أوحى إليه أن يصرف هذه الأبنية الأربعة. فالكلمة الثنائية إذا تبادل حرفاها موقعيهما تكونت من الصورة الجديدة لفظة أخرى قد تشترك أو تبعد فى معناها عن اللفظة الأولى ، والبناء الثلاثى إذا تغيرت مواضع حروفه نشأ من كل مادة ستة أوجه . ويلاحظ ، رياضيا ، أن هذه الأوجه هى محصل ضرب ثلاثة الأحرف فى وجهى البناء الثنائى ، ويتحصل من تغيير مواضع البناء الرباعى أربعة وعشرون وجهاً هى محصل ضرب أربعة الأحرف فى ستة أوجه البناء الثلاثى . أما البناء الخماسى فيتصرف إلى مائة وعشرين وجها بالاعتبار المتقدم .

وقد شرح ابن دريد فى الجمهرة هذه الطريقة ، فقال : « إذا أردت أن تؤلف بناء ثنائياً أو ثلاثيا أو رباعياً أو خماسياً ، فخذ من كل جنس من أجناس



الحروف المتباعدة ثم أدر دائرة هكذا ... أو تجعلها فى صورة مثلث هكذا

فوقع ثلاثة أحرف حواليها ، ثم فكها من عند كل حرف يمنه ويسرة ، حتى تفك الأحرف الثلاثة ، فيخرج من الثلاثى ستة أبنية . فإذا فعلت ذلك استقصيت من كلام العرب ماتكلموا به ومارغبوا عنه [1] » .

وإننا إذا استخدمنا الشكل السابق (شكل الدائرة): ... أو المثلث

ع
د ب

ع
د ب

وأدرنا حروف مادة : ع - ب - د ، المكتوبة حوله ، أمكن التوصل إلى الوجوه الستة التى أشار إليها ابن دريد ، وهى : ع د ب ، ع ب د ، د ع ب ، د ب ع ، ب ع د ، ب د ع . وليس من المحتم استخدام الوجوه الستة السابقة فى معان وضعت لها ، ومن ثم تأتى مرحلة أخرى تالية لهذه ، وهى أن اللغويين ، وعلى رأسهم الخليل ، أشاروا إلى

(١) الجمهرة : ٣ / ٥١٣ .

الوجوه المستعملة والمهملة ، وأمكن حصرها وإن اختلف هذا الحصر ولابد يختلف ، فاللغة أرحب من أن كان يحاط بها في ذلك العصر المبكر من عصور التدوين الفقير في وسائل الإحصاء والإحاطة .

وبالتصوير السابق أمكن حصر وجوه الرباعي ، والخماسي ، وأمكن حصر المهمل والمستعمل بنفس الاعتبار المشار إليه . قال حمزة الأصبهاني : « ذكر الخليل في كتاب العين أن مبلغ عدد أبنية كلام العرب ، المستعمل والمهمل ، على مراتبها الأربع من الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي من غير تكرار ، اثناعشر ألف ألف وثلاث مائة ألف وخمسة آلاف وأربعمائة واثنا عشر .

الثنائي سبعمائة وستة وخمسون ، والثلاثي تسعة آلاف ألف وستمائة وخمسون ، والرباعي أربعمائة ألف وأحد وتسعون ألفا وأربعمائة ، والخماسي أحد عشر ألف ألف وسبعمائة ألف وثلاثة وتسعون ألفا وستمائة [1] » .

ولتوضيح هذا الحصر نأخذ البناء الثنائي ، فيتبين به سائر الأبنية .

وذلك بأن تكتب الحروف الهجائية في نهر رأسي بعضها أسفل بعض ، حسب الترتيب المألوف (أ ب ت ث إلخ) وتسلخ الحرف الأول : « الهمزة » ، وتضعه إلى يمين النهر ، وتكون منه ومن كل حرف هجائي كلمة فيتحصل من ذلك سبعة وعشرون كلمة ، تعكسها فيتكون من مجموع الأصل ومعكوسه أربعة وخمسون كلمة . ثم تسلخ الحرف الهجائي : « الباء » وتكون منه مع مابعده على مثال ماصنعت مع الهمزة وسائر الحروف فيتحصل من ذلك اثنتان وخمسون كلمة وهكذا . وبهذه الطريقة الرياضية (التبديل والتوفيق) ، حاول الخليل أن يصل إلى حصر المواد اللغوية نظريا ، ويبقى أن يحصر المستعمل [2] ، ويستشهد له من مأثور اللغة ، ويضعه في معجمه .

---

(١) السيوطي : المزهر : ١ / ٤٥ .

(٢) قال أبو بكر محمد بن حسن الزبيدي في مختصر كتاب العين : عدة مستعمل الكلام كله ومهمله ستة آلاف ألف وستمائة ألف وتسعة وخمسون ألفا وأربعمائة . المستعمل منها خمسة آلاف وستمائة وعشرون ،والمهمل ستة آلاف ألف وستمائة ألف وثلاثة وخمسون ألفا وأربعمائة . السيوطي : المزهر : ١ / ٤٥ . ويلاحظ اختلاف الإحصاء في نصي الخليل ، والزبيدي .

مبادئ علم الأصوات، وتدوين المواد اللغوية .

إذا كان من الشاق إلى حد بعيد أن يتوصل إنسان فى عصر الخليل إلى مثل ماتوصل إليه في محاولته البارعة حصر مواد اللغة ، فإن صعوبة أخرى اعترضت هذا الذهن المتوقد حين أراد بدء تدوين المواد تدوينا علميا سليما لايتوجه إليه نقد . وإذا كانت دراية الخليل الرياضية هدته إلى تذليل الصعوبة الأولى ، فإن خبرته بعلم الأصوات أرشدته إلى الطريق فى الثانية .

لقد عرض الخليل حروف الهجاء على أعضاء النطق حرفاً حرفاً وقاس مدارجها بالقدر الذي سمح به اجتهاده وظروف العصر ، ورأى أنها تصدر من أعضاء النطق متدرجة من أعلى ، من أقصى الحلق نازلة إلى أسفل إلى نهاية الشفتين .

ثم قسمها مجموعات تتقارب حروف كل منها في مخارجها قليلا أو كثيراً . ووجد أن الحروف الصادرة من أقصى الحلق ستة هى : الهمزة ، الهاء ، الحاء ، العين ، والغين ، الخاء. ولكنه لاحظ أن الهمزة وإن كانت أقطعها وأصلها خروجا من الحلق ، يعتريها أحيانا مايلحقها بحروف العلة وتسهيلها فى بعض الكلمات ، فأبى أن يبدأ بها حروف الحلق ؛ كمالاحظ أن الهاء حرف مهموس وأن الحاء « بها بحة لولاها للحقت بالعين » فأخرهما قليلا، وجعل مبدأ حروف الحلق عنده حرف العين ، فبدأ بها معجمه ، وإليها نسب فسمى : « كتاب العين » .

ويحكى الليث عن الخليل فى هذا المجال قوله : « فأقصى الحروف كلها العين ، ثم الحاء، ولولا بحة في الحاء لأشبهت العين لقرب مخرجها من مخرج العين ، ثم الهاء، ولولا هتة فى الهاء لاشتبهت بالحاء » وقال مرة :« لولا ههة الهاء لاشتبهت بالحاء لقرب مخرج الهاء من مخرج الحاء ». فهذه ثلاثة أحرف فى حيز واحد ، بعضها أرفع من بعض ، ثم الخاء والغين فى حيز واحد، ثم الصاد والسين والزاء حيز واحد ، ثم الطاء والدال والتاء فى حيز واحد، ثم الظاء والذال والثاء بعضها أرفع من بعض ، فى حيز واحد ، ثم الراء واللام والنون فى حيز واحد ثم الفاء والباء والميم فى حيز واحد ، ثم الواو والألف والياء فى حيز واحد، والهمزة فى الهواء لم يكن لها حيز تنسب إليه [1] » .

(١) كتاب العين : القسم المطبوع منه : ص ٨ .

وفى موضع آخر يسمى مخارج الحروف ، ويعلل لها : فالعين والحاء والهاء والخاء والغين حلقية لأن مبدأها من الحلق ، والقاف والكاف لهويتان لأن مبدأهما من اللهاة ...، والصاد والسين والزاء أسلية لأن مبدأها من أسلة اللسان وهى مستدق طرف اللسان ... [1] .

وهذا الوصف الدقيق لمدارج حروف الهجاء دليل واضح دون شك ، على براعة الخليل ودقة ملاحظته ، ورغبته الأكيدة فى أن يأتى معجمه الذى تصدى لتأليفه على مثالٍ مشاكل لبراعته وثقوب ذهنه .

وإذاً ، فقد حلت مشكلة ثانية ، هى طريقة نظم المواد اللغوية فى المعجم ، وتلخص الآن : فى تنسيق المواد حسب حروف الهجاء مبتدئة بحرف العين ، منتهية بالحروف الشفوية ، حسب الجدول الذى يبينها بعد .

ترتيب الحروف عند الخليل

ع ح هـ خ غ / ق ك / ج ش ض / ص س ز / ط د ت / ظ ذ ث / ر ل ن / ف ب م / و ا ى [2] .

ويلاحظ كما ذكرت من قبل أن الخليل وضع المواد المعتلة والمهموزة فى باب « اللفيف » عقب أبواب الثلاثى الصحيح .

---

(1) كتاب العين : القسم المطبوع منه : ص ٩ .

(2) وترتيب الحروف حسب مخارجها عند سيبويه كمايلى: هـ ا/ع ح/غ خ. وهى حروف الحلق؛ و: ق ك. وهى حروف أقصى اللسان؛ و: جـ ش ى. وهى حروف وسط اللسان ، بينه وبين الحنك الأعلى؛ و : ض. من بين أول حافة اللسان ومايليه من الأضراس ، و: ل ، من حافة اللسان ، من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ، مابينها وبين مايليها من الحنك الأعلى ومافويق الضاحك والناب والرباعية والثنية ، و : ن ، من طرف اللسان ، بينه وبين مافويق الثنايا ؛ و : ر ، من مخرج النون ، غير أنه أدخل فى ظهر اللسان قليلا لانحرافه إلى اللام ؛ و : ط د ت ، ممابين طرف اللسان وأصول الثنايا ؛ و : ز س ص ، ممابين طرف اللسان وفويق الثنايا ؛ و : ظ ذ ث ، ممابين طرف اللسان وأطراف الثنايا ؛ و : ف ، من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلى ؛ و: ب م و ، ممابين الشفتين؛ والنون الخفيفة من الخياشيم.
سيبويه : الكتاب : ٢ / ٤٨٨ .

الاشتقاق وتدوين المواد اللغوية :

تناول اللغويون بعد الخليل ، مواد اللغة بالدرس والتحليل للتعرف على أثر التوسع فى اشتقاق وجوه المادة من أصل واحد، فتوصلوا إلى نظرية هامة موجزها: أن بين وجوه المادة الواحدة معنى مشتركا، وأن تصرف الوجوه المختلفة يضفى على المعنى المشترك ألوانا جديدة يستقل كل منها، ويصير له مدلول خاص. مثال ذلك ماذكره أبو الفتح بن جنى فى الخصائص:«إن معنى: «ق و ل» أين وجدت، وكيف وقعت، لمن تقدم بعض حروفها على بعض وتأخره عنه ، إنما هو للخفوف والحركة . وجهات تركيبها الست مستعملة كلها لم يهمل شىء منها، وهى: ق و ل / ق ل و/ و ق ل / و ل ق / ل ق و / ل و ق .

الأصل الأول :

«ق و ل» :

وهو القول. وذلك أن الفم واللسان يخفان له ويقلقان ويمذلان [1] به .

وهو بضد السكوت الذى هو داعية إلى السكون ، ألاترى أن الابتداء لما كان أخذا فى القول لم يكن الحرف المبدوء به إلامتحركا، ولماكان الانتهاء أخذاً فى السكوت لم يكن الحرف الموقوف عليه إلا ساكناً .

الأصل الثانى :

«ق ل و» :

منه القلْو: حمار الوحش، وذلك لخفته وإسراعه... ومنه قولهم:«قلوت البسر والسويق، فهما مقلوان»وذلك لأن الشىء إذا قلى جف وخف وكان أسرع إلى الحركة وألطف .

الأصل الثالث :

«و ق ل» :

منه الوقل [1] للوعل [2] ، وذلك لحركته ، وقالوا : توقل فى الجبل : إذا صَعِد فيه ،

---

(١) مذل من باب فرح : قلق ، ولم يستقر . (٢) كضرب ، وسيب ، وكتف

(٣) بفتح فسكون ، وككتف ودئل : تيس الجبل ، ج : أوعال ووعول (القاموس المحيط) .

وذلك لايكون إلا مع الحركة والاعتمال .....

الأصل الرابع :

« و ل ق » :

قالوا : ولق يلق ، إذا أسرع ....

الأصل الخامس :

« ل و ق » :

جاء في الحديث : لاآكل من الطعام إلا مالوق لي : أي ماخدم وأعملت اليد في تحريكه وتلبيقه [1] ، حتى يطمئن وتتضام جهاته . ومنه اللوقة للزبدة . وذلك لخفتها وإسراع حركتها وأنها ليست لها مُسكة الجبن ، وثقل المَصْل [2] ونحوها ....

الأصل السادس

« ل ق و » :

ومنه اللَّقوة للعُقاب : قيل لها ذلك لخفتها وسرعة طيرانها [3] .

ويطلق ابن جني على هذا اللون من التصريفات اسم : « الاشتقاق الأكبر » ، ويقول : « وأما الاشتقاق الأكبر فهو أن تأخذ أصلا من الأصول الثلاثية ، فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحداً ، تجتمع التراكيب الستة ومايتصرف من كل واحد منها عليه وإن تباعد شيء من ذلك عنه رد بلطف الصنعة والتأويل إليه [4] ».

وهذا ، كمايقول ابن جني ، من ابتكاره ، وإن كان أستاذه أبو علي الفارسي قد مال إليه ، ولكنه لم يبلغ فيه مبلغ تلميذه .

---

(١) يقال لبق الزبد : إذا خلطه بالسمن وحركه .

(٢) المصل والمصالة : ماسال من الأقط إذا طبخ ثم عصر. رديء الكيموس (= الخلط) ضار للمعدة .

(٣) الخصائص : ١ / ٥ - ١١ .

(٤) الخصائص . ٢ / ١٣٤ .

غير أن الناظر فى كتب المعجميين ، وخاصة كتاب العين ، يرى أنهم تعرضوا لهذا التصريف قبل هؤلاء العلماء ، والخليل نفسه يجعله أصلا من أصول معجمه : فيشرح المادة ومقلوباتها فى موضع واحد ، بعد أن يذكر فى صدر حديثه عنها مااستعمل من تصاريفها وماأهمل . مثال ذلك قوله : « باب العين والهاء والجيم معهما . عهج ، هجع : مستعملان . جهع ، عجه ، عهج جعه ، مهملات [1] » .

ويصنع دائما كذلك . ينبه على المستعمل والمهمل ثم يبدأ فى شرح التصريفات المستعملة تصريفاً بعد آخر ، وشرح التصريفات مجتمعة فى مكان واحد ، لابد قد نبه الأذهان من بعد إلى مابينها من صلة مشتركة ، وربما كان ذلك السبب نفسه هو الذى دعا الخليل إلى سلوكه مسلكه ، فإن كان كذلك ، وليس ببعيد، فالخليل إذا هو أول من نبه إلى هذه الخصيصة من خصائص اللغة .

هذه الأسس الثلاثة التى سبق الحديث عنها، والتى تعد أساس تنظيم كتاب العين، لها اعتبارها الكبير فى تطور كتابة المعجم العربى، ويمكن تلخيصها فى كلمات قليلة، هى : -

١- الأساس الصوتى :

بمعنى اعتبار مخارج الحروف ومدارجها أساساً فى ترتيب مواد اللغة .

٢- التصريفات أو التقليبات :

وذلك بالحديث عن جميع تصريفات المادة ووجوهها فى موضع واحد .

٣- اعتبار الأبنية :

وذلك بملاحظة عدد حروف المادة الأصلية التى عقدت منها ، وقد رأى الخليل أنها أربعة : الثنائية ، والثلاثية ، والرباعية ، والخماسية .

خصائص كتاب العين

من الضرورى ، للتعرف على خصائص كتاب العين، سوق قطعة منه، نتتبع عناصرها فيها وفى غيرها ماأمكن ذلك ، بغية الوصول إلى مافى هذا الكتاب من ميزات .

(١) كتاب العين : القسم المطبوع منه .

بيد أن هذا الكتاب صدر بمقدمة حوت بعض القوانين الهامة ، ورواها الرواة عن الخليل معترفين بأنها له وأنه هو الذى استنبطها وتوصل إليها هو من القوانين ...

ومن هذه المبادىء ماسبق توضيحه من ابتكار الأبجدية الصوتية المبنية حسب المخارج الصوتية للحروف الهجائية ، وسبب اختيار الخليل لهذه الأبجدية لتكون قاعدة من قواعد معجمه .

وكذلك ماسبق توضيحه من استقرار حالات أبنية المواد اللغوية وإرجاعها إلى أبنية أربعة، ومحاولته كذلك حصر الصور الممكنة للمواد اللغوية العربية مااستعمل منها وماأهمل .

وقد لاحظ الخليل ترتيباً على المبدأين السابقين ، أن المخارج الصوتية إذا تقاربت ندر ، وأحياناً امتنع ، تجاور الحروف الصادرة منها فى كلمة واحدة .

ومن صور الامتناع أن العين والحاء لاتأتلفان مع شىء من سائر الحروف إلى آخر الهجاء، ولايوجد ذلك إلا فى حالات «النحت»، بأن تشتق من كلمتين أو أكثر كلمة واحدة تضم حرفى العين والحاء، كمايقال: حيعل اشتقاقا من حىّ على .. بمعنى أقبلْ على .... فأخذت الحاء، والياء، والعين، واللام، وصيغت كلمة واحدة قال الشاعر:

فباتَ خيالُ طيفكَ لي عنيقا   إلى أن حَيعلَ الداعـي الفـلاحا

قال الخليل : « وهذا يشبه قولهم تَعَبْشَمَ وتعبقس ورجل عَبْشَمى وعبقسى : أراد به أنه من عبد شمس ومن عبد قيس ؛ فأخذ من الكلمتين معاً ؛ فاشتق فعلا [1] » .

ولاحظ الخليل : أن الكلمة إذا كثرت حروفها فبلغت أربعا أو خمسا ، وجب أن يكون بعضها من الحروف الذُلْق ، [2] أو الشفهية [3] : « فإن وردت عليك رباعية

---

(1) مقدمة كتاب العين .

(2) الحروف الذلق هى: حروف طرف اللسان، وهى اللام والراء والنون. وذلق كل شىء وذلقته، ويحرك، وذولقه: حده. وذولق اللسان والسنان: طرفهما. يقول الخليل: «ولاينطلق طرف اللسان إلابالراء واللام والنون. وأماسائر الحروف فإنها ارتفعت فجرت فوق ظهر اللسان من لدن باطن الثنايا عند مخرج التاء إلى مخرج الشين بين الغار الأعلى و بين ظهر اللسان، ليس للسان فيهن عمل أكثر من تحريك الطبقتين بهن، ولم ينحرفن عن ظهر اللسان انحراف الراء واللام والنون .
مقدمة كتاب العين ، ٥٦ .

(3) هى حروف « الفاء والباء والميم » . يقول الخليل لاتعمل الشفتان فى شىء من الحروف الصحاح إلا فى هذه الأحرف الثلاثة . مقدمة كتاب العين : ٥٦ .

أو خماسية معراة من الحروف الذلق أو الشفوية ولايكون من تلك الكلمة من هذه الحروف حرف واحد أو اثنان أو فوق ذلك ؛ فاعلم أن تلك الكلمة محدثة مبتدعة ليس من كلام العرب [١] .. » وعد الخليل نحو عشرين كلمة رباعية مستثناة من القاعدة السابقة وهى كالشواذ ، ومنها : العسجد ، والدعشوقة [٢] ، والدغدغة ، والزهزقة [٣] .

وهذه المبادىء ، مضافة إلى الجهد الذى بذل فى كتاب العين ، دليل النبوغ العربى ، وقدرته على الابتداع والابتكار .

مثال من أبنية الثنائى الصحيح :

قدم الخليل حديثه عن المواد اللغوية بقوله : بدأنا فى المؤلفات من العين وهو أقصى الحروف ، ونضم إليه مابعده حتى يستوعب منه كلام العرب الواضح والغريب ، وبدأنا من الأبنية بالمضاعف لأنه أخف على اللسان وأقرب مأخذاً للمتفهم .

ع ح هـ خ غ ، وهو الثنائى الصحيح [٤]

ثم صدر هذا الباب بالعبارة الآتية :

باب الثنائى الصحيح

باب العين ؛ والحاء ؛ والهاء ؛ والخاء ، والغين .

(العين مع القاف ؛ وماقبله مهمل)

ومعنى هذا : أنه بدأ بمجموعة الحروف الحلقية من بناء الثنائى الصحيح ، وأنه بين المهمل والمستعمل ، حين نص على أن هذه الحروف لايأتلف بعضها مع بعض فى مواد ، وإنما تأتلف مع غيرها من سائر الحروف .

ومن مواد بناء الثنائى الصحيح مادة : « ع د » ، ومقلوبها : « د ع » .

---

(١) مقدمة كتاب العين .

(٢) يقال للصبية والمرأة القصيرة يادعشوقة .أو هى شبه الخنفساء (القاموس المحيط) .

(٣) شدة الضحك ، وترقيص الأم للصبى .

(٤) مقدمة كتاب العين ـ ط ـ بغداد ١٩١٣ م .

باب العين مع الدال
عد ، دع مستعملان

عددت الشيء عدا : حسبته وأحصيته . قال عز وجل : « إنّما نَعُدُّ لهُمْ عدًّا » يعني : أن الأنفاس تُحصَى إحصاءً ولها عدد معلوم ، وفلان في عداد الصالحين : أي يعد فيهم ، وعداده في بنى فلان : إذا كان ديوانه معهم . وعدة المرأة : أيامُ قروئها . والعدة : جماعة قلت أو كثرت والعَدُّ مصدر ، كالعدد والعديد .

ويقال هذه الدراهم عديدة هذه : إذا كانت في العدد مثلها ، وإنهم ليتعددون أو ليتعادون على عشرة آلاف : أي يزيدون في العدد ، وهم يتعادون : إذا اشتركوا فيما يعادُ به بعضهم بعضاً من المكارم وغير ذلك من الأشياء كلها .

والعدة: مايُعَد لأمر يحدث فيذخر له، وأعددت الشيء: هيأته. والعد : مجتمع الماء، وجمعه أعداد، هو مايعده الناس: فالماء عدٌ ، وموضع مجتمعه عدٌ، قال ذو الرمة :

دعـت مَيّـةُ الأعـداد واستبدلت بها
حناطيل [٢] آجال [٣] من العين [٤] خُذَّل [٥]

ويقال : بنو فلان ذوو عد وقبض ، يعني بهما : ذوى ثروة . ويقال : كان ذاك في عدان شبابه ، وعدان ملكه ، وهو أفضله وأكثره ، قال العجاج :

وليٌ على عدان ملك محتضر

قال : واشتقاقه من أن ذلك كان مُهَيّأً معداً . وقال :

والملك يحبو على عدانه

---

(١) كتاب العين . ط . بغداد ١٩١٣ م

(٢) الخنطل ، بخاء معجمة بعدها نون ساكنة ، كجندل جماعة الجراد .والمعنى جماعة البقر الوحشى .

(٣) آجال : جمع أجل بفتحتين : القطعان من بقر الوحش .

(٤) بالكسر : البقر الوحشى . المذكر أعين ، والأنثى عيناء .

(٥) خذلت الظبية : أقامت على ولدها ، كأخذلت وتخاذلت فهي خاذل ومخذل ، وأخذل ولد الوحشية : وجد أمه تخذله .

والعداد : اهتياج وجع اللديغ ، وذلك إذا تمت له سنة من يوم لدغ ، هاج به الألم. وكأن اشتقاقه من الحساب من قبل عد الشهور والأيام ، كأن الوجع بعد مايمضى من السنة ، فإذا تمت عاودت الملدوغ، ولو قيل: عادته، لكان صوابا. وفى الحديث: «مازالت أكلة خيبر تعادنى ، فهذا أوان قطعت أبهرى [1] » ، أى تراجعنى ويعاودنى ألم سمها فى أوقات معلومة . قال الشاعر :

يلاقى من تذكر آل سلمى كما يلقى السليم من العداد

وقيل عداد السليم : أن تعد له سبعة أيام ، فإن مضت رجوا له البرء ، ومالم تمض ، قيل هو فى عداده .

ويلاحظ فى المادة السابقة من كتاب العين ، مايأتى :

١ - ذكر المعجم الفعل ، ومصدره ، وبين أنه متعد إلى المفعول به ، ثم فسره : « عددت الشىء عدا : حسبته وأحصيته » .

٢ - ذكر مزيد الفعل ، وطرق زيادته ، فقال : وإنهم ليتعددون ، أو ليتعادون ، وهم يتعددون . كذلك صنع فى الأسماء ، كقوله فى مادة : ع ف ج : « العَفَنْجج : كل ضخم اللهازم [2] من ذوى وجنات وألواح ،وهو مع ذلك أكول فسل [3] ، وهو بوزن فَعَنْلل » وفى هذا المثال أمران : زيادة النون ، وتضعيف الجيم .

وفى مادة : ع هـ ج ، يقول : « العوهج : ظبية حسنة اللون ، طويلة العنق ، يقال هى التى فى حقويها خطتان سوداوان والناقة عوهج ، والنعامة عوهج ، لطول عنقها » .

٣ - ذكر المعانى المختلفة للفظ الواحد ، إذا كان له أكثر من استعمال :

يتعادون : يزيدون فى العدد ، يتعادون : اشتركوا فيما يعاد به بعضهم بعضاً من المكارم وغير ذلك . الماء عد وموضع مجتمعه عد .

٤ - ذكرصيغة الجمع: «العد: مجتمع الماء وجمعه أعداد» وفى مادة: هـ ج ع، يقول: «الهجوع:نوم الليل دون النهار.يقال: لقيته بعد هجعة. وقومهُجَّع وهجوع وهاجعون،

---

(١) الأبهر : وريد العنق . (القاموس المحيط) .

(٢) اللهزمة : مجتمع اللحم بين الماضغ والأذن ، وقيل : لحم الفكين . (أساس البلاغة) .

(٣) الفسل : الرذل الذى لامروءة له (القاموس المحيط) .

وامرأة هاجعة ، ونسوة هُجع وهواجع وهواجعات » . ويلاحظ أنه ذكر صيغ المفرد ، والجمع بنوعيه : السالم والمكسر ، ولجنسيها : المذكروالمؤنث .

٥ - بين علة إطلاق اللفظ ، وسبب اشتقاقه : « ويقال : كان ذاك فى عدان شبابه ، وعدان ملكه ، وهو أفضله وأكثره . قال العجاج :

ولى على عدَّان ملك محتضر

قال : واشتقاقه من أن ذلك كان مُهَيَّأً معداً » .

وفى مادة : ق ف ع ، يقول : « .. وأذن قفعاء ، أصابتها نار فتزوّت من أعلاها إلى أسفلها . ورجل قفعاء : أى ارتدت أصابعها إلى القدم . تقول قفعت قفعاء وربما قَفَعاً وربما قَفَعها البرد فتقفعت » .

٦ - استشهد لمايقول بنصوص من القرآن الكريم ، ومن الحديث الشريف ، ومأثور الأدب . وأحيانا يذكر صاحب الأثر ، وكثيراً مايغفله .

٧- لم يعرض لشرح الغريب فيما ذكر من استشهاد. وقد تدارك بعض اللغويين بعده هذا النقص أحيانا مع شىء مـن المبالغـة والاستطـراد، كماصنع ابن دريـد فـى كتابـه : «الجمهرة »، وأحيانا أخرى مع الاقتضاب والاقتصار على ماتدعو إليه الحاجة .

٨ - يتضح فى المادة السابقة ماظهر فى غيرها من تتبع مشتقات الكلمة .

ففى مقلوب هذه المادة ، وهو : « د ع » ، قال : « الدعدعة : تحريكك جوالقا أو مكيالا ليسع أكثر .. ، والدعدعة أن يقال للرجُل إذا عثر : دع ، دع ، أى : قم . والدعداع الرجل القصير ..... » .

ومعنى هذا أنه يجمع مشتقات الكلمة فى موضع واحد. فمادة : ع د ، ذكر من صورها عد ، عدد ، دع ، دعدع. ويطرد هذا فى كتاب العين ، إذ هو إحدى قواعده التى أشرت إليها من قبل .

٩ - يلاحظ أنه لم يعن بالضبط ، فلم يجعله سمة لازمة لكتابه ، وربما كان ذلك لعـدم حاجـة معـاصريه إليه : ففى المادة السابقـة ، قـال : « العدة : جماعة قلت أو كثرت .. ، والعدة مايعد لأمر يحدث فيذخر له » .

فهل هما بكسر العين أو بضمها ، أو بالفتح فى أحدهما والضم فى الآخر ، وأيهما

فيه ذلك ؟ وإذا كان ذيوع هذه المادة لايعوز إلى ضبطها ، فإن هناك كثيراً يحتاج إلى الضبط الدقيق .

١٠ - بدأ في علاج المادة بذكر مجردها ، وهو مبدأ هام يرعاه المعجميون : يجردون الكلمة ، ويضعونها في مكانها بين مواد المعجم ، حسب النهج الذى ارتضوه لترتيبه ، ثم يشرحونها مجردة ، ومزيدة . وندر من سجل المواد بحالها ،ونظر إليها وحدة كاملة ، وإن ترتب على ذلك تكرار ذكر المادة في مواضع عدة [١] .

١١ - إذا ذكر النبات أو الحيوان أو الحشرات ، يشعر القارىء أن التعريف بها يحتاج إلى المزيد، وربما احتاج هذا التعريف إلى شرح وتفسير .

قال في مادة : د ع : «والدعاعة حبة سوداء كالشينيز[٢] تأكلها بنوفزارة، وكذلك فقراء البادية إذا أجدبوا، والدعاعة: نخلة ذات جناحين، شبهت بتلك الحبة» وفي مادة: ق ف ع ، يقول: «القفعاء حشيشة خوارة خشناء الورق من نبات الربيع لها نور أحمر مثل شرر النار، وورقها مستعليات من فوق، وثمرتها مقفعة من تحت. قال: ماتنبت القفعاء والحسك»[٣]. ويقول في: ج ع ب: «الجُعَبى: ضرب من النمل أحمر والجمع جُعَبيات».

١٢ - هذا ، وكان من رأى الخليل أن يجمع في معجمه الواضح المشهور ، والغريب من المواد على السواء ، لأن ذلك أصون للغة وأحفظ لها ، ومايكون مشهوراً لدى جماعة ربما كان غريبا عند آخرين . هذا إلى أن الوضوح والغرابة قد وضعت لهما مقاييس يوقف عندها نوعاً ما كالتلقى عن فصيح القبائل ، والاعتماد على الصريح من المنقول، وكالرجوع إلى الجرس والحس ، وشيوع الاستعمال وغير ذلك من المقاييس . غير أن الفصل في هذا أمر نسبي ، للرأى والذوق الخاص فيه مجال كبير . وقد سجل الخليل نفسه اتجاهه في بدء كتابه بقوله « .. ونضم إليه مابعده حتى يستوعب منه كلام

(١) صنع ذلك الشيخ محمد التجارى المصرى (ت ١٣٣٢ هـ) في معجمه المنسوب إليه .

(٢) الشينيز والشونيز والشونوز : الحبة السوداء . (القاموس المحيط) .

(٣) شجرة ينبت فيها حلق كحلق الخواتيم إلا أنها لاتلتقى ، تكون كذلك مادامت رطبة فإذا يبست سقطت . (القاموس المحيط) .

العرب الواضح والغريب [1] » واللغويون بعد الخليل منهم من سار على رأيه فجمع فى معجمه ماصح وغيره ، ومنهم من اقتصر على المشهور وأهمل الوحشى الغريب .

طريقة البحث فى كتاب العين :

من الممكن بعد تتبع ماسبق أن تتخذ الخطوات الآتية بعد ، للبحث عن معنى اللفظة فى كتاب العين :

١ - تجريد الكلمة من الحروف الزائدة ورد الجموع إلى مفرداتها ، إذ أن ذلك يؤدى إلى معرفة المادة الأصلية .

٢ - إذا كانت الكلمة مضعفة مثل رد ، زلزل ، يستغنى عن التضعيف لتعود الكلمة إلى أصولها : ثنائية أو ثلاثية مثلاً ، ثم يبحث عنها فى بنائها الثنائى أو الثلاثى .. وهكذا ....

٣ - ترتب حروف المادة ترتيباً صوتياً حسب النظام الذى اختاره الخليل . ويبحث عن مشتقات المادة فى باب أسبق حروفها من حيث المدارج الصوتية : فلفظ : جعد ، يبحث عنه فى مادة : ع ج د ؛ ولفظ : هجع ، فى : ع هـ ج .. وهكذا ...

ولاشك أن جميع ماسبق يتطلب من الباحث دراية سابقة بكثير من القواعد الصرفية والنحوية ، كما يتطلب درايته سلفاً بالتنظيم الصوتى الذى اختاره الخليل ، وبطريقته فى رد المشتقات إلى مادة تعتبر أصلا لها جميعاً ويفتقد البحث عنها فى غير هذا الموضع ، مماحدا العلماء من بعده إلى تناول منهجه بالتعديل فى ناحية منه أو أكثر، وكان ذلك سبباً فى نهضة معجمية عظيمة .

---

(١) مقدمة كتاب العين : القسم المطبوع (ط بغداد ١٩١٣ م) ، ص ١٠ .

نقد كتاب العين

يبدو أن عزلة الخليل بن أحمد وانصرافه عن أن يدون كتبه بنفسه ، وسيره على سنة أمثاله من إملاء آرائه العلمية على تلاميذه المتصلين به [1] كماأملى آراءه ومقاييسه النحوية على تلميذه سيبويه فتلقاها بما هي أهل ، ودونها بلفظه ولفظ الخليل - يبدو أن هذا وغيره ساعد الزمن على أن يخفي آراءه التي دونت في كتاب العين بعضاً من الوقت فلم يظهر هذا الكتاب إلا بأخرة في أيام أبي حاتم السجستاني (ت ٢٥٥ هـ) ، وكان هذا داعية لأن يوجه بعض الناقدين قولهم : إن الخليل لم يؤلف كتاب العين ، وإنما صنع قطعة منه ، ثم أكمل تلميذه الليث بن نصر بن سيار الخراساني [2] الكتاب ، فجاء مليئاً بالأغلاط التي ينزه عنها الخليل .

ولعل أعنف من بدأ التشهير بكتاب العين ونفى نسبته للخليل ، هو الأزهري أبو منصور محمد بن أحمد بن أزهر اللغوي الهروي (٢٨٢ - ٣٧٠ هـ) ، فقال في كتابه : التهذيب : « كان الليث رجلا صالحاً ، عمل كتاب العين ونسبه إلى الخليل لينفق كتابه باسمه ويرغب فيه [3] » وقال أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي (ت بعد سنة ٣٥٠ هـ) في كتابه : مراتب النحويين : « أبدع الخليل بدائع لم يسبق إليها ، فمن ذلك تأليف كلام العرب على الحروف في كتابه المسمى : « كتاب العين » ،فإنه هو الذي رتب أبوابه ، وتوفي من قبل أن يحشوه [4] . وردد هذا التعبير كثير من العلماء من رجال القرن الرابع الهجري ، كالسيرافي (ت -٣٦٨ هـ) في: طبقات النحاة : وأبي عمر الزاهد

---

(١) يقول الليث بن المظفر بن نصر بن سيار : « . . وكان (الخليل) يملي علي مايحفظه ، ومايشك فيه يقول لي سل عنه ، فإذا صح فأثبته ، إلى أن عملت الكتاب . ابن النديم : الفهرست : ٧٠ ؛ معجم الأدباء : ١٧ / ٥١ .

(٢) ويذكر بعضهم أن اسمه : الليث بن المظفر بن سيار، ويقول آخرون إنه : الليث بن رافع بن نصر بن سيار ، انظر ترجمته في : مراتب النحويين : ٣١ . إنباه الرواة : ٢ / ٤٢ ؛ معجم الأدباء : ١٧ / ٤٣ ؛ بغية الوعاة : ٢ / ٧٠ .

(٣) المزهر : ١ / ٢٧ وانظر : معجم الأدباء : ١٦ / ٤٣ .

(٤) انظر مراتب النحويين : ٣٠ ، ط . نهضة مصر بالقاهرة ١٩٥٥ .

(٢٦١ - ٣٤٥ هـ) . وأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدى (ت ٣٧٩ هـ)مؤلف مختصر العين . وكذلك نقده أبو على الفارسى (ت ٣٧٧ هـ) وروى هذا النقد تلميذه أبو الفتح بن جنى (٣٢١ - ٣٩٢ هـ) ويقال كذلك إن أبا حاتم السجستانى (ت ٢٥٥ هـ) قبل هؤلاء جميعا ، أنكره حين وفد به أحد الوراقين من خراسان ، على حين أن أحدا من تلاميذ الخليل المباشرين أو المعاصرين لم يذكره أو يحك عنه ، فقد كانوا أولى من غيرهم بذكره ، والحكاية عنه ،لو أنه من مصنفات الخليل .

وتتلخص بعض وجوه النقد لكتاب العين فيمايلى:

١ - أن الكتاب يسير فى بعض آرائه على مذهب الكوفيين ، والخليل عاش فى البصرة وتخرج على يديه كثير من علماء البصرة ومنهم تلميذه سيبويه. ومن هذه الآراء : « مابدىء الكتاب به وبنى عليه ، من ذكر مخارج الحروف فى تقديمها وتأخيرها ، وهو على خلاف ماذكره سيبويه عن الخليل فى كتابه ، وسيبويه حامل علم الخليل وأوثق الناس فى الحكاية عنه .. وكذلك مامضى عليه الكتاب كله من إدخال الرباعى المضاعف فى باب الثلاثى المضاعف ، وهو مذهب الكوفيين خاصة [١] » .

٢ - التبويب الذى سار عليه كتاب العين ، وتثقيف الثنائى الخفيف من الصحيح والمعتل والثنائى المضاعف من المعتل، والثلاثى المعتل بعلتين ، وجعل ذلك كله فى باب سماه : « باب اللفيف » [٢] .

٣ - اضطرابه فى جمع المواد ، وخلطه بين الرباعى والخماسى .

٤ - استشهاد الكتاب بشعر بعض الشعراء المحدثين .

٥ - أخذه عن بعض الرواة الذين جاءوا بعد وفاة الخليل .

٦ - اشتماله على كثير من التصحيفات التى ينزه عن مثلها الخليل ، من ذلك ماذكره فى باب زعل :« الزعلول : الخفيف من الرجال ، وإنما هو الزغلول بالغين المعجمة ، نقلا عن أبى عمرو الشيبانى ؛وفى باب عسو : عسا الليل : أظلم ، وإنما هو غسا بالغين المعجمة ؛ وفى باب جحل :الجحل : أولاد الإبل ، وهو غلط ، إنما هو الحجل بالحاء قبل الجيم. وفى باب لحص: التلحيص استقصاء خبر الشىء وبيانه، وإنما هو التلخيص بالخاء المعجمة ؛ وفى باب همس الهمسة : الكلام والحركة ، وإنما هى بالشين المعجمة [٣] » .

---

(١) من كلام أبى بكر الزبيدى ، نقله السيوطى : المزهر : ١ / ٥٢ .

(٢) المزهر :١ / ٥٣ .

(٣) المزهر : ٢ / ٢٣٧ ، ومابعدها .

ومن جهة أخرى نجد العلماء يكادون يطبقون على الاعتراف بفضل الخليل وعلمه وذكائه ، وكثير منهم تصدى للدفاع عما وجه إلى كتاب العين من نقد .

والقفطى ، فى ترجمته للخليل ، يقول : « والذى تحقق أن الخليل صنفه : (كتاب العين) فى اللغة ، مشهور ، كتاب العروض ، كتاب الشواهد، كتاب النقط والشكل ، كتاب النغم ، كتاب فى العوامل ، منحول عليه [1] » .

وذكر أبو الفتح بن جنى فى سياق نقده كتاب العين : « .. وإن كان للخليل فيه عمل فإنما هو أنه أومأ إلى عمل هذا الكتاب إيماء ، ولم يله بنفسه ، ولاقرره ولاحرره .

ويدل على أنه قد كان نحا نحوه أنى أجد فيه معانى غامضة ونزوات لفكرة لطيفة وصنعة فى بعض الأحوال مستحكمة [2] » .. وهو نقد أشبه بالثناء والاعتراف ببراعة التأليف وإحكام الصنعة .

ويقول أبو بكر بن دريد : « قد ألف الخليل بن أحمد كتاب العين فأتعب من تصدى لغايته ، وعنى من سما إلى نهايته ، فالمنصف له بالغلب معترف ، والمعاند متكلف، وكل من بعده له تبع ، أقر بذلك أم جحد . ولكنه رحمه الله ، ألف كتابه مشاكلا لثقوب فهمه وذكاء فطنته ، وحدة أذهان أهل دهره [3] » .

وكذلك عالج الباحثون وجوه النقد المشار إلى بعضها من قبل،فعزوا استشهاد الكتاب ببعض أشعار المتأخرين عن الخليل ، وكذلك بعض الرواة المحدثين ، إلى أن ذلك من عمل النساخ أو التلاميذ الذين كانـوا يدونون ملحوظاتهم وتعليقاتهم بهـوامش الكتب ، فيدخلها الوراقون ،جهلا، بمتن الكتاب، عند نسخه . وكذلك يذكرون أن الكتاب صدر بمايؤكد أنه من رواية الليث عن الخليل ، وأن ذلك مثبت فى الكتاب جميعه ، وقد ورد سند الرواية فى بعض المصادر، وإن لم يسلم من النقد والمناقشة ؛ فتحدث أحمد بن

(١) القفطى : إنباه الرواة : ١ / ٣٤٦ .
(٢) الخصائص : ٣ / ٢٨٨ .
(٣) ابن دريد : الجمهرة : ١ / ٣ .

فارس عن مصادر كتابه :« المقاييس » فقال :« فأعلاها وأشرفها كتاب أبي عبدالرحمن الخليل بن أحمد ، المسمى كتاب العين .أخبرنا به علي بن إبراهيم القطان فيماقرأت عليه، أخبرنا أبو العباس أحمد بن إبراهيم المعداني ،عن أبيه إبراهيم بن إسحق ، عن بندار بن لرّة [1] الأصفهاني ،ومعروف بن حسان عن الليث عن الخليل [2] » . وذكر السيوطي طريقا آخر لرواية كتاب العين ، قال : « روى أبو علي الغسان كتاب العين عن الحافظ أبي عمر بن عبد البر عن عبد الوارث بن سفيان عن القاضي منذر بن سعيد عن أبي العباس أحمد بن محمد بن ولاد النحوي عن أبيه عن أبي الحسن علي بن مهدي عن أبي معاذ عبد الجبار بن يزيد عن الليث بن المظفر بن نصر بن سيار عن الخليل [3] » . وإذاً فهناك أكثر من سند في رواية كتاب العين عن الخليل. وإذا صدق اعتراف الأزهري بصلاح الليث ، وتلقى الناس عنه الرأي بالقبول ، صح أن يقال : إن صلاح الليث يحول دون أن ينحل إنساناً شيئاً ليس له ، بل إنه يسمح بتلقي اعترافه بأن الكتاب ليس له .
قال ياقوت : « حدث أبو الحسن علي بن مهدي الكسروي : حدثني محمد بن منصور المعروف بالراح المحدث ، قال : قال الليث بن المظفر بن نصر بن سيار : كنت أصير إلى الخليل بن أحمد ، فقال لي يوما : لو أن إنسانا قصد وألف حروف : أ ، ب ، ت ، ث على ماأمثله لاستوعب في ذلك جميع كلام العرب ، وتهيأ له أصل لايخرج منه شيء ألبتة . قال : فقلت له : وكيف يكون ذلك ؟ قال : يؤلفه على الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي ، فإنه ليس يعرف في كلام العرب أكثر منه . قال الليث: فجعلت أستفهمه ويصف لي ، ولاأقف على مايصف ، فاختلفت إليه في هذا المعنى أياما ثم اعتل وحججت ، فمازلت مشفقاً عليه وخشيت أن يموت في علته فيبطل ماكان يشرحه لي. فرجعت من الحج : وصرت إليه ، فإذا هو قد ألف الحروف كلها على ماهي في

---

(١) ذكر ياقوت أنه : بندار بن عبد الحميد الكرخي الأصبهاني ، ويعرف بابن لرة ، أخذ عن أبي عبيد القاسم بن سلام، وأخذ عنه ابن كيسان ، ورآه المبرد ذا منزلة عالية متقدما في اللغة ورواية الشعر . معجم الأدباء : ٧ / ١٢٨ ؛ وانظر بغية الوعاة : ١ / ٤٧٦ .

(٢) ابن فارس : المقاييس : ١ / ٣ .

(٣) المزهر : ١ / ٥٦ - ٥٧ .

الكتاب . وكان يملى علىّ مايحفظ وماشك فيه يقول لى : سل عنه ، فإذا صح فأثبته، إلى أن عملت الكتاب »[1] .

وقبول اعتراف الليث بأن الكتاب من وضع الخليل ، ومن إملائه أولى من قبول أسطورة لم يقم عليها دليل .

ومارآه العلماء من تصحيف فى الكتاب أو من الاستشهاد بآراء المحدثين ، أو بأشعارهم ، يمكن دفعه بماذكر قبل ، ويمكن كذلك تصفية هذا الذخر اللغوى الذى سطا عليه اللغويون بعده ، وقبسوا فكرته ومذاهبه ، وتتلمذوا على جميع مابه . ولو أنه قدر للخليل فسحة من الوقت فراجع ماعمله لنفى عنه ماكان موضع اعتراض النقاد ، كماصنع الأصمعى فى كتابه : « النوادر » ، حين قرىء عليه بعد أن أملاه فأنكر بعضا منه وأمر تلاميذه بحذف ماأشار بحذفه ، واستنساخه له بعد تصفيته .

وقال السيوطى: إن مأأخذ على كتاب العين بعضه من خطأ فى التصريف والاشتقاق ، وبعضه تصحيف ، أى لادخل للخليل فيه ، يقول : « وقد طالعته (أى كتاب العين)فرأيت وجه التخطئة فيماخطىء فيه غالبه من جهة التصريف والاشتقاق، كذكر حرف مزيد فى مادة أصلية أو مادة ثلاثية فى مادة رباعية ، ونحو ذلك ، وبعضه ادعى فيه التصحيف ، وأما أنه يخطأ فى لفظة من حيث اللغة بأن يقال هذه اللفظة كذب أو لاتعرف فمعاذ الله لم يقع ذلك . وحينئذ لاقدح فى كتاب العين ؛ لأن الأول : الإنكار فيه راجع إلى الترتيب والوضع فى التأليف وهذا أمر هين لأن حاصله أن يقال : الأولى نقل هذه اللفظة من هذا الباب وإيرادها فى هذا الباب ، وهذا أمر سهل وإن كان مقام الخليل ينزه عن ارتكاب مثل ذلك، إلا أنه لايمنع الوثوق بالكتاب والاعتماد عليه فى نقلَ

---

(١) ابن النديم : الفهرست : ٧٠ ، ط. مطبعة الاستقامة بالقاهرة ؛ معجم الأدباء : ١٧ / ٥١ .

ويروى نظير ذلك مع الأصمعى وقد أراد الخليل أن يعلمه العروض، فتعذر ذلك على الأصمعى وبعد عنه فيئس الخليل منه ، فقال له يوما : ياأبا سعيد كيف تقطع قول الشاعر :

إذا لم تستطع شيئا فدعه وجاوزه إلى ماتستطيع .

فعلم الأصمعى أن الخليل قد تأذى ببعده عن علم العروض ، فلم يعاوده فيه . الخصائص : ٣٦١/١ - ٣٦٢.

اللغة . والثاني ، إن سلم فيه ماادعى من التصحيف ، يقال فيه ماقالته الأئمة : ومن ذا الذى سلم من التصحيف ، مع أنه قليل جداً . وحينئذ يزول الإشكال [1] » .

وبعد : فإن القضية لم تحل بعد ، ولاشك أن اهتمام اللغويين بكتاب العين ، وفى مقدمتهم أول من انتقده وهو أبو منصور الأزهرى ، ومن استدرك عليه متعقبا مااعتبره أخطاء لاتقبل من الخليل ، محاولا إصلاحها ، كأبى بكر الزبيدى فى كتابيه : الاستدراك ، ومختصر العين ، وغيرهما من اللغويين ، لاشك أن هذا تقدير للكتاب عظيم ، وسواء فى ذلك أن ينسب للخليل أو لاتصح نسبته إليه .

وسار على نهج الخليل فى مبادىء كتابه الثلاثة التى أسلفنا عليها القول، وهى نظام الترتيب الهجائى حسب المخارج الصوتية مع تعديل فى بعضها عند القالى، وحشد مشتقات المادة ومقلوبات وجوهها فى موضع واحد، مع مراعاة الأساس الصوتى، وتقسيم المواد حسب الأبنية مع تعديل كذلك فيها عند أكثرهم سار على هذا المنهج من العلماء: أبو على القالى (٢٨٨ - ٣٥٦هـ) فى كتابه: «البارع»، وأبو منصور الأزهرى (٢٨٢-٣٧٠ هـ) فى:«تهذيب اللغة» وأبو بكر الزبيدى (ت٣٨٩هـ) فى كتابه:«مختصر كتاب العين» والصاحب بن عباد(٣٢٦ - ٣٨٥ هـ) فى كتابه: «المحيط » وعلى بن سيده الأندلسى (و. حوالى سنة ٣٩٨ - ٤٥٨ هـ) فى : «المحكم والمحيط الأعظم » .

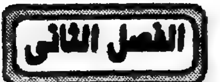
كما تعقب كتابه كثيرون ناقدون ، أو مستدركون أو مكملون ، منهم أبو طالب المفضل ابن سلمة (ت ٣٠٨ هـ)فى كتابه :« الرد على الخليل وإصلاح مافى كتاب العين من الخطأ » وأبو عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد بن موسى الكرمانى (ت ٣٢٩ هـ) فى: « كتاب ماأغفله الخليل فى كتاب العين [2] » ، وأبو حامد أحمد بن محمد البشتى الخرزنجى (ت ٣٤٨ هـ) فى :« كتاب التكملة » وأبو بكر محمد بن الحسن الزبيدى (ت - ٣٧٩ هـ) فى كتاب : « استدراك الغلط الواقع فى كتاب العين »

واتبع بعض العلماء : كتاب العين فى بعض خصائصه مماأدى إلى ظهور معاجم ذات مناهج تمثل مراحل جديدة فى ميدان الكتابة اللغوية .

---

(١) المزهر ، ١ ، ٥٣ .

(٢) ذكر السيوطى أن اسم الكتاب : « الجامع فى اللغة » ذكر فيه ماأغفله الخليل فى العين وماذكر أنه مهمل وهو مستعمل وقد أهمل . بغية الوعاة : ١ / ١٤٤ .



أبو بكر محمد ابن الحسن بن دريد (٢٢٣ - ٣٢١ هـ)

صاحب جمهرة اللغة

ابن دريد :

يعد كتاب « جمهرة اللغة » لأبى بكر بن دريد خطوة تالية للخطوة التى بدأها الخليل بن أحمد (١٠٠ - ١٧٠ أو ١٧٥ هـ) فى كتاب « العين » : فقد عدل ابن دريد منهج وضع المعجم المجنس ، بعد مارأى الصعوبة الشاقة التى يلقاها الباحث فى معجم الخليل .

وأبو بكر محمد بن الحسن بن دريد من أصل عربى، كالخليل، وينتهى نسبه إلى يعرب ابن قحطان. ولد بالبصرة سنة ثلاث وعشرين ومائتين، ونشأ بعُمان على ساحل الخليج العربى، وتنقل فى الجزائر البحرية بين البصرة وفارس، وطلب الأدب وعلم النحو واللغة .

وكان أبوه من الرؤساء ذوى اليسار ، نشأ ولده تنشئة أهلته لأن يتصدر فى العلم ستين سنة ، وعد رأس أهل العلم ، والمقدم فى حفظ اللغة والأنساب وأشعار العرب[١].

وقال أبو الطيب اللغوى فى كتاب « مراتب النحويين » ، عند ذكر ابن دريد : « هو الذى انتهت إليه لغة البصريين وكان أحفظ الناس ، وأوسعهم علما، وأقدرهم على شعر، ومازدحم العلم والشعر فى صدر أحد ازدحامهما فى صدر خلف الأحمر [٢]، وابن دريد[٣] » وكذلك كان يقال عنه :« ابن دريد أشعر العلماء وأعلم الشعراء [٤] » ،

---

(١) القفطى : إنباه الرواة : ٣ / ٩٣ .

(٢) خلف بن حسان ، ويكنى أبا محمد وأبا محرز، وكان أعلم الناس بالشعر . توفى فى إحدى وثمانين ومئة . مراتب النحويين : ٤٦ ؛ بغية الوعاة : ٤١ / ٥٥ .

(٣) مراتب النحويين : ٨٤ ؛ معجم الأدباء : ١٨ / ٢٨ .

(٤) معجم الأدباء : ١٨ / ١٢٩ .

« ذلك أن له شعراً رائقاً غزيراً بلغ نحو خمس مجلدات أو تزيد » [1] .

وله فى مدح الأمير أبى العباس إسماعيل بن عبدالله الميكالى قصيدته المشهورة : « مقصورة ابن دريد » .

واتفق يوم وفاته من سنة إحدى وعشرين وثلثمائة ووفاة أبى هاشم الجبائى [2] ودفنهما جميعا فى مقبرة واحدة ، فقال الناس :مات علم اللغة والكلام بموتهما [3] .

إذا ، فقد أوتى ابن دريد مالم يقدر لكثير من الناس : كان من السراة الذين أوتوا حظا من الجاه والشرف والمال ، وكان موهوبا، منحه الله سعة الحفظ والقدرة عليه ، وكثرة العلم والتمكن منه ، وجمع إلى الرغبة فى العلم والإقبال عليه إرهاف الحس، ورقة الشعور والترجمة عن صادق المشاعر بالجزل من الشعر والعذب منه كذلك ، ورزق مع كل هذا فسحة الأجل ، فقد عمر ثمانية وتسعين عاما حافلة بالفيض من ألوان الخير .

والحديث عن ابن دريد وإنتاجه العلمى يمكن أن يطول، طول عمر ابن دريد، وأن يتسع سعة ماحفل به من غزارة وخصب. ولكن فى ميدان المعاجم اللغوية يستطاع أن يقال : إنه من مصنفى معاجم الموضوعات ومعاجم الألفاظ ، فله من النوع الأول: كتاب السرج واللجام ،كتاب صفة السحاب والغيث، ورواد العرب، وكتاب الخيل الكبير، وكتاب الخيل الصغير،كتاب الأنواء، وكتاب السلاح، وكتاب غريب القرآن، وغيرها من الكتب [4]

وله من النوع الثانى هذا المعجم الضخم :« جمهرة اللغة » ،موضوع هذا الحديث .

ونقف قليلا عند تسمية هذا المعجم باسم : الجمهرة ، فنرى أن ابن دريد لم يضع هذا الاسم اعتباطا ، ولكن هناك سببا أشار إليه فى أكثر من موضع من كتابه ، وهو اختيار الجمهور من كلام العرب وترك الوحشى المستنكر ، فقد قال فى تقديمه له : « وإنما أعرناه هذه الاسم لأنا اخترنا له الجمهور من كلام العرب وأرجأنا الوحشى المستنكر [5] »

(١) إنباه الرواة : ٣ / ١٠٠ .
(٢) أبو هاشم عبد السلام بن محمد الجبائى . كان هو وأبوه من كبار رجال المعتزلة .
(٣) إنباه الرواة : ٣ / ٩٦ ؛ معجم الأدباء : ١٨ / ١٢٧ .
(٤) بعض هذه الكتب طبع فى الهند وبعضها طبع فى أوروبا وكتاب « غريب القرآن » لم يتمه ابن دريد . بغية الوعاة : ١ / ٧٨.
(٥) الجمهرة : ١ / ٤ .

ويقول فيه كذلك :« على أنا ألغينا المستنكر واستعملنا المعروف .[1] » ويقول كذلك :« وإنما كان غرضنا فى هذا الكتاب قصد جمهور اللغة وإلغاء الوحشى المستنكر [2] » . فسمح ابن دريد لنفسه أن يكون حكماً فى مواد اللغة ، يقضى فى بعضها بأنه وحشى مستنكر ، وينزه كتابه عنه ، ويألف بعضها الآخر فيثبته . ويبدو أن هذا الحكم لم يسلم له ، فاللغويون قرءوا كتابه فاستنكروا بعض ماأثبت ، وعقبوا عليه . وكذلك كان يصنع مع كل لغوى يدعى هذا الادعاء .

ولاشك أن إغفال اللغويين ماأغفلوه من مواد اللغة لمثل هذا السبب أو لغيره ، أضاع جزءا من الثروة اللغوية ، وكان من المحتمل كذلك أن يكون موضع الدرس التاريخى والفقهى للغة فى عصر كعصرنا هذا .

بحوث لغوية .

يبدو تأثر ابن دريد الشديد بالخليل بن أحمد وبكتاب العين فى أنه قدم بما قدم لكتابه : « الجمهرة » بالمقدمة المشتملة على بعض المبادىء والبحوث اللغوية . بل لقد حفظ فى هذه المقدمة آراء هامة لها وزنها فى الدراسات الحديثة .وبعض هذه الآراء تعد امتداداً لمادونه الخليل بن أحمد فى مقدمة كتاب العين أو تسجيلا جديداً له ، وذلك حديثه عن صفة الحروف وأجناسها، فقد وضعها فى سبعة أجناس يجمعهن لقبان : المصمتة والمذلقة، فالمذلقة: ستة أحرف[3]، والمصمتة اثنان وعشرون حرفا؛ وعلل لتسمية حروف الذلاقة بأن « عملها من طرف اللسان وطرف كل شىء ذلقه ، وسميت الأخرى مصمتة لأنها أصمتت أن تختص بالبناء إذا كثرت حروفه لاعتياصها على اللسان » ويبين مدارج الحروف الستة قريبا من البيان الذى ورد فى كتاب العين ، ولكنه يفيد كثيراً من آراء النحويين ويتحدث عن صفة الحروف فيقسمها إلى : مهموسة ، « اتسع لها المخرج فخرجت كأنها متفشية [4] » وعددها عشرة أحرف [5] .

---

(1) الجمهرة : ١/٤. (٢) الجمهرة ٥١٤/٣. (٣) هى: (ر / ل / ن / ف / ب / م).

(٤) ويلاحظ أن الوترين الصوتيين المكتنفين الحنجرة ينفرجان مع الحروف المهموسة ويسمحان للنفس أن يمر خلالهما بينما يتضام الوتران مع الحروف المجهورة ، ويتذبذبان عند النطق بها. ويقول سيبويه إن الحرف المجهور حرف أشبع الاعتماد عليه فى موضعه ، ومنع النفس أن يجرى معه حتى ينقضى الاعتماد عليه ويجرى الصوت .. أما المهموس فحرف أضعف الاعتماد فى موضعه حتى جرى النفس معه . سيبويه الكتاب : ٢ / ٤٨٩ ؛ الاستراباذى : شرح الشافية : ٣ / ٢٥٨ برجشتراسر : التطور النحوى : ٧ .

(٥) هى : (هـ / ح / خ / ك / س / ش / ث / ص / ت / ف) .

ومجهورة لم يتسع لها المخرج فلم تسمع لها صوتاً ، وهى تسعة عشر حرفاً .

ويقسمها تقسيما آخر: إلى رخوة [1]، وهى أربعة عشر حرفا [2]، وشديدة، وهى بقية الحروف، ويلاحظ أن إدراج بعض الحروف تحت بعض هذه الأنواع تعرض للمناقشة .

وهناك بعض القوانين الصوتية عرض لها ابن دريد كقوله : « إنه لايكاد يجيء فى الكلام ثلاثة أحرف من جنس واحد فى كلمة واحدة » ويقتبس ألفاظ الخليل الواردة فى كتاب العين فيقول : « لولا بحة فى الهاء لأشبهت العين ، فلذلك لم تأتلفا فى كلمة واحدة » .

ويبدو أن ابن دريد لم يعرف غير اللغة العربية ، فقد تحدث عن الحروف التى استعملها العرب فى الأسماء والأفعال والحركات والأصوات وقال : « إنها تسعة وعشرون حرفاً، مرجعهن إلى ثمانية وعشرين حرفاً منها، حرفان مختص بهما العرب دون الخلق وهما الحاء والظاء». ثم يقول: «وزعم آخرون أن الحاء فى السريانية والعبرانية والحبشية كثيرة [3]» وهذا ليس زعما، فالحاء موجودة فى هذه اللغات الثلاث .

وينتهز فرصة حديثه عن الحروف التى اختص بها العرب أو شاركهم فيها غيرهم فيعرض لبعض اللهجات العربية كاستخدام حرف « الجاف » الفارسى عند بنى تميم ونطقه بين القاف والكاف العربيتين كقول شاعرهم :

ولاأكول لكدر الكوم قد نضجت ولاأكـــول لبـــاب الدار مكفول

---

(١) الحروف الرخوة حروف يجرى الصوت عند النطق بها ، والشديدة لايجرى الصوت عند النطق بها بل يسمع فى آن ثم ينقطع، ويعبر عنه فى الاصطلاح الحديث : بالانفجارية . كمايعـبر عن الرخوة بالاحتكاكية . ويلاحظ أن الجهر « لااعتبار بعدم جـرى الصوت فيه ، بل الاعتـبار فيه بعدم جرى النفس عند التصويت بها » .

سيبويه : الكتاب : ٢ / ٤٨٩ ؛ الاسترباذى : شرح الشافية : ٣ / ٢٥٨ برجشتراسر : التطور النحوى : ٧ .

(٢) هى : (ح / ك / خ / س / ش / ع / غ / ص / ض / ظ / ذ / ث / ف / ز) .

(٣) الجمهرة : ١ / ٤ .

والبيت كماورد في نسخة أخرى هو :

ولأقول لقدر القوم قد نضجت   ولأقول لبـــاب القـوم مقفول[1]

وفي أحد الأبواب التي اشتملت عليها مقدمة الجمهرة « باب معرفة الزوائد ومواقعها » يتناول حروف الزيادة حرفاً حرفاً ويبين أماكن زيادتها ، ويقول إنه يستطاع التعرف أحيانا على الحروف المزيدة بالعودة إلى أصل المادة ، فالهمزة في نحو أخضر وأصفر وأحمر مزيدة لأنها من الخضرة والصفرة والحمرة ، وكذلك الميم في نحو مضروب ومقتول ومرمي ومقضي .

وفي«باب الأمثلة التي أصلها النحويون واصطلح عليها أهل اللغة»يقسم الأبنية إلى ثلاثية ورباعية وخماسية، الثلاثية عشرة أوزان، والرباعية خمسة والخماسية أربعة، ويذكر الأوزان ويمثل لها، ويعود إلى النحويين فيقبس عنهم[2]. غير أن ابن دريد عند تبويب كتابه، لم يسر على هذا المنهج، وإنما أحدث تفريعات كثيرة أضافت إلى كتابه بعض الأعباء .

نهج الجمهرة :

كان للخليل بن أحمد فضل ارتياد الطريق إلى وضع معاجم الألفاظ على أسس علمية دقيقة، فلم يترك لمن بعده من اللغويين غير البحث عن تيسير السبيل وتمهيدها ، ومتابعة نهجه أو تعديله ، إذا شاءوا ، فمنهم من سارعلى دربه ومنهم من حاول أن يضيف جديداً.

وقد اعترف ابن دريد بجهود من سبقه في الميدان اللغوي وشكر لهم صنيعهم ، فقال : « ولم أجر في إنشاء هذا الكتاب إلى الإزراء بعلمائنا ، ولا الطعن في أسلافنا، وأنى

(١) الجمهرة : ١ / ٥ . وقد أشار ناشر الكتاب إلى اختلاف النسخ في تدوين هذا البيت . ويقول ابن فارس في كتابه « الصاحبي » : « فأما بنو تميم فإنهم يلحقون القاف باللهـاة حتى تغلظ جدا فيقولـون : « القوم » فيكون بين القاف والكاف ثم استشهد بالبيت :

ولأقول لقدر القوم ....

(٢) ذكر ابن دريد أوزان الأسماء فقط ، ولم يعرض لأبنية الأفعال . انظر : الجمهرة : ١ / ١١ .

يكون ذلك ،وإنما على مثالهم نحتذى ، وبسبيلهم نقتدى، وعلى ماأصلوا نبتنى [١] » .

غير أن رائده الأول ، الخليل بن أحمد ، سلك مسلكا وعرا فى وضع المعجم ، فرغب ابن دريد فى تمهيد أكنافه ، معتذرا بتغير الحالة العلمية فى عهده بالقياس إلى ماكانت عليه فى عهد الخليل ، فقال : « وقد ألف أبو عبد الرحمن بن أحمد الفرهودى (رضوان الله عليه) كتاب العين، فأتعب من تصدى لغايته ، وعنّى من سما إلى نهايته، فالمنصف له بالغلب معترف ، والمعاند متكلف ، وكل من بعده له تبع ، أقر بذلك أم جحد، ولكنه (رحمه الله) ألف كتابه مشاكلا لثقوب فهمه وذكاء فطنته وحدة أذهان أهل دهره . وأمليناً هذا الكتاب والنقص فى الناس فاش ، والعجز لهم شامل ، إلا خصائص كدراريّ النجوم فى أطراف الأفق ، فسهلنا وعره ووطأنا شأزه [٢] » .

وقد وضح من دراسة كتاب العين ،أنه وضع على أسس ثلاثة ، كان أصعبها مرتقى، فى رأى ابن دريد ، أنه بنى حسب الأبجدية الصوتية ، التى استنبطها الخليل . ومن ثم رأى أن يعدل فى وضع معجمه عن هذه الأبجدية ، ويختار بديلا عنها : الأبجدية المألوفة للناس (أ ب ت ث ...) فالأولى تتطلب سبق دراية الباحث بمخارج الحروف ومدارجها ، على حين تيسر الثانية سبيل الكشف عمايراد من الألفاظ . وقد تحدث ابن دريد عن منهجه هذا ، فقال : « وأجريناه على تأليف الحروف المعجمة ، إذ كانت بالقلوب أعبق [٣] ، وفى الأسماع أنفذ ، وكان علم العامة بها كعلم الخاصة ، وطالبها من هذه الجهة بعيداً من الحيرة مشفيا على المراد [٤] » .

وهكذا تغلب ابن دريد على إحدى الصعوبات التى تعترض الباحث فى كتاب العين، وبقى الأساسان الآخران وهما : حشد مشتقات المادة ووجوه مقلوبات حروفها فى موضع

(١) الجمهرة : ١ / ٣ .

(٢) الجمهرة : ١ / ٣ . والشأز بالزاى المعجمة مهموز العين : الغليظ والشديد . وفى القاموس المحيط : شئز كفرح شأزاً وشؤزاً فهو شئز وشأز : غلظ وارتفع واشتد .

(٣) عبق به من باب طرب : لزم : وفى نسخة أخرى من الجمهرة : أعنق وفى ثالثة : أعلق . ذكر ذلك ناشر الجمهرة .

(٤) الجمهرة : ٣/١ .

واحد ، وهو مايعرف بنظام التقليبات . والثاني :تبويب المعجم حسب الأبنية . وقد تابع ابن دريد فيهما الخليل ، وهما لايقلان وعورة عن الأساس الأول ، بل إن التخريجات الكثيرة التي افتعلها ابن دريد تزيدهما صعوبة ومشقة .

وقد تقدم توضيح نظام التقليبات والطريقة التي افترضت لحصر المواد اللغوية[1]، تلك الطريقة التي حاول الخليل بن أحمد أن يشرحها لتلميذه المظفر بن نصر بن سيار، ولكنه لم يظفر بها، ولم يستطع فهمها، وابن دريد يعود إلى شرح هذه الطريقة، ويسجلها في كتابه[2]، وليست هي من ابتداعه ولكنه، على مايبدو ارتضاها، واطمأن إلى سلامتها .

أما الأبنية فقد رأى ابن دريد أنها ستة ، وهي : الثنائي ، والثلاثي ، والرباعي والخماسي ، والسداسي ، أو على حد تعبيره : « الملحق بالسداسي بحروف من الزوائد »، واللفيف .

ويقصد بالثنائي : ماجتمع فيه حرفان شدد ثانيهما وهو مايعرف عند علماء الصرف: بالثلاثي المضاعف مثل : أبّ ، أزّ . أما الثلاثي فهو ماجتمع فيه ثلاثة أحرف ليس فيها تضعيف .

وأبواب الرباعي مجهورة على أوزان بينها ، هي بناء فَعْلَل كجعفر ، وفُعْلُلْ كبرثُن ، وفِعْلِل كعِظْلِم وفِعْلَل مثل هِجْرَع ، وفِعَلّ مثل سِبَطْر .

وكذلك بوب للخماسي أبوابا ، وللملحق بالسداسي بحرف من الزوائد . وألحق بهذه الأبواب ملحقات . وفصل الثلاثي المعتل عن أبواب الثلاثي السالم ، وكذلك جعل أبوابا لماجتمع فيه حرفان مثلان في أي موضع ، وأبوابا لماحق بالثلاثي الصحيح بحرف من حروف اللين ، مثل باب ، والمواد التي يعسر على الطالب العثور عليها في الأبنية السابقة يجدها في باب عقده ابن دريد أطلق عليه اسم « اللفيف »، ويراد به مالايراد عند علماء الصرف حين يقصدون منه : ماجتمع فيه حرفا علة في أي موضع إذ أن ابن دريد يقصد به كماشرح هو ذلك : « ماالتف بعضه على بعض » وهو اصطلاح غير

(١) انظر في هذا البحث : ص ٢٠ ومابعدها .

(٢) الجمهرة : ٣ / ٥١٣ .

واضح فإن ماحشده فى هذا الباب من المواد يمكن إدراجه فى أحد الأبواب الأساسية للكتاب ، وقصر الأبواب، أو بمعنى آخر : قلة مواد بعض الأبواب الفرعية المدرجة تحت باب اللفيف لايبرر إضافة هذا الباب ليزيد ارتباك القارىء .

وقد زاد ارتباكه كذلك بماحشده من المواد النادرة فى باب سماه « النوادر » جمع فيه النوادر من المواد المهموزة والنوادر من الأبنية ، وشتت العناوين ، وعددها معتمداً على سعة حفظه وفسيح استيعابه للغة .

وبتتبع أبواب الجمهرة يمكن حصرها فى سبعة عشر بابا ، هى :

(١) الثنائى الصحيح ، وهو ماضعف فيه الحرف الثانى ، مثل : أبب ، أزز .

(٢) الثنائى الملحق ببناء الرباعى المكرر وهو ماضعف فيه الحرفان ، مثل : ب ت ب ت ، زل زل .

(٣) الثنائى المعتل وماتشعب منه ، وذلك ببناء الحرف الصحيح مع أحد حروف العلة: الهمزة والواو والياء ، مثل : باء ، توى .

(٤) الثلاثى الصحيح وماتشعب منه ، مثل ب ث ج ، ب ك ل .

(٥) الثلاثى يجتمع فيه حرفان مثلان فى أى موضع ، مثل : ب ت ت ، ج ع ع .

(٦) الثلاثى عين الفعل منه أحد حروف اللين ، مثل : باب ، خاخ .

(٧) الثلاثى المعتل ، وقد عبر عنه ابن دريد بقوله : « مالحق بالثلاثى الصحيح بحرف من حروف اللين » مثل : ب ت (و - ا - ى) ، ب د (و - ا - ى) .

(٨) باب النوادر فى الهمز ، وهو ممألحق بأبواب الثلاثى ، مثل : أنت ، كلأ .

(٩) باب اللفيف فى الهمز مثل وزأ الإناء : ملأه ، ومنه ماجاء من المقصور مهموزاً، مثل : الرشأ ، والفرأ .

(١٠) أبواب الرباعى الصحيح ، مثل جُعْتُب ، ومنه الجعتبة ، ومعناها : الحرص والشره ، والبحتر بمعنى : القصير .

(١١) الرباعى ، جاء فيه حرفان مثلان ، مثل : دَرْدَق وهم صغار الناس ؛ دردبة وهى نوع من العدو يشبه عَدْو الخائف .

(١٢) الرباعى ، جاء علي أوزان : فِعَلّ ، وفِعِلّ ، مثل عِكَبّ ، وهو الغليظ الشفتين ، وخِدب ، وهو العظيم الخَلق .

(١٣) مايلحق به مماجاء على أوزان أخرى ذكرها ابن دريد وستأتى مناقشتها مع غيرها من الأبواب بعد قليل .

(١٤) الخماسى ، ولم يصرح ابن دريد بهذه التسمية إلا فى آخر الباب ، إذ قال : « هذا آخر أبنية الخماسى [١] » أما فى مبدئه فكان يعنون له بقوله :« من الزوائد » .

(١٥) السداسى ، ولم يذكر ابن دريد هذه التسمية ، وإنما عبر عن أبوابه بقوله : « أبواب ملحقة بالخماسى، بالزوائد التى فيها ، وإن كان الأصل غير ذلك » وقال مرة أخرى : « الملحق بالسداسى بحروف من الزوائد » .

(١٦) اللفيف وسماه ابن دريد لفيفا « لقصر أبوابه والتفاف بعضها إلى بعض [٢] »

(١٧) أبواب متفرقة من النوادر [٣] .

مناقشة المنهج :

وقد يسلم هذا التبويب لابن دريد ، لو أنه التزمه فلم يحدث فيه من الاضطراب والخلل مايسىء إليه ، غير أن الواقع غير ذلك .

فالثنائى الصحيح « لايكون ، فى نظر ابن دريد ، حرفين ألبتة إلا والثانى ثقيل حتى يصير ثلاثة أحرف ، اللفظ ثنائى والمعنى ثلاثى . وإنما سمى ثنائيا للفظه وصورته ، فإذا صرت إلى المعنى والحقيقة كان الحرف الأول أحد الحروف المعجمة ، والثانى حرفين مثلين أحدهما مدغم فى الآخر نحو بتّ يبتّ بتا ، فى معنى قطع [٤] » . والمفروض إذاً ، أن يقتصر ابن دريد فى هذا الباب على ماشرحه فى هذه الفقرة . فإذا أضيف إلى هذا المبدأ المبدأ الثانى وهو التقليب أمكن ، فى مثل المثال السابق ، أن يحشد من الألفاظ ما اشتق من حروف ب ت ت ومعكوسها. ت ب ب. غير أن ابن دريد يضيف إلى هذا سائر المشتقات، ممانبثق من اجتماع الحرفين: الباء والتاء ، فى أى موضع .

ففى مادة د ع ع ، يقول « دعه يدعه دعا : إذا دفعه دفعا عنيفا، وكذلك قال

---

(١) الجمهرة : ٣ / ٣٩٩ .

(٢) الجمهرة : ٣ / ٤٠٦ .

(٣) الجمهرة : ٣ / ٤٩٩ وما بعدها .

(٤) الجمهرة : ١ / ١٣ .

أبو عبيدة، فى التنزيل : يَدُعُّ اليَتيم ، والله أعلم . وقد ألحق بالرباعى ، فقيل: دَعْدَعَ الإناءَ : إذا ملأه »، ثم قال : « ومن معكوسه : عد عدا فى معنى الإحصاء ... » .

ففى هذه المادة : د ع ع ، شرح ابن دريد البناء الثنائى الصحيح د ع ع ، ومعكوسه : ع د د ، ولكنه كذلك شرح ، وفى تفصيل ، ماألحق بالرباعى من هذه المادة نفسها :

د ع د ع بتكرار حرفيه جميعاً .

فإذا انقضت أبواب الثنائى الصحيح ، تطرق إلى « أبواب الثنائى الملحق ببناء الرباعى المكرر » ، مثل : ب د ب د . ويذكر فى هذا الباب مادة : د ع د ع ، ويشرحها بتفصيل ، ويستشهد بالنصوص كماشرح واستشهد عند ذكرها فى « أبواب الثنائى الصحيح »، ويكاد أن يكون بنفس ألفاظه السابقة .

وتركيب الحروف مع مايليها لتكوين المواد، حسب النهج الذى سار عليه ابن دريد، ومن قبله الخليل، يقتضى أن تتركب الباء مع مابعدها إلى آخر الهجاء، ومنها الواو والياء، وهما حرفا علة. ومعنى هذا: أن بناء الثنائى الصحيح لم يسلم من ذكر مواد معتلة أيضا.مثال ذلك: الكاف ومابعدها: ك ل ل/ك م م /ك ن ن/ ك وو/ك هـ هـ/ ك ى ى .

وفى مادة : ل ى ى يقول : « لويت الشىء ألويه ليا. وهذه الياء واو قلبت ياء . ولويت الغريم ليًا وليّاناً : إذا مطلته .. ومن معكوسه يَلل الرجلُ يَيلَلُ يَللا ويَلاً ورجل أيَلُّ وامرأة يلاَّءُ ، وهو القصير الأسنان .. » .

ومع أن ابن دريد يقرر أن المادة أصلها : ل و ى فإنه يذكرها فى هذا الموضع من أبواب الثنائى الصحيح .

وكأن ابن دريد لايعترف بأن المادة السابقة ، وما ماثلها مماتركبت فيه الحروف الهجائية مع حرفى الواو والياء ، تدخل فى نطاق المعتل ، إذ أنه يخصص له بابا هو :« باب الثنائى المعتل وماتشعب منه »، وهو كذلك غير سديد الجمع .مثال ذلك أول مادة ذكرها فى هذا الباب : « باء »، فإن تحليلها يفيد أنها ثلاثية لاثنائية قال : « باء بإثمه يبوء به بوْءاً و بواء : إذا رجع به ....وآب الرجل يؤوب إيابا : إذا رجع إلى مستقره .... والبأو : الكبير . ويقال البأواء أيضا، ولاأدرى ماصحته .. »

فالمادة هنا مركبة من ثلاثة أحرف ، هى الباء ، والهمزة، والواو. والهمزة والواو حرفان

مختلفان بغير جدال ، فالأول من أقصى الحلق ، والثانى من الشفتين ؛ فلايمكن ادعاء أنهما حرفان مثلان . وكذلك صنع ابن دريد فى سائر مواد هذا الباب ...

وشعب ابن دريد الثلاثى إلى ست شعب ، بدأها بأبواب الثلاثى الصحيح وماتشعب منه ؛ فيركب الباء والتاء مع حرف ثالث ممايليهما من حروف الهجاء حرفا حرفا ، فإذا فرغ ، صنع مع سائر الحروف هذا الصنع ، ويجعل مع كل مادة معكوسها ، كماصنع فى الثنائى ، وكما يصنع فى غيرهما .

ولم تسلم أبواب الثلاثى من الخلط والتكرار كذلك : فى أبواب الثلاثى الصحيح ، نجد الأبواب الآتية : ب ن و/ ب ن هـ / ب ن ى // ب و هـ / ب و ى /. ب هـ ى.

ومعنى ذلك أن المواد المشتملة على حروف العلة مدرجة فى أبواب الثلاثى الصحيح، رغم تخصيص أبواب للمعتل ، مثل ب ت (و ، ا، ى) ، وتخصيص أبواب لما كان فيه حرف لين ، مثل : باب .

ويلاحظ أنه خصص أبوابا لما اجتمع فيه حرفان مثلان فى أى موضع ، مثل :

ب ت ت . يقول : « حلف ثلاثا بتاتا وبتا وبتتا . إذا حلف يمينا بتا فقطعها .

والتبب والتباب والتتبيب . هذا كله من الهلاك » . وهذه المادة ذكرها فى « باب الباء ومايتصل بها من الحروف فى الثنائى الصحيح » . قال : « بت الشىء يبته بتا : إذا قطعه قطعا ..... ويقال : حلف على يمين بتة وبتلة ، أى قطعها ، والمعنى فى اللفظين واحد ... » وكذلك صنع فى غير هذه المادة .

ومن الغريب أنه يعتبر « هاء التأنيث » أحد الحروف الثلاثة فى « بناء الثلاثى الصحيح ، وهو خطأ دون شك . مثال ذلك ماذكره فى مادة ج ع هـ »

قال : « العُجَّة : ضرب من الطعام عربية صحيحة » وحق هذه المادة أن تذكر فى أبنية الثنائى الصحيح ، مادة : ج ع ، وقد ذكرها فى موضع ثالث غير هذين ، هو :

« باب من الثلاثى يجتمع فيه حرفان مثلان فى أى موضع » ، فذكر فى مادة : ج ع ع ، ومعكوسها: « العجة : ضرب من الطعام لاأدرى ماحدها ».وبذلك خلط بين أبواب الثنائى والثلاثى .

وفى المعتل من الثلاثــى ، خلط واضطــراب واضحـان فقـد عقـد بابا قـال فى عنوانه : « هذا باب ماكان عين الفعل منه أحد حروف اللـين » . وأول مادة فى هذا الباب مـادة : « التب » وهى ليست فعلا، وتلاها : تات ، ثاث ، خاخ ؛ وهكذا فكان غير موفق فى العنوان. ثم ذكر «أبواب مالحق بالثلاثى الصحيح بحرف من حروف اللين»، وكان الأفضل إدماج هذين البابين ،لاتصلهما فصلا مصطنعا يدعو إلى حيرة الباحث .هذا إلى عدم توفيقه كذلك فى جمع موادهما ، ففى الباب الأخير يذكر على سبيل المثال ، مادة : أبت ويقول : « أبت يومنا يأبت أبتاً : إذا اشتد حَره ... والوبت : وَبَتَ يَبِتُ بالمكان وبتا إذا ثبت بالمكان ولم يزل عنه . والبتو فعل ممات ، ثم قالوا بتا. يَبتو بتواً ،فلم يهمزوا..... والتبو : فعل ممات . ثم قالوا : تبا يتبو تبوا فلم يهمزوا، وهمزه قوم .. والتوب ، مصدر تاب يتوب توباً .. والبيت معروف .. إلخ » .

فالهمزة ، والواو، والياء حروف علة عنده ، ولم يمكنه الفصل بين الواو والياء ، حرفى لين، أو حرفين صحيحين ؛ ومن ثم ذكر فى أبواب المعتل ماسبق أن ذكره فى أبواب الصحيح.

وكذلك كرر فى الباب الذى عقده فى « الهمز » ماذكره فى غيره ، بل لقد خلط فى باب « الهمز » نفسه ، وحشده على غير تنسيق معروف ، مثال ذلك : باب الباء فى المهموز ، فقد ذكر فيه المواد الآتية فى ترتيبها هكذا :« بكأت الشاة والناقة .. بذأت الرجل أبذؤه .بأرت بؤرة .؛ وتقول : قد بؤل الرجل يبؤل بآلة : إذا صغر ، وبؤت بالذنب، فأنا أبوء به : إذا اعترفت به ، وبؤس الرجل يبؤس بأسا : إذا كان شديد البأس .. » .

فالترتيب غير مرعى فى أبواب الهمز، وكذلك فى: «باب اللفيف فى الهمز» فقد حشد فيه المواد هكذا : وزأ [1] - أسبأ[2] - الرشأ[3] - القرأ [4] - الحفأ [5] -

---

(١) وزأت الإناء توزيئا إذا ملأته . (الجمهرة) .

(٢) أسبأت لأمر الله إسباء إذا أخبت له قلبك . (الجمهرة) .

(٣) الرشأ : الظبى (الجمهرة) .

(٤) القرأ : ولد الحمار الوحشى . (الجمهرة) .

(٥) الحفأ : البردى . (الجمهرة) .

الكلأ .. هذا إلى ذكره مواد مهموزة يجعلها فى أبواب ، يعنون لها بمثل قوله : « ومن غير هذا الوزن » ، ويظن القارىء أن ماسبق كان على نظام خاص ، فإذا هو غير ذلك .وبناء الرباعى خصته أربعة أبواب ، أولها : أبواب الرباعى الصحيح . وطريق صياغته أن يكون من الباء والتاء مع مابعدهما من حروف الهجاء كلمة رباعية ، ويجمع إلى المادة مقلوبات وجوهها الممكنة ، ويصنع كذلك مع سائر الحروف فيقول مثلا : « البُحْتُر : القصير المجتمع الخلق ، وهو البُهْتُر أيضا. وبحتر : أبو قبيلة من العرب من طيىء ، أو بطن . وحبتر : اسم أيضاً ، والحبترة : ضئولة الجسم وقلته ، ورجل حبتر وحباتر وحترب : القصير ، وأحسبه مقلوبا من حبتر » .

والأمر الذى كان منتظراً هنا أن يحشد فى الباب ماكان بناؤه على أربعة أحرف صحيحة ، غير أن الواقع غير ذلك . فقد حشد فيه مواد ثلاثية كثيرة ، اعتذر لذكر بعضها اعتذارا يمكن دفعه ، ولم يعتذر لسائرها، فيقول مثلا: الثَّبرة : الأرض السهلة ، وكذلك هو موضع بعينه ، قال الراجز :

نجيت نفسى وتركت حزره   نعم الفتى غادرته بثبرة

والثَّبرة أيضا : يقال : بلغت النخلة إلى ثَبْرة من الأرض فلم تنتشر عروقها فيها، وهى شبيه بالنورة تكون بين ظهرى الأرض فإذا بلغ عرق النخلة إليه وقف ، وأثبتناه فى الرباعى لأن الهاء لازمة [1] » .

والاعتذار الذى أثبته فى آخر المادة غير مسلم له ، ثم ماذا يصنع فيما ذكر من مواد الثلاثى ممالم يعتذر له ، مثل : « الجُلْبَة : جلبة الجرح ، وهى القطعة من الجلد الرقيقة التى تركبه عند البرء » ،و « اللَّبْجة : حديدة يُصاد بها ، لها كلاليب » و الجَنْبة : علبة تتخذ من جلد جنب البعير ؛ والجنبة أيضا : الناحية ، تقول: أنا بجنبة هذا البيت . والجنبة: لبن حامض يصب على حليب. والجنبة: نبت»؛ ومثل: «الكلمة واحدة الكلم»؟

ومن أبواب الرباعى : باب فيه حرفان مثلان ، مثل دردق ، وهم صغار الناس ؛ ودهدمة : وهى قطع اللحم ، وكسر العظام .

(١) الجمهرة : ٣ / ٢٩٦ .

ويلاحظ أن الترتيب خان ابن دريد فى هذا الباب وسيخونه كل الخيانة فى أبواب أخرى تالية . وكذلك وضع فى هذا الباب ماليس منه إذجعل فيه ألفاظا رباعية ، وأصولها من حرفين مكررين ، وهو ماألحقه بالثنائى الصحيح من قبل . مثل : قرقر ، يقول : « القرقر : الأرض فيها حصى يبرق » ؛ وجدجد ، يقول : « والجُدجُد : دويّبة تسمى الصُرصُر ، والجَدجَد : الأرض الصلبة [1] » .

ومن أمثلة خيانة الترتيب سرد المواد الآتى :

دردق - الدهدقة - كركم - القرقف - الدردبة [2] .

ومن أبواب الرباعى بابان رئيسيان ، يندرج تحت كل منهما أبواب فرعية ، أحدهما : باب تعددت الأوزان التى جاءت فيه المواد على مثالها ، فعقد لها أبوابا مجتمعة أو مفرقة ، فذكر مثلا : « باب ماجاء من الرباعى على فعَلّ ، وفعلّ ، وفُعُلّ ، وإن كان لفظه ثلاثيا فهو رباعى [3] »،ومثل:« باب ماجاء على فَيْعَل و فَوْعَل[4] وهكذا. والباب الثانى : « باب مايلحق بالرباعى بحرف من حروف الزوائد » ومن أبوابه الفرعية : « باب ماجاء على فعْيَل ، مثل حذْيَمَ وهو من الحذْم وهو سرعة القطع أو الكلام [5] » والمواد فى هذين البابَين تخضع للوزن الذى وضعت تحت عنوانه لايضبطها ضابط آخر غيره .

ومع ذلك حاد ابن دريد عن نهج المعاجم المجنسة ، حين حشد مواد حشدا موضوعيا لاهجائيا، ومثال ذلك تلك الأبواب الفرعية القصيرة التى وضعها مع أبواب الرباعى مثل : « ماجاء فى الشد والصلابة [6] ، وماجاء فى القصر ، ماجاء فى السرعة ، ماجاء فى المضاء ، ماجاء فى النهم ، ماجاء فى السعة ، والسهولة[7] » وقد تغلبت حافظة ابن دريد على ماكان ينبغى أن يأخذ به نفسه فى المعجم المجنس ، وسيظهر أنها ستتغلب كذلك فى مواقف أخرى مقبلة .

ويخصص ابن دريد أبوابا للخماسى لها عناوين مختلفة ، منها : « من الزوائد » ،

---

(1) الجمهرة : ٣ / ٣٤٩ .
(2) الجمهرة : ٣ / ٣٤٨ - ٣٤٩ .
(3) الجمهرة : ٣ / ٣٤٩ .
(4) الجمهرة : ٣ / ٣٥١ .
(5) الجمهرة : ٣ / ٣٥٣ .
(6) الجمهرة : ٣ / ٣٦٧ .
(7) الجمهرة : ٣/ ٣٦٧ - ٣٦٨ .

ومن مواده : الفرزدق ، ويقول : « الفرزدقة : الخبزة الغليظة ؛ والهَمَرْجل : الخفيف السريع من كل شيء ؛ والشَمَرْدل : الطويل » ومنها أبواب خصص كل منها لماجاء على وزن خاص ، منها : « ماجاء على إفعيل ، مثل : الإزميل ، وهي الشفرة التي تكون للحذاء ؛ والإكليل : لماكلل به الرأس من ذهب أو غيره » ومنها : « ماجاء على أفعولة وإفعيلة فألحق بالخماسي وإن كان الأصل غير ذلك [1] » مثل أحدوثة وأضحوكة وألعوبة ، وغير ذلك من الأبواب الفرعية ، التي ينعتها ابن دريد بقوله « الملحقة بالخماسي » ، ولكنه في آخر هذه الأبواب يصرح بأنها خماسية ، فيقول : « هذا آخر أبنية الخماسي ، والحمد لله كثيراً وصلواته على سيدنا محمد وآله الطاهرين [2] » .

والمواد في هذه الأبواب لاتحلل لغويا كما كان يصنع في أبنية الثنائي والثلاثي والرباعي. ولكنه يذكر المادة ويذكر مايراد بها وقليلا مايستشهد ، على غير عادته .

وكذلك يصنع فيما زادت حروفه على خمسة مصراً على أن يخصه بأبواب مستقلة ناعتها بما نَعَت به مازادت حروفه على أربعة ، فيقول : « هذه أبواب ألحقت بالخماسي بالزوائد التي فيها ، وإن كان الأصل على غير ذلك » .

ويذكر من الأبواب الفرعية : « باب ماجاء على مُفْعَنْلل ، و مفْعَلّل ، ومن مواده : المُسْحَنْكك : الأسود ؛ وكذلك : المحلنكك والمسحنفر في كلامه: المُكثر فيه ، الماضي . وكذلك : اسحنفر المطر فهو مسحنفر : إذا جرى . ورجل مُبْرَنشق : إذا ابتهج » .

ورغبة في الفصل بين هذه الأبواب سداسية الحروف ، والتي أطلق عليها ابن دريد وصف : « الملحقة بالخماسي » وبين الأبواب خماسية الحروف والتي كان يطلق عليها نفس هذا الوصف ثم عدل عنه في ختامها ، حيث سماها : « الخماسية » - رغبة في هذا ينبغي أن يطلق على هذه الأبواب السداسية الحروف ، وصف : « السداسية وإن كان الأصل غير ذلك » ، على حد تعبيره ، وبغض النظر عن تسميته التي أطلقها عليها في

---

(١) الجمهرة : ٣ / ٣٧٩ .

(٢) الجمهرة : ٣ / ٣٩٩ .

المقدمة إذ قال : « الملحق بالسداسي [1] » .

أما « اللفيف» فقد قصد ابن دريد من جمع مواده : أن يتدارك مالم يتسع له التبويب الذي اختاره وأن يرشد إليه الباحث فيتجه إليه بادىء ذي بدء ويقول في تبرير ذلك :

« فإن عسر مطلب حرف من هذا فليطلب في اللفيف ، فإنه يوجد إن شاء الله تعالى[2] » .

ويعلل لإطلاقه هذه التسمية بقوله : « « وإنما سميناه لفيفا : لقصر أبوابه ، والتفاف بعضها إلى بعض [3] » .

وأبواب اللفيف قصيرة فعلا، وقد خصص كل باب لماجاء من مواد على وزن معين جعله في عنوانه. ومن أمثلة ذلك : « باب ماجاء على فعِّيلى » ، « باب ماجاء على فُعَلِّيل » ، « باب ماجاء على فُعَلْعال » وهكذا .. ومواد كل باب قليلة محشودة دون أن يحكم حشدها نسق أو ترتيب خاص ، وبعضها سبق ذكره حيث يجب أو ينبغي أن يذكر فماجاء على فعِّيلي :خِطِّيبَى وهي المرأة التي يَخْطُبُها الرجل . وجاء على فُعَلِّيل : شرحْبيل ، اسم ؛ وحُبقِّيق : سيىء الخلق ؛ وحُبرقِّيص : قصير زرىء . وجاء على فُعَلْعَال : السُلحفاء ممدود. وجاء على فَعَلُوت : ناقة حلبوت وَركبُوت : تصلح للحلب والركوب . ورجل خلبوت : خداع مكار .

وابن دريد اللغوى يستطرد في أبواب اللفيف ، ويعقد أبوابا من حقها أن توجد في غير هذا الموضع من المعجم المجنس ، إذ لاتعد من ميدانه ومن ذلك : « باب مايكون الواحد والجماعة فيه سواء في النعوت [4] » ومن مواده : رجل زوْر، وقوم زَوْر، وكذلك: امرأة زَوْر ، ونساء زَوْر» و« باب جمهرة من الإتباع [5] » ومن مواده : «يقال: جائع نائع . والنائع : المتمايل» وعطشان نطشان، من قولهم: ماء نطيش، أي حركة، وحسَنٌ بَسَنٌ قال أبو بكر: سألت أبا حاتم عن بَسَنٍ ، فقال: لاأدرى ماهو ...»،

---

(1) الجمهرة : ١ / ٤ .
(2) الجمهرة : ١ / ٤ .
(3) الجمهرة : ٣ / ٤٠٦ .
(4) الجمهرة : ٣ /٤٢٨ .
(5) الجمهرة : ٣ / ٤٢٩ .

وكذلك : « باب الحروف التى قلبت وزعم قوم من النحويين أنها لغات[1] » ، مثل : جبذ وجذب ، وماأطيبه وأيطبه وربض ورضب .. » و « باب ماأتفق عليه أبو زيد وأبو عبيدة - وكان الأصمعى يشدد فيه ولايجيز أكثره مماتكلمت به العرب » ، مثل : « بان لى الأمر ، وأبان ؛ ونال أن أفعل كذا وكذا ، وأنال ، أى حان ؛ وآن لك أن تفعل كذا وكذا..[2] » .

والباب السابع عشر ، وهو آخر أبواب الجمهرة ، جمع فيه ابن دريد طائفه من النوادر يبوبها فى أبواب فرعية، دارت مواد كل منها حول موضوع خاص على مثال ماجمع أبـــو حاتم وأبو عبيدة والأصمعى فى نوادرهم ورسائلهم التى تدخل فى عداد المعاجم المبوبة، أو على مثال ماصنع بعض اللغوين من جمع لغويات من شتيت لغات العرب ، وابن دريد لايخفى تلمذته على كتب غيره فى هذا الباب ، فينقل عنها نقلا صريحا، مثال ذلك: «باب من نوادر ماجاء فى القوس وصفاتها. عن أبى عبيدة معمر بن المثنى[3]»، باب «أسماء الأيام فى الجاهلية [4] » ، « باب أسماء الشهور فى الجاهلية [4]» «باب تكلمت به العرب من كلام العجم حتى صار كاللغة [5] » فينقل فيه بعضا مماأخذ من الفارسية والرومية والنبطية والسريانية، ويستشهد لذلك أحيانا. وقد استفاد دارسو اللغة من هذه المواد اللغوية التى جمعها ابن دريد وإن كانت خارجة عن موضوع معجمه المجنس ، وماكان يضيره أن تنزع عنه لتجعل فى رسائل خاصة أو فى معجم مبوب جامع ، خاصة أن لابن دريد فى هذا المجال آثارا قيمة. ولو أن يدأ صناعا امتدت إلى كتاب الجمهرة ، فحفظت له كيانه العام ، وأدمجت بعض أبوابه فى بعض، ووضعت هذه الثروة اللغوية الضخمة بحيث يستطاع التعرف عليها والاستفادة بها فى يسر، لو أن

(١) الجمهرة : ٣ / ٤٣١ .
(٢) الجمهرة : ٣ / ٤٣٤ .
(٣) الجمهرة :٣ / ٤٥٦ .
(٤) الجمهرة : ٣ / ٤٨٩ .
(٥) الجمهرة : ٣ / ٤٩٩ .

يداً صنعت ذلك لكان فيه خير كثير، وخاصة أن هذا الكتاب وضع فى عصر مبكر من عصور تدوين اللغة ، وأنه كان مادة غنية استفاد بها من بعده من اللغويين ، وأنه يصلح إلى حد كبير ليكون مرجعا هاما يفاد منه حين وضع « المعجم التاريخى » للغة العربية .

وماورد فيما وليه من المعاجم زائداً فى الشرح والتفسير ، أو موضحا وضعا جديداً للفظة وتلوينا طرأ على استعمالها أو مدلولها مماليس له نظير فى مأثور اللغة القديم - يعد مرحلة جديدة متميزة، إن وجدت تفيد فى هذه السبيل .

« هذه هي الأسس التي التزمها كتاب « جمهرة اللغة »: ترتيب جديد مبنى على أساس الترتيب الهجائى المألوف لاعلى أساس الترتيب الصوتى الذى اتبعه الخليل .

وقد عد كتاب ابن دريد من هذه الجهة تطوراً تالياً لكتاب العين .

وتبويب أساسه الأبنية ، وهى ستة فى تقدير ابن دريد . وقد أصاب هذا الأساس تفصيل وتفريع ، وصلا بعدد الأبواب إلى سبعة عشر بابا ، لا إلى ستة فقط كماتوضحه الدراسة قبل .

والأساس الثالث : نظام التقليبات ووضع وجوه المادة وتصريفاتها فى موضع واحد .

والأساسان الأخيران سبق بهما الخليل بن أحمد ، وبالغ ابن دريد فى اتباعه فيهما ، حتى أحدث فى كتابه كثيرا من الاضطراب ؛ ومن ثم تطلع الميدان اللغوى إلى جديد ، وسيجده عند رواد آخرين .

خصائص الجمهرة

أول مايجب أن يوضع فى الاعتبار عند النظرة فى « جمهرة اللغة » ، هذه الأسس الثلاثة التى تعد عماد الكتاب وقوامه ، وهناك بعد هذا، السمات الخاصة التى يمكن ملاحظتها بماسيرد من النماذج .

فمن الثنائى الصحيح مادة : « أزز » ، يقول ابن دريد :

أزّ يؤز أزاً . والأز : الحركة الشديدة ، وأزت القدر : إذا اشتد غليانها . وفى كتاب الله تعالى : « تَؤُزُّهم أزاً » والمصدر : الأز والأزيز والإزاز .

قال رؤبة :

لايأخذ التأفيك والتحزّى فينا ، ولاطبخ العدَى ذو الأزْ

التأفيك : من قولهم : أفك الرجل عن الطريق : إذا ضل عنه، وفى القرآن الكريم :

« يُؤْفَكُ عنه مَنْ أُفِكَ ». قال : يصرف عنه ، وقوله عز وجل : « فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ » : أى يصرفون. والله أعلم . والتحزى : التكهن ، والحازى : الكاهن . والطبخ : التكبر والانهماك فى الأباطيل. يقول : إنا لاتستضعف .

ويقال بيت أزز : إذا امتلأ ناساً .

ويلاحظ فى هذه المادة فوق ماأشارت إليه الدراسة السابقة ، مايلى :

(١) أن المعجم بدأ بالفعل فذكر الماضى ، والمضارع ، وعقبهما بالمصدر .

وإذا كان الرسم الإملائى لهذه الكلمات أفاد فى التعرف على بابها ،وساعد في إمكان ضبط عينى الفعلين الماضى والمضارع، فإن أغلب مواد المعجم تفتقر إلى وسائل هذا الضبط ، وبذا نقص المعجم شيئا هاما هو النص على ضبط المواد ، وندر أن يفعله ، وإذا كان « النقص الفاشى » فى زمان ابن دريد حمله على وضع معجمه بنظامه الذى ارتآه فماباله لم يحمله على ضبط المواد ؟

(٢) تعدد مصدر الفعل : « أزّ » وقد ذكر ابن دريد هذه المصادر المتعددة .

(٣) شرح معانى المادة ، وقد كان لها أكثر من معنى ، واستشهد بأكثر من شاهد. وشواهده القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، ومذخور الأدب القديم . ومن ثم يعد هذا المعجم ذخيرة أدبية قيمة إلى جانب مكانته اللغوية .

(٤) وفى شواهده هذه ، شرح الألفاظ الغريبة ، ولم يدع القارىء فى حيرة بين صفحات المعجم يقلبها بحثا عن معانى غريب الشواهد ، وليس فى هذا الاستطراد عيب سوى بعد المسافة بين مايأتى به من شواهد ، وشرح غريبها ، وبين العودة إلى المادة الأصلية التى يستشهد لها ، وكان عليه أن يختار أحد مسلكين : الاكتفاء بالشواهد مع استغلاق غريبها، وبذا يهجر المعجم، وتقل الاستفادة منه، أو اللجوء إلى هذا الاستطراد. وقد اختار الأمر الأخير. وفى رأيى أنه على صواب ، وهو على غاية من الصواب فى رأيى كذلك ، حين لجأ إلى هذه الشواهد الأدبية. وليت أبا بكر الزبيدى (ت ٣٧٩ هـ) حين اختصر كتاب العين لم يلجأ إلى حذف شواهده فقد فوت كثيرا ممانفتقده الآن .

(٥) وفى غير هذه المادة نجد أن ابن دريد يذكر وجوه المادة ومقلوباتها فى مكان واحد. ففى مادة : ب س س - يقول : « واستعمل من معكوسه : سب يسب سبا. وأصل السب : القطع ، ثم صار السب شتما لأن السب خرق الأعراض .... » .

(٦) لايهتم ابن دريد بالتعريف بالأعلام والأماكن والحيوان والنبات ففى مادة : ب د ب د ، يقول : « بد بد : موضع » وفى بلبل ، يقول و « البلبل لحم صدقة ، لغة يمانية وهو القبقب واللقاع أيضاً ، وهذا الطائر الذى يسمى البُلْبُل ، شبه بالرجل الخفيف » وفى مادة : س م س م ، يقول : « وسَمْسَم : موضع معروف والسِّمْسِمة : النملة الحمراء والجمع سماسم ، والحَبّة التى تسمى السمسم عربية معروفة وتَسَميه أهل الحجاز : الجلجلان » .

وفى مادة : ت ا ت ، يقول : « والتوت : الفرصاد الذى تسميه العامة التوت » .

وفى مادة د ع ع ، يقول : « الدعاع : حبة تخبز وتؤكل » .

وحق المعاجم الاتضن بالتعريف ، بعض التعريف بجميع ذلك ، أو أن تحيل إلى أماكن التعرف عليه ، فهذه المصنفات ملك الأجيال لاملك جيل واحد .

(٧) وابن دريد فى معجمه أمين ينقل عن العلماء ويتحدث عن مصادره ، فيذكر أسماء من ينقل عنهم ، ويشير أحيانا إلى كتبهم : وممن نقل عنهم أو أشار إليهم أو إلى كتبهم : الخليل [١] ، والأصمعى [٢] ، وأبو حاتم [٣] ، وأبو عبيدة [٤] وكذلك هو أمين حين لايعرف شيئا فيقول : لاأدرى ماهو » .

طريقة البحث فى كتاب الجمهرة

من المستطاع بعد ملاحظة جميع ماسبق ، وضع بعض نقاط يسترشد بها الباحث فى كتاب الجمهرة :

١ - تجريد الكلمة من الزوائد. فكلمة : تساند ، يبحث عنها فى المادة الثلاثية التى حروفها د س ن ، وكلمة : استئجار ، يبحث عنها فى أج ر، من الثلاثى ، فإن لم توجد يبحث عنها فى المهموز ، وهذه إحدى الصعوبات فى الجمهرة .

---

(١) الجمهرة : ٢ / ٢٦٨، ٣ / ٣٢٩ .

(٢) الجمهرة : ١ / ٢٠٧ .

(٣) الجمهرة ٢/ ١٨٠، ٣/ ٤٠٩ .

(٤) الجمهرة : ٢/٤٦، ١٣٣/٣، ١٦٠.

وقد توجد الكلمة بمزيداتها فى أبواب خاصة كماترى فى المسحنكك ، والمحلنكك والتجريد من الزيادات عند ابن دريد غير جار على القاعدة العامة المعروفة عند علماء الصرف [1] وهذا ممازاد فى ارتباكات هذا المعجم .

(٢) ترتب حروف المادة بعد تجريدها، حسب الترتيب الهجائي المعروف (أ ب ت ث ....إلخ) ويبحث عنها فى باب أسبق حروفها فى هذا الترتيب فكلمة : سند ، يبحث عنها فى : د س ن ؛ وذلك لأن ابن دريد يتبع نظام التقليبات ، فيجمع تصريفات المادة، ووجوه مقلوباتها فى موضع واحد [2] .

ويلاحظ بصفة خاصة أن بن دريد: يقدم حرف الواو على حرف الهاء فى ترتيب الأبواب ، وكذلك فى ترتيب فصول الأبواب، أى عند وضع المواد المتفقة فى أوائل حروفها.

مثال ذلك : ن وو / ن هـ هـ / ن ى ى // وهـ هـ / و ى ى // هـ ى ى .

فالأبواب مرتبة حسب حروفها الأولى هكذا : ن ثم و ثم هـ .

والمواد مرتبة ترتيبا داخليا حسب الحرف الثانى فى كل منها : هكذا : ن ، ثم و ، ثم هـ ثم ى مثل ب ل ل / ب م م / ب ن ن / ب و و / ب هـ هـ / ب ى ى .

وكذلك يقدم حرف الواو على الهاء إذا كان ثالث الحروف ، مثل : ب ن و / ب ن هـ / ب ن ى // ب و هـ / ب و ى // ب هـ ى .

(٣) ينظر إلى بناء المادة ، وعدد حروفها، ونوعها، وظواهر وضعها : (ثنائية . ثلاثية . رباعية .. إلخ) صحيحة أو معتلة أو مهموزة ، مضعفة ، أو غير مضعفة . وقد سبق توضيح نظام الأبنية فى جمهرة ابن دريد [3] .

---

(١) راجع الحديث عن الأبنية فى كتاب الجمهرة : ص ٤٧ وما بعدها من هذا البحث .

(٢) انظر فى شرح التنظيم : حديثنا عن نهج الخليل فى كتاب العين : ص ١٩ من هذا البحث : والسيوطى : المزهر : ١ / ٤٣ : ،والجمهرة : ٣ / ٥١٣ .

(٣) انظر : ص ٤٧ ومابعدها من هذا البحث .

نقد الجمهرة

إذا وضع كتاب الجمهرة فى ميزان النقد رجحت ، من غير شك ، كفة مزاياه ، وأمكن كذلك التجاوز عن بعض مابه من الارتباكات. والكتاب يشهد بقدرة ابن دريد اللغوية وسعة باعه، وقدرته على الحفظ والاستيعاب ، مع الدقة والضبط وأمانة الرواية عن العلماء . وقد عبر عن جميع ذلك العلماء الذين استفادوا من الجمهرة ، واعتبروها من الكتب اللغوية الهامة الجديرة بأن توضع فى ثبت المراجع مع محكم ابن سيده ، وجامع القزاز، وصحاح الجوهرى، ومجمل ابن فارس، وأفعال ابن القوطية ، وابن طريف [1] .

وقد أشرت فى أثناء حديثى عن الجمهرة إلى بعض ماوجدته من أعباء أثقلت كاهل الكتاب وعنّت الباحث. من ذلك : التفريعات الكثيرة فى التبويب ، وعدم السير على نسق دقيق فيها مما أدى إلى التكرار والخلط ووضع المواد فى غير أبوابها .

وقد أشار إلى هذه الجوانب الأزهرى صاحب التهذيب ، قال : « وممن ألف فى زماننا الكتب فرمى بافتعال العربية ، وتوليد الألفاظ ، وإدخال ماليس من كلام العرب فى كلامها: أبو بكرمحمد بن دريد صاحب كتاب الجمهرة ، وكتاب اشتقاق الأسماء ، وكتاب الملاحن[2] »

ويقول أبو الفتح بن جنى : « وأما كتاب الجمهرة ففيه من اضطراب التصنيف وفساد التصريف ماأعذر واضعه فيه لبعده عن معرفة هذا الأمر ،ولما كتبته وقعت فى متونه، وحواشيه جميعا ، من التنبيه على هذه المواضع ماالستحييت من كثرته . ثم إنه لماطال علىّ ، أومأت إلى بعضه وأضربت ألبتة عن بعضه [3] » .

وهذه المآخذ التى أشار اليها العلماء، يمكن أن تعالج بإعادة النظر فى تبويب الكتاب وترتيبه، أو رد بعضها إلى بعض، ووضع المواد فى الأبواب التى يجب أن توضع فيها .

---

(١) المزهر : ١ / ٥٤ . (٢) ياقوت : معجم الأدباء : ١٨ / ١٣١ .

(٣) ابن جنى : الخصائص : ٣ / ٢٨٨ .

هذا ، مع الحفاظ على جميع مافى الكتاب من مادة لغوية، وكذلك على أساس النهج الذى ارتضاه ابن دريد ليبقى مصوراً لطور من أطوار تدوين المعجم العربى .

وقد رد السيوطى على بعض ماوجه إلى ابن دريد من نقص فى الدراية ، وطعن فى الرواية فقال : « .. معاذ الله هو برىء مما رمى به ، ومن طالع الجمهرة رأى تحرّيه فى روايته [1] » .

وهناك سبب هام له حسابه ، هو أن ابن دريد أملى الجمهرة إملاء من حفظه فى فارس ، والبصرة ، ولم يستعن عليها بالنظر فى شىء من الكتب إلا فى باب الهمزة واللفيف . يقول أبو العباس الميكالى [2] (ت ٣٦٢ هـ) : « أملى علىّ أبو بكر الدريدى كتاب الجمهرة من أوله إلى آخره حفظا ، فى سنة سبع وستين ومائتين ، فمارأيته استعان عليه بالنظر فى شىء من الكتب إلا فى باب الهمزة واللفيف فإنه طالع له بعض الكتب[3] » .

ويقول ابن دريد نفسه « ..وإنما أمللنا هذا الكتاب ارتجالا ، لاعن نسخة ولاتخليد فى كتاب قبله ، فمن نظر فيه فليخاصم نفسه بذلك ، فيعذر إن كان فيه تقصير أو تكرير إن شاء الله[4] » ويقول فى موضع آخر « فإن كنا أغفلنا من ذلك شيئا لم ينكر علينا ذلك لأنا إنما أمليناه حفظا ، والشذوذ مع الإملاء لاتدفع [5] » .

وقد أدى تعدد الإملاء وتعدد النسخ إلى اختلاف فى بعضها ، غير أن العلماء تداركوا ذلك فى حياة ابن دريد نفسه ، فقد قرءوا عليه ما أملى وصحح هـــو الأخطاء ،

---

(١) المزهر : ١ / ٥٧ .

(٢) أبو العباس إسماعيل بن عبدالله بن محمد بن ميكال معجم الأدباء : ٧/ ٥ ١٨ / ١٣٧ .

(٣) معجم الأدباء : ١٨ / ١٣٨ .

(٤) الجمهرة : ٣ / ٢٦٨ .

(٥) الجمهرة : ٣ / ٥١٤ .

وآخر ماصح من النسخ : نسخة أبى الفتح عُبيد الله بن أحمد النحوى جُخجُخ[1] (٢٨٦ - ٣٥٨ هـ) لأنه كتبها من عدة نسخ قرأها عليه [2] » .

ومن مظاهر عناية العلماء بالجمهرة : هذا النقد الشديد لها، ومحاولة بعضهم تدارك مافاتها، كماصنع : أبو عمر الزاهد غلام ثعلب (٢٦١ - ٣٤٥ هـ) فى كتابه : « فائت الجمهرة والرد على ابن دريد[3] » وألف أبو العلاء المعرى (٣٦٣ - ٤٤٩ هـ)كتابا فى شرح شواهدها سماه : « نشر شواهد الجمهرة » . واختصرها : الصاحب بن عباد :(ت - ٣٨٥ هـ) ، فى كتابه :(جوهرة الجمهرة) وألف : أبو غالب تمام بن غالب المعروف بابن التيانى الأندلسى (ت ٤٣٦هـ) كتابا جمع فيه بين « العين » و«الجمهرة » وسماه : « تلقيح العين » [4] ، يقول عنه العلماء : « إنه لم يؤلف مثله اختصاراً أو إكثارا » و « كانت الفائدة فيه فصل كتاب العين عن الجمهرة ، وسياقه بلفظه لينسب مايحكى منه إلى الخليل » غير أن السيوطى يقول : « إن هذا الديوان قليل الوجود ، لم يعرج الناس على نسخه بل مالوا إلى جمهرة ابن دريد ومحكم ابن سيده [5] » .

وبقيت جمهرة ابن دريد مصدراً للغة يرجع إليه العلماء ، ومظهراً من مظاهر تطور تدوين المعجم العربى ، تاليا لمرحلة كتاب العين ، وسابقا لأخرى خطت بالمعجم العربى خطوة هامة نحو تمهيدأكنافه وتيسيره .

---

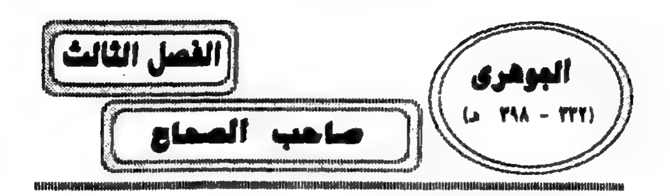
(١) وذكر السيوطى فى بغية الوعاة : جخجخ ، بجيم ثم خاء معجمتين مضعفتين : ٢ / ١٢٦ ، والقفطى فى إنباه الرواة بجيم وحاء مهملة مضعفتين : ٢ / ١٥٢ والحاشية (٢) منها .

(٢) معجم الأدباء : ١٨ / ١٤٢ المزهر : ١ /٥٨ وقد ظفر السيوطى بنسخة منها، عليها بعض تنبيهات واستدراكات لبعض العلماء .

(٣) إنباه الرواة : ٣ / ١٧٧ .

(٤) المزهر : ١ / ٥٤ . إنباه الرواة : ١ / ٢٦٠ ؛ ومعجم الأدباء : ٧ / ١٣٦ .

(٥) المزهر : ١ / ٥٤ .



الجوهرى :

يعد صحاح الجوهرى مرحلة متطورة ناجحة فى مراحل تدوين المعجم العربى بعد أن سبقته مرحلتان هامتان ، كانت الأولى الأساس الأول الخطير لوضع أول معجم عربى ، وفق إليها الخليل بن أحمد الفراهيدى (١٠٠ - ١٧٠ أو ١٧٥ هـ) ، وكانت الثانية جمهرة اللغة لأبى بكر بن دريد (٢٢٣ - ٣٢١هـ) . ولكل من هاتين المرحلتين دلالتها البالغة ، وكان لهما من المريدين والأتباع من سار على منهجهما محتذيا ، أو متخذاً سبيلا أخرى لاتبعد إلا قليلا منهما، ولكن « الصحاح [1] » للجوهرى يتميز بطريقة مبتكرة فاقت طريقة ماتقدمه من معاجم ، وقربت تناول اللغة ، وسهلت مسالكها، فقد ذلل أشق صعوبتين بقيتا إلى عصره تبحثان عن حل موفق .

والإمام أبو نصر إسماعيل بن حماد النيسابورى الفارابى ، الجوهرى [2] ، نشأ ولوعا بالعلم واللغة والأدب ، وتتلمذ ، أول ماتتلمذ على خاله أبى إبراهيم

(١) بكسر الصاد المهملة جمع صحيح وبفتحها مصدرا مثل براء . السيوطى: المزهر: ١ / ٦٠ نقلا عن الخطيب التبريزى .

(٢) أصله من فاراب إحدى بلاد الترك وكان من أعاجيب الزمان ذكاء ، وفطنة ، وعلما ، إماماً فى اللغة والأدب ، وخطه يضرب به المثل،قال ياقوت : وقد بحثت عن مولده ووفاته بحثا شاقاً فلم أقف عليهما . وقيل مات فى حدود الأربعمائة .

انظر ترجمته فى : إنباه الرواة : ١ / ١٩٤ ؛ بغية الوعاة : ١ / ٤٤٦ شذرات الذهب : ٣ / ١٤٢ معجم الأدباء : ٦ / ١٥١ - ط الحلبى بمصر ، يتيمة الدهر : ٣٧٣/٤ - ٣٧٤ ، وغيرها .

إسحق بن إبراهيم الفارابى[1](ت.٣٥٠ هـ)ورحل فى طلب العلم، واخترق إليه البدو والحضر، وكان يؤثر السفر على الوطن، والغربة على السكن، والمسكن، ودخل ديار ربيعة ومضى فى طلب الأدب، وإتقان لغة العرب، ثم عاد إلى نيسابور، وعكف فيها على التدريس، والتأليف، وتعليم الخط الجميل، وكتابة المصاحف الجميلة، والدفاتر اللطائف.

فحياة الجوهرى إذاً ، حياة عكوف على العلم ، ورحلة إليه ، وصلاته كانت تدور فى هذا المجال نفسه ، فأستاذه الأول خاله الفارابى صاحب ديوان الأدب فى اللغة ، ثم هذان النابهان : أبو على الفارسى (ت ٣٧٧ هـ) ، وأبو سعيد السيرافى (ت ٣٦٨ هـ) .

وإنتاجه عظيم الدلالة على نبوغه وتفوقه ، يقول القفطى عنه : « إنه من أعاجيب الدنيا » ، ويقول ياقوت : « إنه من أعاجيب الزمان ذكاء وفطنة وعلما » . وامتدح ابن رشيق القيروانى فى كتابه : « العمدة » إنتاجه فى علم العروض وتنميته وإعطاءه صورته النهائية بعد الخليل[2] ، كماذكر له العلماء مؤلفا فى النحو .

تاج اللغة وصحاح العربية

منهجه :

يتفق العلماء على أن معجم الصحاح يفوق ماتقدمه من المعاجم نهجاً وحسن مأخذ ؛ فقد ذلل صعوبتين شاقتين ورثهما المعجميون الذين وقفوا أنفسهم على تدوين المعجم العربى .

إحداهما : حرص اللغويين على أن يكون البناء الكمى والنوعى ، أساسا لايستغنى عنه فى تدوين المعجم . وظهر هذا جلياً فى أول معجم عربى مجنس . وماسار على نهجه من معاجم ؛ وذلك بتبويب المعجم أبوابا حسب عدد حروف المادة الأصلية ونوع هذه الحروف : ثنائية ، ثلاثية ، رباعية ، خماسية ، سالمة أو معتلة ، وبلغ التعقيد ،

(١) انظر ترجمته فى معجم الأدباء : ٦ / ٦١ - ٦٥ بغية الوعاة : ١ / ٤٣٧ ؛ بروكلمان : ٢/٢٥٨ - ترجمة د . عبدالحليم النجار .

(٢) بروكلمان : ٢ / ٢٦٠ - ٢٦٣ - ترجمة الدكتور عبدالحليم النجار .

والتفتيت، والاضطراب مدى بعيداً في المرحلة الثانية من مراحل تدوين المعجم على يد أبي بكر بن دريد كما سبق توضيحه [1] .

وثانيتهما : الحيرة في ترتيب المواد حسب المنهج السابق . وكان جمع مشتقات المادة الواحدة وحشدها في موضع واحد وسوقها تحت أسبق حروفها من حيث المدارج الصوتية عند الخليل أو من حيث وضعها في الترتيب الأبجدي المألوف (أ/ ب /ت / ث / ج .. إلخ) عند ابن دريد - كان ذلك شاقاً يتطلب جهداً وعناء في البحث عن المادة، وجهداً وعناء بعد التوصل إليها، يتمثل في ضرورة قراءة المادة حتى يعثر على مقلوبها المراد .

ومن أجل ذلك كان القضاء على هاتين المشكلتين جميعاً، في معجم الجوهري ، عملاً هاماً جديراً بالتقدير .

والأساس الوحيد الذي ارتضاه الجوهري في ترتيب كتابه : أنه قسمه أبواباً بعدد حروف الهجاء ، ووفق الحرف الأخير من حروف المادة الأصلية وجعل المواد الواوية واليائية الآخر في باب واحد ثم قسم كل باب فصولاً بعدد حروف الهجاء كذلك . وحسب الحرف الأول من حروف المادة الأصلية ، بغض النظر عن عدد حروف المادة وعن أجناسها . فباب الميم يجمع المواد المنتهية بحرف الميم. وفصل العين منه يجمع المواد المبدوءة بحرف العين من هذا الباب نفسه وهكذا سائر الأبواب .

وفي باب الجيم وفصل العين منه نجد المواد الآتية : عثج / عج / عذلج / عرج / عرفج/ عسج / عسلج / عفج / عفضج / علج / عمج / عنج / عوج / عهج / عيج ، وبها ينتهي فصل العين من باب الجيم .

ويلاحظ أنه رتب المواد في فصل العين حسب الحرف الثاني، إن كانت الكلمة ثلاثية، فالثالث إن كانت الكلمة رباعية، ثم الرابع إن كانت الكلمة خماسية:(عنج / عذلج / عرفج / عفضج) وهكذا سائر فصول كل باب .

ويلاحظ كذلك أنه قدم فصل « الواو » وجعله بين النون والهاء .وكذلك صنع في الترتيب الداخلي للمواد ، مثل : (عوج / عهج / عيج) .

ويلاحظ أن عدد فصول أي باب لايطابق دائما عدد حروف الهجاء الثمانية والعشرين فإن أكثر الأبواب لم يستوف هذا العدد من الفصول .

وهناك خمسة أبواب فقط ضمت فصولها كاملة وهي أبواب : الهمزة ، اللام ، الميم ، النون ،وباب الواو والياء . وهناك باب واحد وهو باب الزاي ، ينقصه فصل واحد

(١) انظر في هذا الكتاب : ص : ٤٩ ومابعدها .

هو فصل اللام . كما أن هناك باب الظاء المعجمة نقص منه اثنا عشر فصلا [1] .

وقد أشار الجوهرى إلى هذا النهج فى قوله : « أودعت هذا الكتاب ماصح عندىَ من هذه اللغة .. على ترتيب لم أسبق إليه ، وتهذيب لم أغلب عليه ، فى ثمانية وعشرين باباً، وكل باب منها ثمانية وعشرون فصلا ، على عدد حروف المعجم وترتيبها، إلا أن يهمل من الأبواب جنس من الفصول » .

خصائص المعجم :

ويحسن قبل الحديث عن خصائص هذا المعجم ، أن نمثل لمنهجه بذكر المادة الآتية :

مادة : عج :

العج : رفع الصوت ، وقد عج يعج عجيجا . وفى الحديث :« أفضل الحج العج والثج[2] » ، وعجعج أى صوّت. ومضاعفته دليل على التكرار فيه .والعجة بالضم : هذا الطعام الذى يتخذ من البيض ، أظنه مُولدا، والعجاج : الغبار، والدخان أيضاً. والعجاجة أخص منه .

والعجاجة : الإبل الكثيرة العظيمة ، حكاه أبو عبيد عن الفراء ، وأعجّت الريح وعجّت : اشتدت وأثارت الغبار ، ويوم مُعجٌ وعجاج ، ورياح معاجيج ضد مهاوين .

وعجّجت البيت دخانا فتعجج . والعجاج بن رؤبة السعدى الراجز من سعد تميم ، سمى بذلك لقوله :

حتى يعج ثَخَناً من عجعجا

ويقال : أشعر الناس العجاجان ، أى رؤبة وأبوه . ونهر عجاج : لمائه صوت، وقد يجىء ذلك فى كل ذى صوت من قوس وريح ، والعَجْعَجَة فى قضاعة : يحولون الياء جيما مع العين يقولون : هذا راعج خرج معج ، أى هذا راعى خرج معى .

---

(1) انظر فى إحصاء مانقص من فصول أبواب المعجم : نصر الهورينى :مقدمة الصحاح ،ط بولاق. وأحمد عبد الغفور عطار : مقدمة صحاح الجوهرى : ١٢٧ - ١٢٩ ، ط دار الكتاب العربى بالقاهرة .

(2)الثج : إراقة دم الهدى ،وهو الذبيحة التى يقدمها الحاج. ثج يثج ، من باب ضرب . مختار الصحاح والمصباح المنير .

مناقشة :

ويمكن من خلال مناقشة المادة السابقة التعرف على خصائص هذا المعجم ، ومن بينها :

١ - بدأ المعجم في هذه المادة ببيان معنى المصدر ، فقال : « العج : رفع الصوت » ثم عرج على الفعل ، وسائر مشتقات المادة . وليس ذلك بملتزم في كتابه ؛ ففي مادة : ع دد ، يبدأ بالفعل ثم يثني بالاسم منه ، يقول : « عددت الشيء عدا : أحصيته والاسم : العدد والعديد ، يقال هم عديد الحصى والثرى ، أي في الكثرة .. إلخ » . وكذلك في كثير من المواد .

٢ - ذكر المادة الأصلية . ومضعفاتها ، ومزيداتها ، وتطور المعنى بعد الزيادة : « العج : رفع الصوت ، عجعج أي صوت ، ومضاعفته دليل على التكرير فيه ، والعجاج : الغبار ، والدخان أيضاً . والعجاجة أخص منه ، وأعجت الريح وعجت : اشتدت وأثارت الغبار » .

وكذلك نرى في مادة : ع د د : « عددت الشيء عدا : أحصيته ، وعده فاعتد : أي صار معدوداً ، واعتد به وأعده لأمر كذا : هيأه له ، والاستعداد للأمر : التهيؤ له .... إلخ » .

٣ - يلجأ إلى الضبط بالنص على نوعه ، فيقول في الأسماء : « العجة بالضم » والضبط للحرف الأول ، ومثل : العد بالكسر : الماء الذي له مادة لاتنقطع ، كماء العين والبئر ، والعدة بالضم : الاستعداد . ويقال : كونوا على عدة ، ومثل : العسلج بالضم، والعسلوج : مالان واخضر من قضبان الشجر ، والكرم أولماينبت .

وإن قال في الأسماء بالتسكين كان للحرف الثاني من الاسم ، مثل : الحلبة بالتسكين ، وهو يصرح بحركة الحرف الثاني أو سكونه عند الجهل به ، ويتركه إذا كان معلوما ، مثل : الرطب بالضم ساكنة الطاء : الكلأ ، وإن قال بالتحريك ، أو محركا ، كان معنى ذلك فتح الحرفين الأول والثاني ، مثل : العَجمة بالتحريك : النخلة تنبت من النواة ، والعجم بالتحريك : النوى ، وكل ماكان في جوف مأكول ، كالزبيب وماأشبهه .

وفي الأفعال يكون الضبط لعين الفعل مثال ذلك: أدُب الرجل بالضم. فإن ذكر المضارع بعد الماضي كان الضبط لعين المضارع، مثل: حصبت الرجل أحصبه بالكسر،

وقد عجمت العود أعجمه بالضم : إذا عضضته لتعلم صلابته من خوره.

٤ - ويكرر المادة إذا تعدد معناها واتفق ضبطها، يقول: العدة بالضم : الاستعداد ، يقال :كونوا على عدة .والعدة أيضا: ماأعددته لحوادث الدهر من المال والسلاح . ويكررها كذلك فى أساليب مختلفة ليتعرف على مدى تلون المعنى فى كل أسلوب ، مثل :«ماعجمتك عينى منذ كذا:أى ماأخذتك،ورأيت فلانا فجعلتْ عينى تعجمه كأنها تعرفه ، والثور يعجم قرنه: إذا ضرب به الشجرة يبلوه ، وعجم السيف :هزه للتجربة » .

٥ - إذا كان للمادة أكثر من لغة ، نبه عليها كماينبه على اللهجات العربية فى شبه الجزيرة ، وقد فعل ذلك فى مادة : عج ، قال : « والعجعجة فى قضاعة ، يحولون الياء جيما مع العين ، يقولون : هذا راعج خرج معج ، أى هذا راعى خرج معى » .

وكذلك يذكر العلل النحوية والصرفية ، وآراء العلماء ومناقشاتهم . يقول فى مادة : عد : « ومَعَدٌ أبو العرب وهومعد بن عدنان : وكان سيبويه يقول : الميم من نفس الكلمة لقولهم تمعدد لقلة تمفعل فى الكلام ، وقد خولف فيه ، وهوتمعدد الرجل : أى تزيّى بزيهم ، أو تنسّب إليهم ، أو تصبّر على عيش معد .ويقول فى شرح المثل : أن « تسمع بالمعيدى خير من أن تراه » : « هو تصغير معدّىٌ ، نسبة إلى معدّ وإنما خففت الدال استثقالا للجمع بين التشديدين مع ياء التصغير » .

٦ - ويلاحظ أنه ينسب إلى العلماء ، مانقل عنهم ، وإن تخفف فى ذلك حتى لايثقل على القارىء .

٧ - ويستشهد على المادة بالنصوص الأدبية الموثوق بها ، وفى صدرها كتاب الله ، وحديث رسوله الكريم ، والمروى من الشعر والنثر والحكمة والمثل .

٨ - ومما يتميز به هذا المعجم ، كمايقول السيوطى : اقتصاره على الصحيح من اللغة ، بينما لم يلتزم ذلك غيره من اللغويين . يقول السيوطى : « وغالب هذه الكتب لم يلتزم فيها مؤلفوها الصحيح ، بل جمعوا فيها ماصح وغيره ، وينبهون على مالم يثبت غالبا، وأول من التزم الصحيح مقتصراً عليه ، الإمام أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهرى، ولهذا سمى كتابه الصحاح [1] » .وقد صرح الجوهرى بذلك فى مقدمة كتابه،

---

(١) المزهر : ١ / ٦٠ .

فقال : « أودعت هذا الكتاب ماصح عندى من هذه اللغة التى شرف الله منزلتها ، وجعل علم الدين والدنيا منوطا بمعرفتها ، على ترتيب لم أسبق إليه ، وتهذيب لم أغلب عليه ، بعد تحصيلها بالعراق رواية ، وإتقانها دراية ، ومشافهتى بها العرب العاربة فى ديارهم بالبادية ، ولم آلُ فى ذلك نصحا ولا ادخرت وسعا » .

وفى هذه العبارة فوق ذلك ، إشارة إلى مصادره التى اعتمد عليها فى تدوين المعجم، فقد اعتمد على الحفظ والرواية عن اللغويين ،وعلى اتصاله بالبادية ليتحرى المنابع التى لم تتأثر بالحضارة الوافدة ، ولم يخالطها غيرها من الأجانب ، فيفسدوا لغتها ويشيعوا اللحن فيها ، ولاشك كذلك فى أنه اتصل بمؤلفات من سبقه فى هذا المجال ونقل عنها ، ومثل هذا واضح فى معجمه .

« ديوان الأدب » و « الصحاح » :

تدل الأخبار على أن أبا نصر الجوهري : تتلمذ على خاله إسحق بن إبراهيم الفارابى ، صاحب « ديوان الأدب في اللغة »، وتدل كذلك على أنه قرأ هذا الكتاب ورواه ونسخه [1] ومن ثم تأثر به ، وبمنهجه اللغوى ، وبمعنى أدق ، ببعض هذا المنهج .

غير أن من يطلع على نهج الكتابين :« ديوان الأدب »و«الصحاح » ، يرى بوضوح أن الجوهرى عمل عملا هاماً جديراً بالتقدير ، وأن معجمه يعد فتحاً فى مجال تدوين المعجم العربى .

ويمكن أن يلخص نهج الفارابى في ديوان الأدب فيمايلى : -

(١) كان الفارابي متأثرا بنهج الخليل وابن دريد في بناء المعجم حسب الأبنية : عدد الحروف وأجناسها ، فقسم المعجم ستة أقسام ، وسمى كل قسم كتاباً ، وهى :

١ - السالم ، وهو ماسلم من حروف العلة .
٢ - المضاعف .
٣ - المثال ، وهو ماكان فى أوله واو أو ياء ،
٤ - كتاب ذوات الثلاثة ، وهو ماكان فى وسطه حرف من حروف العلة .
٥ - كتاب ذوات الأربعة ، وهو ماكان آخره حرف علة .

---

(١) معجم الأدباء : ٦ / ٦٣ ، ٦٤ .

٦ - كتاب الهمزة .

ثم قسم كل كتاب من هذه الكتب الستة قسمين : يورد الأسماء أولا ثم الأفعال بعدها [١] .

(٢) بوب الأسماء والأفعال أبوابا ، حسب الأبنية ، وحسب الحرف الأخير من حروفها الأصلية . ففى باب الباء يذكر الكلمات المنتهية بحرف الباء. ويرتب المواد فصولا حسب الحروف الهجائية كذلك ، وحسب الحروف الوسطى الثانى فالثالث فالرابع، وهكذا ، وترك المهموز والمعتل لأنه أفرد لهما أبوابا خاصة ، وهكذا يتصل معجم الجوهرى ومعجم الفارابى ، مما حمل بعض الباحثين على دعوى سرقة الجوهرى معجم خاله الفارابى [٢] .

ويمكن الإجابة عن هذه الدعوى بمايلى :-

١ - ليس معيبا أن يتصل الجوهرى بمصادر اللغة المعاصرة له والسابقة عليه خاصة إذ قد أثبت أنه كان جوابا ، آثر الرحلة على المقام والسفر على التوطن ، وأنه اتصل بالمصادر اللغوية بالبادية ، ونقل عنها وشافهها ، وقد فعل ذلك من قبل ، الفارابى نفسه، وغيره من رهبان العلم .

٢ - لم يتحدث أحد من العلماء عن دعوى النقل هذه، ولم يذكروا كتابه إلا مصحوبا بالثناء والإطراء . يقول ياقوت : « وهذا الكتاب هو الذى بأيدى الناس اليوم ، وعليه اعتمادهم ، أحسن تصنيفه ، وجود تأليفه ، وقرب متناوله ، وآثر من ترتيبه على من تقدمه، يدل وضعه على قريحة سالمة ، ونفس عالمة ، فهو أحسن من الجمهرة ، وأوقع من تهذيب اللغة، وأقرب متناولا من مجمل اللغة [٣] » .

ويقول القفطى فى إنباه الرواة : « وله كتاب الصحاح فى اللغة أكبر وأقرب متناولا من مجمل اللغة [٤] » . ويقول أبو زكريا الخطيب التبريزى : «وكتاب الصحاح هذا،

---

(١) معجم الأدباء : ٦ / ٦٢ .

(٢) أحمد عبد الغفور عطار : مقدمة الصحاح : ٨١ .

(٣) معجم الأدباء : ٦ / ١٥٥ .

(٤) إنباه الرواة : ١ / ١٩٥ .

كتاب حسن الترتيب ، سهل المطلب لمايراد منه . وقد أتى بأشياء حسنة ، وتفاسير مشكلات من اللغة [1] ».

٣ - إن معجم الجوهرى يمتاز أول مايمتاز بهذا النهج الذى ذلل أمرين شاقين : نظام الأبنية وتفريعاته الكثيرة ، وافتنان العلماء فى هذه التفريعات، مماير فى جمهرة ابن دريد، وديوان الفارابى ؛ ومشكلة تدوين اللغة تدويناً قريب المأخذ ، سهل التناول ، بهذا الترتيب الأبجدى .

ولابأس عليه أن يكون قد سبقه فى هذا الأخير خاله الفارابى ؛ فإن ابتداع الخليل الأبجدية الصوتية واختيارها أساسا فى ترتيب كتاب العين ، ثم عدول ابن دريد عنها إلى الأبجدية المألوفة (أ / ب /ت / ث ج .. إلخ)، كان لاشك يدعو العلماء إلى مواصلة بذل الجهد فى هذا الميدان ، مماسيرى أثره فيما بعد الجوهرى ومصنفه من معاجم لغوية .

نقد الصحاح :

لاينتظر أن يسلم عمل هام كمعجم الجوهرى من بعض الهنات التى تشوبه ، فليس ذلك من طبيعة البشر ،خاصة إذا ظهر أن الجوهرى لم يعد إلى عمله مراجعة وتهذيبا. فقد وردت الأخبار بأنه صنف الكتاب للأستاذ أبى منصور عبد الرحيم بن محمد البيشكى [2] (ت ٤٥٣ هـ) ، وسمعه منه إلى باب الضاد المعجمة ، وبقيت بقية الكتاب مسودة غير منقحة ولامبيضة ، فبيضه أبو إسحق إبراهيم بن صالح الوراق [3] ، تلميذ الجوهرى ، بعد موته ، فغلط فيه فى عدة مواضع غلطاً فاحشا [4] على أن « ياقوتا [5] » اطلع بنفسه على نسخة من الصحاح مكتوب عليها مايفيد أن البيشكى تلقى الصحاح عن الجوهرى .

(١) انظر السيوطى : المزهر : ١ / ٦٠ .

(٢) انظر ترجمته فى : معجم الأدباء : ٦ / ١٦٣ ومعجم البلدان : ٢ / ٣٣٤ .

(٣)ترجمته فى : إنباه الرواة : ١ / ١٦٩ ؛ معجم الأدباء : ١ / ١٦٢ .

(٤) معجم الأدباء : ٦ / ١٥٧ .

(٥) ياقوت الحموى : معجم الأدباء : ٦ / ١٦٣ .

ومماعيب به الصحاح : التصحيف . مثال ذلك مااستشهد به على كلمة الدبدبة ، بباءين موحدتين ،قال :

عاثور شر أيما عاثور[1] دبدبة الخيل على الجسور

قال الخطيب التبريزى : الصواب دندنة بنونين ، وهو أن تسمع من الرجل نغمة ولاتفهم مايقول .

وكذلك ماذكره الجوهرى ، قال : احتق الفرس : ضمر، قال التبريزى : والصواب احنق الفرس بالنون على افعلّ : إذا ضمر ويبس . وشاح الفرس بذنبه ، صوابه بالسين المهملة، وغير ذلك مماتعقبه فيه صاحب القاموس [2] وغيره .

وهكذا يبدو أن هذه التصحيفات وأمثالها قد تكون من أخطاء تلميذه الذى بيض الكتاب وراجعه من بعده كمابقال ، وقد تكون من هنات الجوهرى نفسه ، ولعل دفاع ياقوت عنه بعد أجمل دفاع وأكرمه ، قال : « إنه رحمه الله ، غلط وأصاب ، وأخطأ المرمى وأصاب ، كسائر العلماء الذين تقدموه وتأخروا عنه فإنى لاأعلم كتابا سلم إلى مؤلفه فيه ، ولم يتبعه بالتتبع من يليه » .

ولجزالة نفع هذا الكتاب تتبعه العلماء بالتهذيب والتنقيح. ومن ذلك: تنقيح الجواليقى[3] مع حذف الشواهد ، وتنقيح الزنجانى ، محمود بن أحمد بن محمود (ت ٦٥٦ هـ = ١٢٥٨ م) ، والصراح ، مع ترجمة فارسية لأبى الفضل محمد بن عمر بن خالد القرشى (ولد فى حدود ٦٢٨ هـ = ١٢٣١م) .

كمااختصره محمد بن أبى بكر بن عبدالقادر الرازى (ت .فى حدود سنة ٦٩١ هـ) .

وأكمله أو نبه على أخطائه آخرون ومن هؤلاء : أبو محمد عبدالله بن برى المصرى (ت ٥٨٢ هـ = ١١٨٦ م) فى كتابه :

« التنبيه والإيضاح على ماوقع من الوهم فى كتاب الصحاح » .

والحسن بن محمد بن الصغانى (ت ٦٥٠ هـ = ١٢٥٢م) فى كتاب : « التكملة والذيل والصلة » .

---

(١) العاثور : المهلكة من الأرضين ، والشر .

(٢) المزهر : ٢ / ٢٤٢ .

(٣) أبو منصور موهوب بن أحمد الجواليقى (ت - ٤٦٥ هـ) .

ودافع عن الصحاح بعض العلماء منهم أبو زيد عبد الرحمن بن عبد العزيز المغربى التادلى المدنى العمرى فى كتابه : « الوشاح وتثقيف الرماح فى رد توهيم المجد (مجد الدين الفيروزابادى) للصحاح [1] » .

خاتمة الجوهرى :

يقال إن الجوهري لقى مصرعه مترديا من سطح المسجد أو سطح منزله بنيسابور بعد لوثة أصابته فى أواخر القرن الرابع الهجرى .. ويرجع التحقيق الذى قام به ياقوت أن وفاته كانت بعد سنة ست وتسعين وثلاثمائة ، وهى السنة التى أتم فيها الجوهرى نسخ « ديوان الأدب » بخطه ، فى نسخة رآها ياقوت بدمشق عند الملك عيسى بن العادل بن أيوب صاحب دمشق . ومن ثم يرى بعض العلماء أنه توفى سنة ثمان وتسعين وثلثمائة. ويحتاط آخرون فيقولون : فى حدود سنة أربعمائة .

ولاشك أنه سيبقى فى أذهان الناس بفضل معجمه الكبير : « تاج اللغة وصحاح العربية » .

---

(١) ط : بولاق ١٢٨١ هـ ثم مصر سنة ١٣٠٥ هـ وانظر بروكلمان : ٢ / ٢٦٣ترجمة د . عبدالحليم النجار .



رواد تابعون (١)

محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازى[1]
(ت بعد سنة ٦٩١ هـ)

صاحب «مختار الصحاح»

تمهيد :

يعد « صحاح الجوهرى » خطوة طيبة على طريق تثقيف المعجم العربى ، دعت كثيرا من الرواد أن يترسموا خطاه ، ويسيروا على دربه ، وأن يضيفوا إلى المكتبة المعجمية معاجم ، يحق أن يطلق على بعضها وصف « الموسوعات » ، كما صنع ابن منظور (٦٣٠ - ٧١١ هـ) صاحب « لسان العرب » وأن يعمدوا أحيانا إلى كتاب الجوهرى بالاقتضاب والاختصار كماصنع كثيرون من بينهم :محمد بن أبى بكر الرازى صاحب «مختار الصحاح فى اللغة » .

وإذا كان عمل الرازى فى هذا المعجم هو ماالتزمه من اقتباس ماأراد اقتباسه من صحاح الجوهرى، فى إيجاز كبير يفى بما أراده من الاقتصار على ماتدعو إليه ضرورة الاطلاع السريع، مع تلبية حاجة الحفاظ، والأدباء، ورجال الفقه ، واللغة، حتى خرج المعجم فى هذا القطع الصغير، كمايقول المشتغلون بفن الطباعة، إذا كان هذا هو عمل الرازى، فإنه قد سار كذلك على نهج دقيق، وكان أنموذجا جيدا لمن يعمد أحيانا إلى ولوج هذه السبيل، وكان من الضرورى لذلك، تتبع هذا النهج وبيان معالمه فيمايلى من هذه النقاط .

---

(١) الرازى : نسبة إلى مدينة الرى ، من بلاد الديلم ، وهو من رجال القرن السابع الهجرى ، زار مصر والشام ، ثم رحل إلى قونية، ووضع كتاب « روضة الفصاحة » برسم السلطان المنصور نجم الدين غازى بن قرا أرسلان الأرتقى ، الذى ارتقى عرش ماردين سنة ٦٩١ هـ ويبدو أن الرازى عاش إلى مابعد هذه السنة سنة ٦٩١ هـ : (انظر : عبدالله مخلص : مجلة المجمع العلمى العربى : جـ ١١ ، مجلد ٨ ص ٦٤١)

نهج المختار :

١ - ترسم الرازى ماسار عليه الجوهرى فى صحاحه حين اختار الأبجدية المألوفة (أ / ب/ ت/ ث/ ج / .. إلخ)، أساسا لتنظيم المعجم، ومن اعتبار الحرف الأخير من حروف المادة الأصلية دليل هذا التنظيم، ومن أجل ذلك قسم المعجم إلى سبعة وعشرين بابا بعدد حروف الهجاء، بعد إدماج المواد الواوية واليائية الآخر فى باب واحد هو: «باب الواو والياء»، وأتبعها بالباب الثامن والعشرين، وخصه بالمواد المنتهية بالألف اللينة غير المنقلبة عن واو أو ياء. وقسم كل باب إلى ثمانية وعشرين فصلا، حسب الحرف الأول من حروف المادة الأصلية كذلك، إلا أن يهمل من الأبواب شىء من الفصول.

ويلاحظ المتصفح للباب الثامن والعشرين، وهو «باب الألف اللينة» أنه لم يقتصر على ماخصص له؛ فقد تحدث عن مواد لاتنتهى بالألف اللينة مثل: «إذا» و «أولو» و«أولات» و «أولى» وحرف «الباء» و «ذو» وحرف «الفاء» و «لو». وليس فى هذا الباب توجيه يوضح سبب الحديث عن هذه المواد، بل لقد صوره بمايفيد غيره حين تحدث عن «الألف» وأنها ضربان: لينة ومتحركة ، فاللينة تسمى ألفاً، والمتحركة تسمى همزة. ثم قال : « وذكرنا ماكانت الألف فيه منقلبة عن الواو والياء فى الباب الذى قبل هذا ، وهذا الباب مبنى على ألفات غير منقلبات من شىء ، فلهذا أفردناه »، وكان من الممكن أن يضع هذه المواد فى أبوابها المناسبة كماصنع مع « إذ » فقد ذكرها فى موضعها من باب الذال ، وأن يتحدث عن حرفى الباء والفاء فى صدر بابيهما ،كماصنع غيره من المعجميين ، وأن يتسع باب الواو والياء ليضم بعض ماذكره فى باب الألف اللينة.

٢ - عنى الرازى بالضبط ، وهو يلجأ إلى إحدى طريقتين :

(١) النص على نوع الضبط : فيقول فى مادة : ش ن ء : « وقد شنىء بالكسر شنأ بسكون النون ، والشين مفتوحة ومكسورة ومضمومة ، ومشنأ كمعلم ، وشنآن بسكون النون وفتحها، وقرىء بهما » .

(ب) وكثيرا مايشير إلى الضبط بالتمثيل بلفظ مشهور أو بالإحالة إلى وزن اللفظ كقوله : « رقأ الدمع والدم : سكن وبابه قطع » ومثل : « عند ، من باب جلس : أى خالف ورد الحق وهو يعرفه » .

وقد نبه الرازى إلى ماالتزمه فى الضبط وخاصة عند ضبط المواد الثلاثية .

فهناك من أبواب الفعل الثلاثى « مالايكفى فيها النص على حركة الحرف الأوسط من الماضى دون معرفة وزن المضارع لاختلاف وزن المضارع مع اتحاد الماضى، فلابد من النص على المضارع أيضا أو رده إلى بعض الموازين » .فوزن فعل بفتح العين فى الماضى ، يرد مضارعه مضموم العين كنصر - ينصر ، ومكسور العين كضرب - يضرب ، ومفتوح العين كقطع يقطع ، ومن ثم ينبغى التنبيه على وزن المضارع بالنص على ضبط عينه ، أو بالإشارة إلى وزن فعل مشهور، على مثال ماسيظهر بعد قليل .

وإذا اقتصر على ضبط المضارع الثلاثى ، فقال بالضم أو بالكسر ،« فاعلم أن ماضيه مفتوح الوسط لامحالة » .

وفى الأسماء ضبط كل اسم يشتبه على الأعم الأغلب ، إما بذكر مثال مشهور عقيبه، وإما بالنص علي حركات حروفه التى يقع فيها اللبس . مثل : العنت بفتحتين : الإثم، والدملج والدملوج بضم الدال واللام فيهما : المعْضَد. ويقول فى مادة: خ ش ب: «جمع الخشبة خشب بفتحتين وخشب بضمتين ، وخُشْب كقفل ، وخشبان كغفران » .

ولاشك أن العناية بالضبط أصون للغة ، وأعون للطالب أن يصل إلى ماينبغى فى يسر .

٣ - وممايبرز فى هذا المختصر : العناية بحصر الأوزان الثلاثية ، والتنبيه إليها، وتدارك مافات الجوهرى منها. فكل ماأهمله الجوهرى من أوزان مصادر الأفعال الثلاثية التى ذكر أفعالها ،ومن أوزان الأفعال الثلاثية التى ذكر مصادرها نبه الرازى إليه ،ونص على ضبط حركاته ، أو رده إلى أحد الموازين العشرين التى بينها متى وجد له سندا من كتب اللغة الموثوق بها ، والمعتمد عليها ، وإلا أهمل النص عليه ، تجنُّب أن يقحم على اللغة مالم يتضح لديه الدليل عليه .

والموازين العشرون التى أشار إليها الرازى متفرعة عن أصول ستة ، هى :

الوزن الأول : وزن فَعَل يفْعُل بفتح العين فى الماضى وضمها فى المضارع .

وذكر منه الرازى سبعة موازين :(نصر - دخل - كتب - رد - قال - عدا - سما)

الوزن الثانى : فَعَل يَفْعِل ، بفتح العين فى الماضى وكسرها فى المضارع .

والمذكور منه خمسة موازين : (ضرب - جلس - باع - وعد - رمى) .
الوزن الثالث : فَعَل يَفْعَل ، بفتح العين فيهما ومنه وزنان :(قطع - خضع) .
الوزن الرابع : فَعِل يَفْعَل ، بكسر العين فى الماضى ، وفتحها فى المضارع .
ومنه أربعة موازين : (طرب - فهم - سلم - صدىء) .
والخامس : فَعُل يَفعُل ، بضم العين فيهما ، ومنه وزنان : (ظرف - سهل) .
والسادس : فَعِل يفعِل ، بكسر العين فيهما، كوثق يثق وثوقاً ونحوه ، وهو قليل.
وقد نبه الرازى علىَ ماهو وارد على وزانه فى مواضعه من المعجم .

والإحالة على الموازين السابقة تعنى عند الرازى مماثلة الفعل المطلوب ضبطه الفعل المتمثل به فى حركات ماضيه ومضارعه ومصدره على التصريف المذكور له فى موازينه، فإن كان له غير هذا الوزن نص عليه . مثال ذلك : سلع اللقمة من باب فهم ، وسلجانا أيضاً بفتح اللام ،أى بلعها ومثل : الشقرة لون الأشقر وبابه طرب، وشقرة أيضاً. ومعنى هذا: أن تصريفات الفعل «سلج» (الماضى والمضارع والمصدر) تشابه نظائرها من الفعل « فهم » وتزيد عليها صيغة «سَلَجانا» بفتح اللام . وكذلك الشأن فى تصريفات « شقر » تشابه تصريفات الفعل « طرب » وتزيد عليها صيغة « شقرة » أيضا .

٤ - ومن مزايا هذا المعجم الموجز أنه ضم بعض القواعد النحوية والصرفية وأشار إلى آراء بعض العلماء فيها ، على طريقته فى المعجم من الإيجاز المفيد .

مثال ذلك : ماذكره فى مادة : س ج د ، من طريق بناء اسم المكان والمصدر الميمى من الثلاثى قال : « قال الفراء : ماكان على فَعَل يَفْعُل كدخل يدخل فالمَفْعل منه بفتح العين اسما كان أو مصدرا تقول : دخل مَدْخَلا وهذا مَدْخَله إلا أحرفا من الأسماء ألزموها كسر العين منها : المسْجِد ، والمَرْفِق ، من رفق يرفق والمنبت من نبت ينبت. وماكان من باب فَعَل يفْعِل كجلس يجْلِس، فالمكان بالكسر والمصدر بالفتح للفرق بينهما. وتقول: نزل مَنْزَلاً بفتح الزَاى - يعنى نُزولا ،وهذا مَنْزِله بالكسر أى داره ..» وفى باب : ظهر ، يقول : « والظَّهير : المعين ، ومنه قوله تعالى: « والملائكة بعد ذلك ظهير » وإنما لم يجمعه لما ذكرنا فى قعيد [1] » وفى حرف الياء من باب الألف اللينة يتحدث عن

(١) ذكر فى مادة : ق ع د : « .. فعيل وفعول ، يستوى فيه الواحد والاثنان والجمع ».

طريق تعدية الفعل فيقول: « وكل فعل لايتعدى فلك أن تعديه بالباء والهمزة والتشديد، تقول : طار به ، وأطاره ، وطيره » .

٥ - كان من الممكن أن يترك الرازى الاستشهاد على مايشرحه من معانى المواد قصداً إلى الإيجاز الذى توخاه فى معجمه ، ولكنه لم يُخْلِ معجمه من النصوص التى تزيده وتضيف فى الوقت نفسه إليه شيئا من الإمتاع والإفادة .

وفى مقدمة مايستشهد به آيات القرآن الكريم كماترى فى الفقرة السابقة ؛ وحديث الرسول الكريم ،كماصنع فى مادة : دفا. قال :« دفا : أدفيت الجريح : أجهزت عليه. وفى الحديث أنه صلى الله عليه وسلم أُتِيَ بأسير يوعك ، فقال لقوم : اذهبوا به فأدْفُوه وأراد : الدفء من البرد ، فذهبوا به فقتلوه ، فوداه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) » .

وكذلك بعض الشعر ، كماترى فى مادة : ل م م ، قال : ألم الرجل ، من اللمم وهو صغائر الذنوب ، قال :

إن تغفر اللهم تغفرْ جمّاً وأيُّ عبد لك لا ألمّاً

٦ - والاختصار هدف أساسى قصد إليه الرازى . لم يسىء استعماله ، ولم يتخذه ذريعة لتشويه المعجم ، بل لقد توخى مع الاختصار أموراً ثلاثة :

١ - ألا يحرم المثقفين المتخصصين من الانتفاع بمعجمه ، وإنما العكس هو الصحيح ، ونبه هو إلى هذا الغرض ، فى قوله : « واقتصرت فيه على مالابد منه لكل عالم فقيه ، أو حافظ أو محدث أو أديب ، من معرفته أو حفظه ، لكثرة استعماله وجريانه على الألسن ».

٢ - تجنب عويص اللغة وغريبها تسهيلا للحفظ .

٣ - أضاف ماافتقده فى صحاح الجوهرى من فوائد عثر عليها فى مصادر أخرى ، كتهذيب الأزهرى [١] (٢٨٢ - ٣٧٠ هـ) ، وغيره من أصول اللغة الموثوق بها ، «ومما فتح الله تعالى به » عليه . وهداه إليه ، ونبه إلى هذه الإضافات وصدرها بعبارة : « قلت » ، حتى لايقحم على كتاب الجوهرى ماليس منه .

٧ - ومن الأمانة العلمية أنه نسب الفضل لذويه ؛ فحين شرع فى معجمه أشاد بفضل الجوهرى وقيمة كتابه ، وقال:« هذا كتاب جمعته من كتاب الصحاح للإمام العالم

---

(١) أبومنصور محمد بن أحمد بن أزهر الهروى اللغوى . بغية الوعاة : ١ / ١٩ .

العلامة أبى نصر إسماعيل بن حماد الجوهرى (رحمه الله تعالى) : لما رأيته أحسن أصول اللغة ترتيباً ، وأوفرها تهذيباً، وأسهلها تناولا، وأكثرها تداولا » . وكذلك نبه إلى مصادره التى أخذ عنها واستفاد منها ، شأن الأفاضل من العلماء .

هذا وقد فرغ الرازى من تأليف كتابه سنة ستين وستمائة [1]،رحمه الله رحمة واسعة .

مختار الصحاح فى تنظيمه الحديث

لقى مختار الرازى عناية واسعة لدى الباحثين لمارأوا فيه من ميزات سبقت الإشارة إلى بعضها ، حببتهم فى تعميم الانتفاع به وخاصة بين الناشئين ، ومن ثم تنبه الذهن إلى تيسير تناوله ، وتغيير منهجه مع الحفاظ على مادته ، و الإبقاء على خصائصه .

فوكلت «وزارة المعارف المصرية» إلى الأستاذ محمود خاطر«بك»أمر تثقيف الكتاب وإعادة تبويبه ، ورأت أن يكون على اعتبار الحرف الأول من المادة الأصلية ومايليه : الثانى فالثالث ، وهكذا ، كترتيب أساس البلاغة للزمخشرى (٤٦٧ - ٥٣٨ هـ) ؛ وأن ترد إلى كل مادة مشتقاتها التى يصعب على الطالب ردها إليها، ورأت الوزارة أن يضاف إلى هدف المعجم غرض تهذيبى بحذف مالاينبغى أن يطرق مسامع النشء .

وقد راجع الكتاب بعد تثقيفه الشيخ حمزة فتح الله، وطبع أواخر سنة ١٣٢٥هـ = ١٩٠٧ م . ثم أعيد طبعه مراراً .

وقد أدت إعادة تبويب الكتاب إلى إذابة باب « الألف اللينة » وهو الباب الثامن والعشرون حسب ترتيب الرازى ، فى سائر أبواب المعجم فى ترتيبه الحديث .

ومثال ذلك ماذكره الرازى فى صدر باب الألف اللينة من حديث عن « الألف اللينة » ومدلولها ووظائفها ؛ فقد جعله منظم المعجم الحديث فى صدر باب « الهمزة » والمواد : إذا ، إذ، إلى ، ألا ، أولو ، أولات ، أولى ،إلا ، أنى ، أيا - سلكت كلها فى باب الهمزة ؛ والمواد : با، تا ، حا ، ذا ، ذو ، فا .. إلخ - سلكت كلها فى أبوابها الملائمة لصدر ماينطق به منها ، فى الترتيب الحديث .

---

(١) انظر : عبدالله مخلص : مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق ، المجلد الثامن : ٦٤١ ، بروكلمان: «تاريخ آداب اللغة العربية : ٢ / ٢٦١ - ترجمة : د : النجار .

واتباعا للنهج الحديث ، من ترتيب المعجم حسب الحرف الأول فالثانى ومايليهما، ومن رد الألفاظ إلى أصولها والتنبيه إلى أماكن ورودها فى المعجم ، أورد المعجم الألفاظ مرتبة حسب هذين الأصلين : فلفظ « آخية » ذكر فى باب الهمزة ثم ألف المد المعجمة، ونبه المعجم إلى أن تفصيل الحديث عنه يرد فى أخ ا ؛ ولفظ « آفة » فى : أوف ؛ ولفظ « آه » فى : أوه ؛ ولفظ « إبان » فى : أ ب ن ؛ وهكذا ...

ومن المفيد فى هذه الدراسة اختيار أحد النماذج للوقوف على مدى محافظة التنظيم الحديث على النص القديم للتنبيه إلى بعض مالم يذكر قبل من خصائصه .

مادة : بهر :

(بهر) بهره غلبه ، وبابه قطع ، والبُهر بالضم تتابع النَّفَس ، وبالفتح المصدر يقال : بهره الحمْل أى أوقع عليه البهر بالضم ، فانبهر أى تتابع نَفَسه . والبهار بالفتح : العرار الذى يقَال له عين البقر، وهو بهار البر ، وهو نبت جعد له فقاحة صفراء ينبت أيام الربيع يقال له العرارة .وبهر القمر أضاء حتى غلب ضوءه ضوء الكواكب. يقال قمر باهر وبهر الرجل . برع ، وبابهما قطع .

التحليل:

إضافة إلى ماسبق ذكره من خصائص المختار يرى الدارس الملحوظات الآتية :

١ - وردت المادة السابقة فى مختار الصحاح بترتيبه القديم والحديث دون نقص أو زيادة . وصدر الحديث عنها بذكرها مجردة شأن جميع مواد المعجم .

وبدىء هنا بصيغة الفعل الماضى وليس هذا يلتزم فى الحديث عن المواد ؛ فقد يبدأ المعجم باسم الذات ، أو بالمصدر ، أو بأحد المشتقات مع ورود صيغة فعلية للمادة، مثال ذلك المواد الآتية من باب الراء فى الترتيب القديم ، وأول مابدىء به فيها :

(أثر) - الأثر بوزن الأمر : فرند السيف . أثر الحديث . ذكره عن غيره .

(أجر) - الأجر : الثواب ، وأجره الله من باب ضرب ونصر ...

(أشر) - الأشر : البطر، وبابه طرب ، فهو أشر وأشران ، وقوم أشارى بالفتح ، مثل سكران وسكارى ...

(بخر) - بخار الماء : مايرتفع منه كالدخان ...

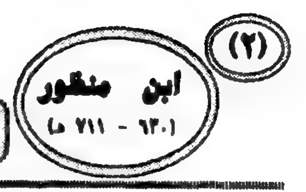
(بأر) - البئر جمعها فى القلة أبؤر كأفلس وآبار كأحجار ... وبأر بئراً ، بهمزة بعد الباء : حفرها ، وبابه قطع .

(خصر) - الخصر : وسط الإنسان .. والخصر ، بفتحتين : البرد .وقد خصر الرجل : إذا آلمه البرد فى أطرافه ...

٢ - وفى المادة السابقة ، كغيرها من المواد. لم يتوخ الرازى اتباع نهج خاص فى ترتيب مشتقات المادة ، كماتصنع المعاجم الحديثة حين تبدأ بالفعل فى صوره المجردة والمزيدة . ثم الاسم من المادة : جامده ومشتقه ،مجرده ومزيده . وماسار عليه الرازى سارت عليه المعاجم المتقدمة عليه والمعاصرة له ، وهو لها متبع .

٣ - ويلاحظ أن المعجم تحدث عن نبات البَهَار وعرف به تعريفا أظنه لايغنى فى العصر الحديث ، والمعاجم الحديثة تهتم بإيضاح التعريف بالنبات والحيوان والأدوات تعريفا يقترن برسم لها أو تحديد أدق لوصفها. وقد تذكر مايقابل أسماءها فى لغات أخرى ممايعين الدارسين إلى حد كبير .

وبعد ، فلعل الكلمات السابقة قد أسهمت فى تبيان بعض مايجد الدارس فى «مختار الصحاح » من مزايا . ثم لعله يجد مزايا أخرى مع ترداد النظر ومعاودة الاطلاع والدرس .



صاحب لسان العرب

تمهيد :

يعد « لسان العرب » فى مقدمة كتب هذه المرحلة من المعاجم اللغوية ، وقد ألفه صاحبه أبو الفضل جمال الدين بن منظور [١] ، موسوعة يفيد منها اللغوى والأديب والمحدث وعالم التفسير والفقيه ، فإنه لم يقصره على حشد المواد اللغوية وتحليلها وتوضيح معانيها ، بل ضم إليها عناصر كثيرة وفيرة الزاد ، وسّعت من دائرته وجعلته قبلة سائر العلماء . وابن منظور سعيد بما صنع .مغتبط بما عمل ، ويبدو هذا جلياً من عبارته : « .. فجاء بحمد الله وفق البغية ، وفوق المنية ، بديع الإتقان ، صحيح الأركان ، سليما من لفظة : لو كان [٢] » وقد مكنت الأيام لهذا الكتاب مع ضخامة مادته ، وثقل مئونته ، فبقى موضع تقدير العلماء ، جديراً بثقتهم .والزاد اللغوى الذى جمعه ابن منظور مقتبس من مصادر خمسة هى :تهذيب الأزهرى (٢٨٢ - ٣٧٠ هـ)، ومحكم ابن سيده (ت ٤٥٨ هـ)، وصحاح الجوهرى (٣٣٢ - ٣٩٨ هـ)، وحواشيه لابن برى (٤٩٩ -٥٧٦ هـ)، وجمهرة اللغة لابن دريد (٢٢٣ - ٣٢١ هـ) ، والنهاية فى غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير (ت ٦٠٩ هـ) . واستطاع ابن منظور أن يوائم بين مصادره وأن يختار لكتابه منها مايشد انتباه القارىء فى غير إضجار أو

---

(١) عبدالله محمد بن مكرم بن على بن أحمد ، ابن منظور الأنصارى الإفريقى ، ثم المصرى ، جمال الدين أبو الفضل . عمّر وجمع وحدث واختصر كثيرا من كتب الأدب المطولة . وكان عارفاً بالنحو واللغة والتاريخ والكتابة . انظر : السيوطى : بغية الوعاة : ١ / ٢٤٨ ؛ ابن العماد : شذرات الذهب : ٦ / ٢٦ وغيرهما .

(٢) ابن منظور : مقدمة لسان العرب .

إملال ، بل إن تنقله بينها يشعر القارئ، أنه عاش معها جميعا، ونال منها أفضل مايحتاج إليه . ولابن منظور فى هذه المصادر وغيرها رأى دفعه لتأليف كتابه : فمؤلفوها بين رجلين : رجل أحسن الجمع . ولكنه لم يحسن التأليف والوضع : وآخر أحسن الوضع وفاتته إجادة الجمع . وكتابا الأزهرى وابن سيده وعرا المسلك عسرا المطلب، لايرتاح إلى منهجهما الذهن ولايستريح الفكر . وكلا الكتابين « فرق الذهن بين الثنائى والمضاعف والمقلوب ، وبدد الفكر باللفيف والمعتل والرباعى والخماسى فضاع المطلوب[1]» ومهما كان لهذا الرأى من صواب فابن منظور أفاد من هذه الكتب ، وخلدها بالرجوع إليها، واعترافه بفضلها .

وقد صدر ابن منظور كتابه بمقدمة تحدث فيها عن هدفه من تأليفه ، واهتمامه بكتب السابقين من اللغويين ، ونقده لمناهجهم ، ومحاولته أن يجمع بين أفضل ماتركوا وأحسن ماينبغى ، ومنهاجه الذى ارتضاه ، وأمله أن يأتى وافيا بماقصد إليه .

واطلاع ابن منظور الواسع ، وشغفه العلمى دفعاه إلى أن يجعل كتابه لايبخل على قارئه بمايود منه ، والفصلان القصيران اللذان بدأ بهما ابن منظور كتابه يشعران القارئ بأنه كان يود أن يسترسل فى مثل هذه البحوث لولا تنبهه إلى هدف الكتاب الأول .

وفى أول هذين الفصلين تفصيل لآراء العلماء فى الحروف المقطعة التى بدئت بها بعض سور القرآن الكريم ، مثل : الم ، كهيعص ، ص ، ق ، وغيرها . ويناقش ماقيل فى بناء أو إعراب حروف التهجى ، وتذكيرها وتأنيثها . وأكثر ماذكره فى هذا الفصل نقله عن تهذيب الأزهرى فى خاتمة كتابه .

وفى الفصل الثانى تحدث عن ألقاب الحروف ، وطبائعها، وخواصها، وقسمها إلى مجهورة ومهموسة ، وشديدة ورخوة ، كماتحدث عن مدارج الحروف ، وموقع الحروف من هذه المدارج ، وقد صنع السابقون أوفى مماصنع ابن منظور فى هذا المجال ،كمانرى فى المقدمة الموجزة لكتاب العين ، وفى المقدمة المطولة لكتاب جمهرة اللغة .

---

(١) انظر : مقدمة لسان العرب .

منهج الكتاب :

اختار ابن منظور مصادر عدة يقبس منها ولكنه لم يرتض من مناهجها غير المنهج الذى سار عليه الجوهرى فى صحاحه ، وصرح بذلك فى مقدمته للسان العرب ،حين قال: « ورتبته ترتيب الصحاح فى الأبواب والفصول » لحسن تبويبه وسهولة تأتيه .

ولكن الناظر فى الكتابين : صحاح الجوهرى ولسان العرب يجد شيئاً من الاختلاف فى مسيرة هذا المنهج. وقد قسم الجوهرى وابن منظوركتابيهما أبوابا حسب الحرف الأخير من حروف المادة الأصلية ، ومع رعاية الترتيب الأبجدى المعتاد (ء / ب / ت / ث / ج ... إلخ .) فباب الباء للكلمات المنتهية بحرف الباء ، وباب الميم للكلمات المنتهية بالميم ، وباب الهمزة للكلمات المنتهية بحرف الهمزة ، أصلية غير منقلبة عن واو أو ياء كالردء ، والظمأ والفيء .أما كلمتا السماء ، والقضاء وأمثالهما فموقعهما باب الواو والياء وفيه جمعت المواد المنتهية بواو أو ياء سواء بقيتا على حاليهما ، أو تحولتا بسبب الإعلال أو الإبدال ألفا لينة أو همزة . واستحسن ابن منظور صنيع الجوهرى فى جمعه الكلمات الواوية واليائية الآخر فى باب واحد ، وعاب من نقد الجوهرى فى هذا ، ففصل بين الكلمات الواوية واليائية ، ومن ثم اضطرب ، فكرر الحديث فى المواد التى ترد واوية ويائية .

وقسمت الأبواب إلى فصول مراعاة للحرف الأول من حروف المادة الأصلية: فالكلمات : برد ، سعد ، نرد ، نجدها فى باب الدال وفصول : الباء والسين والنون على التوالى .

غير أن الجوهرى قدم فصل الواو على فصل الهاء ، وقدم ابن منظور فصل الهاء على فصل الواو ، وبذا يختلف ترتيب الفصول فى الكتابين مع هذين الفصلين .

وترتيب مواد الفصول فى الكتابين يسير أبجديا كذلك حسب الحرف الثانى فالثالث فالرابع إن كانت المادة ثلاثية أو رباعية أو خماسية ، فالكلمات : سجد ، سرد ، سعد ، سهد ،كلها فى باب الدال وفصل السين وترتيبها فى الكتابين يتخذ هذا الترتيب الملون .

غير أن الجوهرى اتباعا لطريقته المشار إليها فى ترتيب الفصول يقدم فى ترتيب مواد كل فصل حرف الواو على حرف الهاء بينما يعكس ابن منظور فيقدم حرف الهاء على حرف الواو، فالكلمات : ض و ء ، ض هـ ء ، ض ى ء ، فى كتاب الجوهرى ، تتخذ

ترتيباً آخر فى لسان العرب ، إذ تراها فيه هكذا ض هـ • ، ض و • ، ض ى • .

والباب الأخير فى الكتابين معقود للكلمات المنتهية بالألف اللينة غير المعروفة الأصل، ومادته فى لسان العرب أكثر وفاء وأعظم غزارة ، سنة ابن منظور فى كتابه . وفى هذا الباب يتحدث ابن منظور عن بعض حروف الهجاء إذ تنطق منتهية بألف لينة مثل : آ ، با ، تا ، حا ، خا. ويتحدث عن مدارجها وموقعها من الجهر والهمس، والرخاوة والشدة ، ثم يتطرق إلى سائر ماتصير إليه من صور جديدة ، وعن معانيها فى كل صورة مع التعليل والتحليل والاستشهاد .

ويلاحظ حرص ابن منظور على تسمية أبواب كتابه وفصوله فيقول مثلا : فصل الباء الموحدة ، فصل التاء المثناة فوقها ، فصل الثاء المثلثة ، فصل الحاء المهملة ، فصل الخاء المعجمة ، وهكذا . وكذلك يصنع فى الأبواب .

وفى مبدأ كل باب يتحدث حديثاً طويلا أو قصيراً ، حسب الاقتضاء عن الحرف المعقود له الباب ، فباب الهمزة صدره بحديث بلغ أكثر من خمس صفحات (من القطع الكبير) عن حرف الهمزة أصلية ومبدلة وزائدة ، وألقابها فى جميع ذلك ، ومايطرأ عليها من تحقيق ، أو تسهيل ، أو إخفاء ، أو إبدال ، وعالج كثيراً من الفوائد الهامة مسندة إلى مصادرها مؤيدة بشواهد غنية .

خصائص الكتاب :

فى صدر هذا الحديث نعود إلى « لسان العرب » فنضع منه نموذجاً موجزاً نتناوله بالتحليل والدرس ، ونتعرف قدر المستطاع من خلال هذا التحليل والدرس على خصائص الكتاب ، وليس من الممكن هنا أن ننقل كل ماكتب ابن منظور عن مادة بعينها، فغزارة ماكتبه تحليلا وتعليلا واستشهاداً يحول دون ذلك .

جاء فى مادة ح ل • ، فى لسان العرب مايلى :

حلأ : حلأت له حَلُوءًا ، على فَعول إذا حككت له حجراً على حجر ثم جَعلت الحُكاكةَ على كفك وصدأت بها المرآة ثم كَحَلته بها . والحُلاءة بمنزلة فُعالة ، بالضم .

والحَلُوء : الذى يُحَك بين حجرين ليُكتَحَل به ؛ وقيل الحلوء : حجر بعينه يُستَشفى من أرمد بحُكاكته ، وقال ابن السكيت : الحَلُوء :

حجر يدلكُ عليه دواء ثم تُكحَلُ به العين .

حَلأه يحلَؤُه حَلأ وأحْلأه : كحله بالحلوء .

والحالئة : ضرب من الحيّات تحلأ لمن تلسعه السّمّ كمايحلأ الكحّال الأرمد حُكاكة فيكحله بها ، وقال الفراء أحلىء لى حلوءاً . وقال أبو زيد : أحلأت للرجل إحلاء : إذا حككت له حُكاكة حجرين فداوى بحكاكتهما عينيه إذا رمِدتا .

المناقشة :

الفقرة السابقة من مادة : حلأ ، تدور مشتقاتها حول معنى واحد ، وهو الكحْل ، صاغ منها الفعل ، والوصف ، والمصدر ، وقد نقل هذه الفقرة من تهذيب الأزهرى ، ومن صحاح الجوهرى مع توفيق يسير بين هذين المصدرين .والعمل الواضح لابن منظور فى هذه الفقرة هو جمع شتات مفرداتها فى موضع واحد مع الحفاظ على أصل النص، فكل مايوجه إلى هذه الفقرة من نقد ، إن كان ، ينبغى أن يوجه إلى مصدريه لا إليه . ولابأس ، مع ذلك ، من تحليل هذه الفقرة ، ومقارنتها بغيرها ليستطيع التعرف على الملامح التى تسود « لسان العرب » .

١ - وأول مايلاحظ فى الفقرة ، وهى أول ماصدر به من حديث فى مادة : حلأ ، أن ابن منظور وضع المادة فى بدء الحديث مجردة فى أبسط صورها انتظاراً لما يصنع بعد ذلك من سرد مشتقاتها، ثم شرع فى سردها بادئا بالفعل : « حلأت له حلوءا على فَعول » والبدء بالفعل ليس دأباً لازما فى لسان العرب ، إذا كان للمادة أفعال يمكن أن تصاغ منها ، فقد يهمل البدء ، وكثيرا مايصنع ، بالفعل ، ويبدأ بصور أخرى للمادة غيره ؛ ففى مادة : ح م ء ، يقول ابن منظور : « الحمْأة والحمَأ : الطين الأسود .. » ، هذا مع وجود الأفعال والأوصاف المصوغة من هذه المادة : فبعد قليل من بدء الشرح يقول ابن منظور : « وحمئت البئر حَمَأ ، بالتحريك فهى حَمِئة : إذا صارت فيها الحْمأة وكثرت .. إلخ » وفى مادة : ث ق ب ، يبدأ ابن منظور بقوله :« الليث : الثقب مصدر ثقبت الشىء أثقبه ثقباً ، والثقب اسم لمانفذ . الجوهرى : الثقب بالفتح واحد الثقوب. غيره: الثقب : الخرق النافذ ، بالفتح ، والجمع أثقب وثقوب . والثقب ، بالضم ، جمع ثقبة ..» ثم يورد الأفعال المصوغة من المادة فيقول : « وقد ثقبه يثقبه ثقبا . وثقّبه فانثقب ، شُدد للكثرة ..» .

والفعل الذى بدأ به ثلاثى مجرد متعد لمفعول به مباشر وآخر غير مباشر ، (بوساطة حرف الجر - له ، للرجل) وحين كرره بصورته هذه قرنه بصورة أخرى : صورة الثلاثى المزيد بالهمزة ليفيد اشتراك الصورتين فى أداء لون جديد من ألوان نفس المعنى : « حلأه يحلؤه حلأ وأحلأه : كحله بالحلوء ». وقد أعاده ثانية فى صورة المجرد مرة وفى صورة المزيد أخرى مسنداً كل صورة إلى أحد العلماء ليفيد اختلاف الآراء فى استعمال إحدى الصورتين لمعنى بعينه دون الصورة الأخرى : « وقال الفراء : أحلىءْ لى حلوءاً ؛ وقال أبو زيد : أحلأتُ للرجل إحلاء : إذا حككت له حكاكة حجرين فداوى بحكاكتهما عينيه إذا رمدتا » .

وللفعل « حلأ » معان أخرى غير المعنى الذى دارت حوله الفقرة المقتبسة قبل ، وله كذلك صيغ أخرى مزيدة تؤدى هذه المعانى أو غيرها ، ولكن ابن منظور التزم أن يأتى على مشتقات المادة وصورها لمعنى بعينه ، فإذا فرغ منه انتقل إلى المشتقات والصور التى تؤدى المعانى الأخرى ،معنى بعد آخر ؛ ففى نفس المادة : حلأ ، بعد الفقرة المدونة قبل ، قال : « أبو زيد ، يقال : حلأته بالسوط حلأ : إذا جلدته به وحلأه بالسوط والسيف حلأ : ضربه به .. » ثم قال : « وحلأ الإبل والماشية عن الماء تحليئاً وتحلئة : طردها أو حبسها عن الورود ومنعها أن ترده .. » ثم قال : «وحَلأتُ الأديم إذا قشرت عنه التَّحْلىءَ والتَّحْلىء : القشر على وجه الأديم مايلى الشعر ... » والمادة فى الفقرات الثلاثة السابقة ، وفى أخرى تليها فى « لسان العرب » ، تؤدى فى تصريفاتها وصورها معانى غير المعنى الأول الذى سبق تحليله . وابن منظور ، فى عرض هذه المعانى ، يتتبع سائر صورها واشتقاقاتها ، ويستشهد ، على سنته فى سائر كتابه .

وهذا النهج يفيد من وجهين ، أحدهما : أنه يجمع شتات التصريفات والاشتقاقات والصور المستخدمة فى أداء معنى بعينه ، فإذا تم ذلك اتجه إلى غيره من المعانى على نفس الهدى الذى ارتآه . وثانيهما : أن القارىء سيمر بعين خاطفة على الفقرات وكل منها يعالج معنى بذاته ، يختار منها ماهو فى حاجة إلى تتبع ألوانه ، وصور مادته ومشتقاتها، ولايضطر إلى استعراض جميع ماجاء فى المادة يضل فى متاهاتها المحيرة، خاصة فى كتاب غزير المادة كلسان العرب .

وتفضل بعض المعاجم لاسيما الحديثة حشد جميع المعانى للصورة الواحدة فإذا انتهت منها انتقلت إلى صورة أخرى ، وقد تبدأ بالأفعال مجردة ثم مزيدة ، ثم بالأسماء والصفات مجردة ثم مزيدة ، صورة بعد أخرى ، حسب النهج الذى يرتضيه صاحب المعجم لمعجمه [1] .

٢ - ويلاحظ كذلك أن ابن منظور لم يضبط هذا الفعل « حلأ » بصورة من صور الضبط المعروفة لدى العلماء . فالفعل : « حلأ » ثلاثى مجرد . وللثلاثى المجرد نحو عشرين بابا يشار إلى تحديدها بمثال مشهور،أو بالنص على نوع الضبط ، أو إشارات الضبط المعروفة (الحركات). هذا مع اهتمام ابن منظور بصحاح الجوهرى الذى سن لضبط المفردات سنة رسمها فى مقدمة كتابه ، وسار عليها فى علاج مواده [2] . وكان فى استطاعة ابن منظور أن يسير على نفس التقليد ، أو يدخل من الإضافات أو التعديلات مايزيد من فائدة الأجيال من بعده ، وعذر ابن منظور أنه يجمع مادته من مصادر عدة ، وأنه يتقيد بنصوص مصادره ، فماجاء فيها مضبوطا أورده كما وجده ، إلا إذا ارتأى تصحيحه استنادا إلى مصدر آخر . والقول فى صور الفعل الثلاثى يوجه إلى سائر صور ومشتقات المادة ، لايزيد فيها ابن منظور على مانقل عن العلماء . مثال ذلك من مادة : حلأ « حلأت له حلوءاً ، على فعول »، « والحلاءة بمنزلة فعالة بالضم»، و « التحلىء بالكسر ماأفسده السكين » ،« حلىء الأديم حلأ بالتحريك إذا صار فيه التحلىء » وجميع مافى هذه الأمثلة من ضبط منقول عن مصادره ، وبعض مصطلحاته يحتاج إلى تفسير وتحديد ، وخاصة أنها مصطلحات أصحاب المعاجم التى رسموها لكتبهم وليست مصطلحات عامة تواضع عليها علماء اللغة .

٣ - وفى الفقرة المدونة فى صدر هذا الحديث تتبع ابن منظور مشتقات المادة وتصريفاتها ، وأحسن جمعها وتنسيق الحديث عنها، وسجل من هذه الصور ، مماختاره من مصادره :الفعل الثلاثى المجرد : حلأ ، والمزيد بالهمزة :أحلأ ،والأسماء والصفات :

---

(١) انظر : الشرتونى : أقرب الموارد ؛ اليسوعى : المنجد ، مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط. وانظر الدراسة التالية بعد لهذه المعاجم .

(٢) انظر فى هذا الكتاب : ص ٧١ .

الحلوء : « الذى يُحَك بين حجرين ليكتحل به »، .و« الحالئة : ضرب من الحيّات تحلأ لمن تلسعه السّم كمايحلأ الكحّال الأرمد حُكاكة فيكحُله بها .. » .

والأمر كذلك في سائر معانى المادة ، يجمع لها من الصور والمشتقات مايستخدم لأدائها. فالفعل: حَلأ تحليئا وتحلئة ، أورده في موقعه المناسب لأداء معنى جديد: « حلأ الإبل والماشية عن الماء تحليئا وتحلئة : طردها أو حبسها عن الورود ومنعها أن ترده .. » والصيغ : التحلىء ، التحلئة ، المحلأة ، الحلاءة - وردت فى مواضعها فى سياق شرح المعانى المختلفة للمادة .

٤ - وقد سبق القول إن ابن منظور قد يكرر صيغاً بعينها إذا أدت معانى جديدة ، مثل قوله : « التِّحْلىء : القشر على وجه الأديم ممايلى الشعر .. » ، و « التحلىء ، بالكسر : ماأفسده السكين من الجلد إذا قشر .. والتحلىء والتحلئة : شعر وجه الأديم ووسخه وسواده » ومثل : « الحلوء: الذى يحك بين حجرين ليُكتحل به ؛ وقيل الحلوء: حجر بعينه يستشفى من الرمد بحكاكته ، قال ابن السكيت : الحلوء : حجر يدلك عليه دواء ثم تكحل به العين » .

وكثير من المعاجم اللاحقة للسان العرب تميل إلى الاختصار وتضع رموزاً أو إشارات تغنى عن تكرار الألفاظ التى يراد شرحها [١] .

٥ - وليست تصريفات الأبنية ، ومشتقات المادة ، والصور المنبثقة منها، وتفسير معانيها - هى الهدف الوحيد عند ابن منظور ؛ فكتابه فياض بشتى فروع العلم ، بين توضيح لقواعد التصريف ، والنحو ، وجوانب من تفسير القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، وطرف من الأدب والتاريخ والسير ، يفيض فى جميع ذلك وغيره ، ويؤيد مايورده بالأدلة المسندة إلى أصحابها ، ممايضفى على الكتاب من دواعى الإمتاع الذهنى ألوان الترغيب المحبب ، والأمثلة على ذلك جميع مافى الكتاب ، ومع ذلك نسوق لطائف قليلة ممايجده القارىء .

ففى مادة : « حلأ » ، استشهد ابن منظور على ورود الفعل : « حلأ » بالتشديد

(١) انظر : أقرب الموارد ، والمنجد ، وانظر ماورد بشأنهما من دراسة تالية فى هذا الكتاب .

بمعنى طرد الإبل والماشية عن الماء أو حبسها عنه - بنصوص من الشعر ومن الأحاديث الشريفة . وذكر حديث سلمة بن الأكوع قال : « فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على الماء الذى حليتهم عنه بذى قَردَ » . ويجد ابن منظور الفرصة ليعرج على شرح قاعدة صرفية ، فيقول : « هكذا جاء فى الرواية غير مهموز ، فقلبت الهمزة ياء ، وليس بالقياس ، لأن الياء لاتبدل من الهمزة إلا أن يكون ماقبلها مكسوراً نحو بير وإيلاف ، وقد شذ قريت فى قرأت وليس بالكثير، والأصل الهمز » .

وفى موضع آخر قال : « حكى أبو جعفر الرؤاسى : ماحلئت منه بطائل ؛ فهمز ويقال : حَلأتُ السويق ؛ قال الفراء : همزوا ماليس بمهموز لأنه من الحَلْواء » .

وذكر قاعدة الهمز فى هذه المواضع استطراد مناسب ، وكان قد ذكرها فى مبدأ باب الهمزة مع ماذكره من أمور متصلة بها .

واستشهد لبعض معانى مادة « حلأ » بالمثل : « حَلأتْ حالئة عن كوعها » ، ووجد الفرصة كذلك لشرح المثل ، وأنه يضرب فى حذر الإنسان على نفسه ومدافعته عنها وقال : « إن حَلأهَا [أى المرأة] عن كوعها إنما هو حَذَرُ الشَفْرَة عليه لاعن الجلد ، لأن المرأة الصناع ، ربما استعجلت فقشرت كوعها » وأطال ابن منظور فى شرح المثل ونقل آراء العلماء فيه ، وتحليلهم له واستشهادهم لهذا التحليل . وهذا كله عظيم النفع لمن يتعمق اللغه ولايرضى منها بالبسير ، ومن أجل ذلك كان « لسان العرب » معيناً لدارس اللغة مغنياً، فى كثير من الأحيان ، عن اللجوء إلى مصادر أخرى فى هذا المجال.

٦ - عرضت المعاجم العربية ، فيماعرضت له ، لذكر أسماء الأعلام ، والبلدان والأماكن، كماعرضت لذكر النبات ، والحيوان ، أحيانا ، مع بيان وإيضاح ، وأخرى مع افتقار إليه . ومصادر ابن منظور التى نقل عنها أمدته بزاد قيم فى هذا الميدان ، ولاينتقص من قيمة ماسجله تطلع القارىء فى العصر الحاضر إلى مزيد من التفاصيل ، فلديه الكتب التى خصصت لهذه الجوانب . يرجع إليها إن شاء [1] .

---

(١) تحاول بعض المعاجم الحديثة أن توجز الحديث عن أسماء الأماكن والنبات والحيوان مع اهتمام بعضها بتوضيح مايقابلها من أسمائها فى اللغات الأجنبية أو فى لهجات البلاد العربية . انظر: أقرب الموارد للشرتونى .

ومن أمثلة ماذكره من أسماء الأعلام ماجاء في مادة : ث ق ب ، قال : والمثقِّب بكسر القاف : لقب شاعر من عبدالقيس معروف ، سُمِّى به لقوله :

ظهرن بكلَّة وسَـدَ لـن أخرى وثقبن الـوصاوص للعيـون

واسمه عَائذ بن محصَن العبدى . والوصاوص جمع وصْوَص ، وهو ثقب فى السِّتر وغيره على مقدار العين ينظر منه .

ويلاحظ أن التعريف بالعلم هنا جاء على طريقة ابن منظور ، فقد ذكر العلم ، وعلل للتسمية به ، وشرح مااستشهد به ، ممايسمح للقارئ بفرصة طيبة لترويح الذهن .

وفى مادة : س ب ء ، يقول : « سبأ هى مدينة تعرف بمأرب من صنعاء على مسيرة ثلاث ليال، ومن لم يصرفه فلأنه اسم مدينة ، ومن صرفه فلأنه اسم البلد ، فيكون مذكراً سمى به مذكر . وفى الحديث ذكر سبأ . قال: هو اسم مدينة بلقيس باليمن .. » .

وفى هذه الفقرة تعرض لقاعدة نحوية أضافها إلى مناقشة طويلة حول لفظ :« سبأ » نقلها من حديث عن « سبأ » بن يشجُب بن يعرُب بن قحطان ، إلى حديث عن « سبأ » مدينة بلقيس .

وفى مادة : ل ى ء ، قال « اللَّياء : حَبٌّ أبيض مثل الحِمِّص شديد البياض يؤكل .

قال أبو حنيفة: لاأدرى أله قطنية أم لا؟». ولم يعقب ابن منظور على رأى أبى حنيفة هنا، ومعنى هذا أنه لم يجد مصدراً آخر يفيد فى تقديم مزيد من البيان حول هذا النبات.

وفى مادة يأيأ ، قال :« اليُؤْيُؤ : طائر : يشبه الباشَق من الجوارح ، والجمع اليآيىء، وجاء فى الشعر اليآئي .. » وترك ابن منظور التعريف بالطائر إلى الاستشهاد على صيغة الجمع ومناقشتها ورأى العلماء فى أمثال هذه الصيغة، وكان المقام يقضى باستيفاء التعريف بالطائر ولكنه لم يفعل . ولعل النصوص لم تساعد ابن منظور فى هذا المجال .

تقويم الكتاب :

تحدثت الصفحات السابقة عن فضل كتاب « لسان العرب » وعالجت بعض خصائصه التى تميز بها ، وفى خلال المناقشات ظهر دور ابن منظور فى تأليف هذا الكتاب واعتماده على مصادره يقبس منها، وينسق بين نصوصها ، ويجيد التأليف بين

مواردها، ولم تصرفه منزلة العلماء الذين استفاد من كتبهم عن أن يبدى رأيه أحياناً أو يتطوع ببعض التفسيرات والإضافات ، أو يخالف عن آراء من التزم مناهجهم مع وجاهتها . مثال ذلك : مسلكه فى وضع مادة : ورء فقد وضعها فى باب الهمزة وترك متابعة الجوهرى الذى وضعها فى باب الواو والياء. ومن صور مادة : ورء ، لفظ: وراء، وهمزته أصلية عند سيبويه ، وتصغيره وريِّئة؛ ومنقلبة عن ياء عند الكوفيين، وتصغيره عندهم :وُرَيَّة. ويبدو أن الجوهرى تبع الكوفيين ، واختار ابن منظور رأى سيبويه .

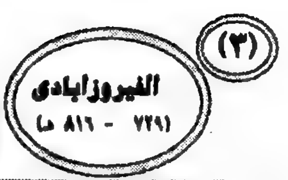
وفى مادة : يأيأ، وهَّن ابن برى نسبة بيت من الشعر لأبى نواس وقال: «ويمكن أن يكون هذا البيت لبعض العرب فادعاه أبو نواس». وعقب ابن منظور علي هذا بقوله: «ماأعلم مستند الشيخ أبى محمد بن برى فى قوله عن الحسن بن هانىء، فى هذا البيت.. وهو وإن لم يكن استشهد بشعره، لايخفى عن الشيخ أبى محمد، ولاغيره، مكانته من العلم والنظم، ولولم يكن له من البديع الغريب، الحسن العجيب إلا أرجوزته التى هى:

وبلـــــدةٍ فيها زَوَرْ

لكان فى ذلك أدل دليل على نبله وفضله ... » .

ولأمر ما لم يبالغ ابن منظور فى اختيار بعض مايستمده لكتابه . مثال ذلك ماجاء فى مادة : هجا ؛ فقد نقل عن مجد الدين بن الأثير نصا يحتاج إلى شيء من التأمل قال: « .... قال ابن الأثير : وفى الحديث : اللهم إن عمرو بن العاص هجانى وهو يعلم أنى لست بشاعر ، فاهجه اللهم والعنه عدد ماهجانى أو مكان ماهجانى قال : وهذا كقوله : من يُرائى يُرائى الله به ، أى يجازيه على مراءاته » وليس من اليسير قبول هذا النص دون التحرى الدقيق الذى تطمئن إليه النفس .

وبعد ، فليس هناك من يغض من قيمة هذا الكتاب أو يجحد فضله ، فقد استغنى بما فيه ، كمايقول مؤلفه ، وبقى - كماأمّل - مقصد الدارسين ومناط تقديرهم . وأخرجته مطبعة بولاق للمرة الأولى بمصر سنة ١٣٠٥ هجرية ، ونشرته أخيرا دار صادر بيروت، ودار بيروت سنة ١٣٧٤ هـ = ١٩٥٥ م .



صاحب القاموس المحيط

الفيروزابادى:

من حق القارىء العربى أن يلم بطرف من حياة شخصية فذة ، أسهمت إسهاما بالغا منتجا فى الدراسات العربية، وخلفت كنوزاً ضخمة، كان من بينها «القاموس المحيط».

وأبو طاهر مجد الدين الفيروز ابادى محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيرازى صاحب هذا المعجم المشهور ، ولد بكارزين قرب شيراز ، يوم السبت لعشرين من جمادى الأولى ، من سنة تسع وعشرين وسبعمائة [١] ، بعد أن فقدت الأمة العربية عالماً لغوياً كبيراً ، وهو ابن منظور المصرى (٦٣٠ - ٧١١ هـ) صاحب لسان العرب ، بثمانية عشر عاما ، وكأن فى ذلك إيماء لدارسى العربية ، بأنه لن تخلو الأرض من عاكف على تراثها ، محى لمجدها .

وكان الميدان الثقافى العربى الفسيح، المنهل العذب الذى اغترف منه الفيروز ابادى، وفيه أنتج، فاعتنى بعلوم الحديث، والتفسير، واللغة، وبرع فيها، وصنف فيها مؤلفات نالت أعظم التقدير فى حياته، كما زاد تقديرها لدى المنصفين بعد وفاته. ومن بينها فى الميدان اللغوى: الروض المسلوف فيما له اسمان إلى الألوف، والجليس الأنيس فى أسماء الخندريس[٢]، ألفه لخزانة السلطان الأشرف شعبان (ت ٧٧٨ هـ)، وتحبير الموشين

---

(١) تفقه ببلاده، ودخل الشام وسمع من أساتذتها، ثم انتقل إلى القاهرة، وزار بلاد الروم فأكرمه ملكها بايزيد خان بن عثمان. وحصل منه ومن تمرلنك دنيا طائلة، ثم دخل الهند فتلقاه ملكها الأشرف إسماعيل بالقبول وتزوج ابنته. وكان الفيروز ابادى يقول: ما كنت أنام حتى أحفظ مائة سطر، وكان لا يسافر إلا وصحبته عدة أحمال من الكتب، يخرج أكثرها فى كل منزلة وينظر فيها ويعيدها إذا رحل ، وكان إذا أملق باعها. ذكر له السيوطى واحدا وعشرين مؤلفا.

انظر: بغية الوعاة : ٢٧٣/١؛ والضوء اللامع: ٨٦/١٠

(٢) منه نسخة بدار الكتب المصرية بالقاهرة .

فيما يقال بالسين والشين[1]، والبلغة في تراجم أئمة النحو واللغة[2]، والمثلث المتفق المعنى[3]، والإشارات إلى ما في كتب الفقه من الأسماء والأماكن واللغات ، وهذا الكتاب الذائع الصيت : «القاموس المحيط» ، موضوع هذا الحديث .

ويبدو من ترجمة الفيروز ابادي نفسه ، أنه عنى أعظم العناية بالجانب اللغوي، وأنه حصل منه قدراً كبيراً ، كاد أن يسمح بوضع كتاب لغوي ضخم قدّر له الفيروز ابادي نحو ستين سفراً[4]، واختار له اسم : اللامع المُعلم المُجاب، الجامع بين المحكم والعُباب . وكان سبب تأليفه أنه التمس برهة من الدهر كتابا جامعاً بسيطاً ، ومصنفا على الفُصَح والشوارد محيطاً، ورأى أن يفيد من كتاب «المحكم» الذي وضعه ابن سيده[5]، و«العُباب» الذي ألفه الصغاني[6] ، فهما في رأيه « غرتا الكتب المصنفة في هذا الباب، ونَيّرا براقع[7] الفضل والآداب». غير أنه رأى بالتجربة ، وبعد أن أتم خمس مجلدات من المعجم ، أن يعدل عن إتمامه ، رغبة في وضع آخر مختصر يفي بحاجات الدارسين ، فكان هذا الكتاب : «القاموس المحيط[8]» .

وأنتسى الفيروز ابادي في معجمه بعالم لغوي سبقه ، ولم ينكر فضله ، هو أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، (٣٣٢ - ٣٩٨ هـ) صاحب «تاج اللغة وصحاح العربية»، وإن كان لم يسلمه من نقده اللاذع ، الذي أوجزه بقوله: إنه «فاته نصف اللغة أو أكثرها،

---

(١) منه نسخة بالمتحف البريطاني .

(٢) منه نسخة في برلين .

(٣) منه نسخة في الخزانة التيمورية، بدار الكتب المصرية .

(٤) ونقل غير واحد عن خط الفيروز ابادي نفسه ، أنه كتب على ظهر كتابه : أنه لو قدر له تمامه لكان في مائة مجلدة . كتبه نصر الهوريني نقلا عن المناوي ، ومرتضى الحسيني . انظر شرح ديباجة القاموس، ص : ١٤ ، ط . المكتبة التجارية بالقاهرة .

(٥) أبو الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي ، المعروف بابن سيده (ت ٤٥٨ هـ) .

(٦) رضى الدين الحسن بن محمد بن حيدر ، العدوي ، العمري ، الصغاني (ت ٦٥٠ هـ) .

(٧) جمع برقع : اسم للسماء السابعة ، أو الرابعة ، أو الأولى .

(٨) القاموس : البحر ، أو أبعد موضع فيه غوراً . (القاموس المحيط ، مادة : قمس). وقد أورد الفيروز ابادي هذه التسمية في مقدمة معجمه ، وزاد عليها في خاتمة قوله : « ... والقابوس الوسيط» .

إما بإهمال المادة، أو بترك المعانى العربية النادرة»، ومن ثم عكف الفيروزابادى على المعجمين : المحكم ، والعباب ، وغيرهما من كتب اللغة كجمهرة ابن دريد (٢٢٣ - ٣٢١ هـ) ، وتهذيب الأزهرى (٢٨٢ - ٣٧٠ هـ) ، ونهاية ابن الأثير (ت ٦٠٩ هـ) وحواشى ابن برى (٤٩٩ - ٥٧٦ هـ) ، واستطاع أن يضيف عشرين ألف مادة، فوق أربعين ألفا سبقه بها صاحب الصحاح[1].

نهج القاموس المحيط، وخصائصه :

والمنهج الذى ارتضاه الفيروزابادى لمعجمه ، هو نفس ما ارتضاه الجوهرى لصحاحه، وكان نموذجا احتذاه كثير من اللغويين غيرهما .

ويمكن ، بالرجوع إلى القاموس المحيط ، وإلى ما ذكره مصنفه فى ديباجته ، وما لاحظه شراح القاموس وناقدوه ، أن يشار إلى نقاط هامة ، نقتصر منها على ما يلى :

١ - قسم الفيروزابادى كتابه إلى سبعة وعشرين بابا ، بعدد الحروف الهجائية ، بإدماج بابى الواو والياء فى باب واحد ، وباعتبار الحرف الأخير من المادة الأصلية . ثم قسم كل باب إلى ثمانية وعشرين فصلا ، وفق الحرف الأول من حروف المادة الأصلية ، ورتب مواد كل فصل حسب الحرف الثانى إن كانت المادة ثلاثية ، فالثالث ، فالرابع ، إن كانت المادة رباعية أو خماسية . وجعل الباب الثامن والعشرين للمواد المنتهية بالألف اللينة غير المنقلبة عن أصل ، كما صنع الجوهرى . مثال ذلك المواد الآتية من فصل الباء من باب العين :

بكع / بلتع / بلخع / بلع/ بلقع / بلكع / باع (واوية العين)/ باع (يائية العين) .
وليس من الحتم استيفاء كل باب فصوله الثمانية والعشرين : فإن بعض الأبواب سقط منه عشرة فصول ، وهو باب الظاء ، وبعضها سقط منه سبعة ، وهو باب الصاد ، وباب الضاد، وبعضها سقط منه خمسة ، وهو أبواب : الحاء المهملة ، والذال والغين المعجمتين. ولا يفهم كذلك أن الفصول الساقطة مفقودة من اللغة ، فقد توجد فى غير القاموس المحيط من المعاجم .

ويلاحظ أن باب الألف اللينة لم يخصص بما ينتهى بالألف غير المهموزة أو المنقلبة عن أصل ، وإنما ضم مواد أخرى ، مثل : الهمزة ، الباء ، والتاء ، والفاء ، ذو (بمعنى

---

(١) يضم لسان العرب لابن منظور ثمانين ألف مادة ، ويلاحظ أن الفيروزابادى لم يشر إليه .

صاحب) ، لوْ ، الواو ، الياء . وبعض هذه المواد كان يمكن أن يصدر بها الحديث عن أبوابها ، وبعض آخر منها كان يمكن أن يدرج في موضعه من مواد أبواب نهاياتها .

٢ - ويلاحظ كذلك أن أصول المادة هي المرعية في التبويب ، وفي ترتيب مواد كل باب : فكلمة تخمة ، يبحث عنها في : و خ م ؛ واتقى ، في : و ق ى ؛ واستجار ، في: ج و ر ؛ وسماء ، في : س م و ؛ وهبة ، في : و هـ ب ؛ وثبة ، في: و ث ب ؛ وظبة ، في ظ ب و ؛ ورئة في : رأى .

وفي الفصول : قدم فصل الواو على فصل الهاء ، وجعل الهاء بين الواو والياء . مثال ذلك: مرهم/نريمان[١]/ ورم/ هرم/ يارم[٢](بفتح الراء). وكلها مع باب الميم .

وكذلك يصنع في ترتيب مواد كل فصل، مثل: النم/ النوم/ النهم/النيم[٣] (بكسر النون) . وكلها في فصل النون من باب الميم .

٣ - لم يلتزم الفيروزابادي رسما معينا للمادة عند وضعها في صدر حديثه عنها؛ فتارة يضعها في صورة الفعل عاريا من أي لاحقة ، أو يصل به ضمير المفعول به أو المكملات الظاهرة ، أو يضعه في جملة غاية الإيجاز مثل : (سَجَم) الدمعُ سجوما وسجامًا .. ؛ و(زَمَّه) فانزم : شده .. ؛ و(سنم) الشيءَ كفرح ...

وقد يضع المادة في صورة المصدر ، مثل : (الرؤية): النظر بالعين وبالقلب .. ؛ و(اللطم): ضرب الخد وصفحة الجسد بالكف .. ؛ و(اللكم): الضرب باليد مجموعة..؛ و(القنوت) : الطاعة والسكوت والدعاء .

وقد يضعها في صورة اسم الذات، مثل: (القوم): الجماعة من الرجال والنساء معًا، أو الرجال خاصة ، أو تدخله النساء علي تبعية ..؛ و(الصِّهريج) ، كقنديل : حوض يجتمع فيه الماء .. ؛ و(الصَّلْت) : الجبين الواضح ..

والمعاجم الحديثة تلتزم رسما معينا تصدر به جميع المواد التي يراد شرحها ، ثم تعود إليه بالشرح والتفريع وبيان وجوه الاشتقاق .

٤ - ومن ثم لا يسير الفيروزابادي في شرح المادة على وتيرة واحدة ، ولكنه على أي حال ، يحاول أن يتعقبها ويتعقب مشتقاتها بالضبط والشرح والتفسير ، كما سيتضح

---

(١)اسم علم : (القاموس المحيط) . (٢) بلد بأصبهان . (القاموس المحيط) .

(٣) النعمة التامة . (القاموس المحيط) .

فى تحليل المادة الواردة بعد قليل . وهو لا يبالغ فى الشرح والتفسير ، بل يلتزم السبيل التى اختطها ، من «حسن الاختصار ، وتقريب العبارة ، وتهذيب الكلام ، وإيراد المعانى الكثيرة فى الألفاظ اليسيرة» . وقد امتدح الحافظ بن حجر هذه السبيل فى القاموس المحيط ، فقال :«إنه لا مزيد عليه فى حسن الاختصار وجموم الكلمات اللغوية» .

٥ - وعنى الفيروزابادى بالتنبيه إلى المواد الواوية واليائية الآخر ، بأن رسم حرفى : الواو (و) ، والياء (ى) عند ذكرها ؛ ففى مادة : رسا ، يقول : «و(رسا) رَسْـــوًا ورُسُوًّا ..» ؛ وفى : رأى، يقول : «ى (الرؤية): النظر بالعين وبالقلب ....» وإذا وردت المادة الواحدة بالواو ، وبالياء ، نبه عليها كذلك ، مثل : «و (الرحا) م مؤنثة، وهما رحوان .. ورحت الحية : استدارت كترحّت . ى كـ(رحيتها) نادرة فيهما ، وهما رحيان ...» . وبعض اللغويين لا يكتفى برسم حرفى الواو والياء ، وإنما ينص كتابةً على الواوى واليائى خوفا من اختلاط الأمر على النساخ . ويبدو أن الفيروزابادى اكتفى برسم الحرفين رغبة فى الاختصار الذى جعله سمة لكتابه .

٦ - ومن مظاهر الاختصار كذلك أنه اختار رموزا تغنى عن تكرار كلمات كثيرة الترداد ، وهى : ع : بمعنى : موضع ، د : بمعنى : بلد ، ة : بمعنى : قرية ، ج : بمعنى جمع : جج : بمعنى : جمع الجمع ، م : بمعنى : معروف .

٧ - ومن منهجه فى الاختصار أنه إذا ذكر صيغة المذكر فى الاسم أو الوصف ، وأتبعه المؤنث ، اكتفى بقوله : وهى بهاء ، ولا يعيد الصيغة ، وقد يعدل عن هذا النهج، مثل قوله : الأعصم من الظباء والوعول : ما فى ذراعيه وفى أحدهما بياض وسائره أسود أو أحمر ، وهى عصماء ؛ ومثل : العم : أخو الأب ، وهى عمة .

٨ - اختار الفيروزابادى طريقة لضبط الفعل ، والاسم .

(أ) فإذا ذكر المصدر مطلقاً ، أو ذكر الفعل الماضى وحده مجرداً من الضبط ، كان الفعل على مثال : كتب ، ما لم يوجد مانع مما سيشار إليه بعد ، مثل : نقله : حوله فانتقل ؛ ودهن : نافق ، ورأسه وغيره دهنا ودهنة : بلّه . ومعنى هذا أن المضارع مضموم العين كمضارع كتب ، ولا يلزم أنه يماثله فى وزن المصدر .

ومن الموانع المشار إليها فى الفقرة السابقة ، أن يكون الفعل حلقى العين ، أو اللام، فإن الأشهر فى مضارعه أن يكون مفتوح العين ، مثل : فتح يفتح ، وذهب يذهب .

أو يكون الفعل الحلقي اللام معتل العين ، مثل جاع يجوع ، وباع يبيع ، فإن القياس إعلال العين .

(ب) وإذا ذكر الفعل الماضي مقيداً ، كان كما ذكره . مثل : قفل كنصر وضرب ؛ وفهمه كفرح فهما ؛ وفعم الساعد والإناء ككرم فعامة وفعومة : امتلأ ؛ ونكل عنه كضرب ونصر وعلم نكولا .

(جـ) وإذا ذكر المضارع مع الماضي دون تقييد ، كان على وزن ضرب يضرب ، مثل: حذمه يحذمه ؛ قطعه ؛ وقصله يقصله : قطعه ، كاقتصله .

(د) وفي الأسماء ينص الفيروزابادي على ضبط غير المشهور أو الذي تضبطه قواعد معروفة ، مثال ذلك : العصمة بالكسر : المنع ، والقلادة ، ويضم . ومعنى ذلك كسر الحرف الأول أو ضمه مع تسكين الثاني ؛ والحرم بالكسر : الحرام .

فإن قال : محركة أو بالتحريك ، كان المراد فتح أوله وثانيه ، مثل النهل محركة : أول الشرب ؛ والوجل محركة : الخوف .

وقد يقول : مثلثة أو بالتثليث ، ويقصد به في الأسماء أن أولها يجوز فيه الفتح والكسر والضم ، مثل: المهلة مثلثة ؛ والقدوة مثلثة ، وكعدة : ماتسننت به واقتديت به . وفي الأفعال يقصد أن عينها يجوز فيها ذلك ، مثل : محل به ، مثلثة الحاء محلا ومحالا : كاده بسعاية إلى السلطان .

وإذا ذكر الأسماء مجردة عن الضبط ، كان مقصده أنها بفتح أولها ، «إلا ما اشتهر بخلافه اشتهارا رافعا للنزاع من البين» ، مثل : النَّصْل ، والنَّصْلانُ : حديدة السهم والرمح والسيف ، ما لم يكن له مَقْبِض ، (بالفتح فيهما) ؛ والنسل : الخلق والولد ، كالنسيلة ؛ والرَّزْن : المكان المرتفع وفيه طمأنينة تمسك الماء .

ومما اشتهر بغير الفتح : النِّجارة ، والزِّراعة ، وزرنيخ ، وإبريق ، والحجاز ، والخِنْصَر، وكلها بكسر أولها . وأُحْدوثة وأُكْذوبة وأُحْجية ، والحثالة ، والكناسة ، والثريا ، وهي بضم الأول .

٩ - ويلاحظ قارىء القاموس أنه إذا ذكر موازين الاسم أو الفعل قدم المشهور

الفصيح في الغالب ثم أتبعه اللغات الزائدة إن كان في الكلمة لغتان أو أكثر . مثال ذلك: العَلّ والعلل ، محركة : الشَّرْبة الثانية أو الشرب بعد الشرب تباعا . علّ يَعِلُّ ، وعلهُ يَعلُه ويعُلُه علا وعللا ، وأعَلّه ، وأعَلُّوا : عَلّتْ إبلُهُم .

وكذلك إذا ذكر المصادر ، قدم المقيس أولا ثم ذكر غيره في الغالب ، مثل : عال فلان عولًا وعيالة : كثر عياله كأعول وأعيل ، وعياله عَوْلًا وعُئُولاً، وعِيالة : كفاهم ومانَهُمْ ، كأعالهم وعَيّلَهُمْ . ومثل : عَضَل المرأةَ يَعضلها مثلثة ، عَضْلاً وعِضْلاً وعِضْلاناً ، بكسرهما ، وعضلها : منعها الزواج ظلمًا ..

وفي الصفات ، يقدم المقيسة أولا ، ثم يتبعها غيرها من المبالغة أو غيرها ، ويعقبها بذكر مؤنثها بتلك الأوزان أو غيرها ، وقد يفصل بينهما فيذكر أولا صفات المذكر ويتبعها جموعها ، مثل : سيف قاصل ومِقْصَل كمنبر وشدّاد : قَطّاع ؛ ومثل : كحل العين كمنع ونصر فهي مكحولة وكحيل وكحيلة وكَحِل من أعْيُنٍ كَحْلى وكَحَائل ، وكَحِل كفرح فهو أكْحَل ؛ ومثل : الكافل : العائل ...... ج كركّع ، والضامن كالكفيل ج كُفّل وكُفَلاء وكَفيل أيضا .

وكذلك عند تصدّيه لذكر الجموع ، «يقدم المقيس منها ، ثم يذكر غيره في الغالب ، وقد يهمل المقيس أحيانًا اعتماداً على الشهرة» .

ومثال ذلك : كسل وكَسْلان ج كسالى مثلثة الكاف وكسالى بكسر اللام وكَسْلَى كقتلى وهي كَسِلة وكَسْلانة . والقفل بالضم : الحديد الذي يغلق به الباب ج أقْفال وأقْفُل وقُفُول .

ويستثني الفيروزابادي من قاعدته في ذكر الجموع : ما جاء من جمع فاعل المعتل العين على فَعَلة ، كباعة وسادة ، فإنه لا يذكره لاطراده ، إلا أن يصح موضع العين منه، كجَوَلة جمع جائل ، وخَوَلة جمع خائل .

١٠ – وقد يذكر الفيروزابادي الكلمة في أكثر من موضع لاختلاف اللغات فيها ، مثل : السراط والصراط ؛ والقسطل ، بمعنى الغبار ، والكسطل والكسطالة ؛ والزدق بالكسر لغة في الصدق .

١١ - لا يلتزم الفيروزابادى البدء بذكر المادة مجردة من الزوائد ، بل قد يبدأ بالمزيد مع ورود المجرد ، مثل : أشْقَن : قل ماله ، والعطيَّة : قللها ، فشقُنَت ككرم : قَلَّتْ ، وشىء شقن بالفتح وككتف، وأمير : قليل ، ومثل : أذعن له : خضع وذل وأقر وأسرع فى الطاعة وانقاد ، كذعن (بكسر العين) ؛ ومثل : الآجِنُ : الماء المتغير الطعم واللون . أجن، كضرب ونصر وفرح ، أجْنًا وأجَنًا وأجُونًا ؛ ومثل : الأغْشَم : الشَّعر غلب بياضه سواده .. ؛ وغشم له غشمًا : دفع له دفعة من المال جيدة .

١٢ - ويعرف الفيروزابادى بالأعلام ، والأماكن والمدن ، فى إيجاز ؛ ففـــى مـــادة : ح ر ث ، يقول «وبنو حارثة قبيلة ، والحارثيُّون منهم كثيرون . وذو حُرَث ، كزفر : ابن حجر أو ابن الحرث الرُّعينى ، جاهلى، وكأمير : محمد بن أحمد بن حريث البخارى المحدّث ... » . وفى مادة : ت و ث ، يقول : «و ة بمرو ، ومنها بحر بن عبد الله بن بحر التوثى الأديب ، و ة بإسفراين وأخرى ببوشنج» . ويقول فى : رها : «الرُّها ، كهُدَى: د منه زيد بن أبى أنيسة ويزيد بن سنان، والحافظ عبد القادر الرُّهاويُّون». ويقول فى : رى : «الرى: د م، والنسبة رازى»؛ و«منيمون: كورة بمصر[1]» . ويستطاع الرجوع إلى معاجم البلدان وكتب الطبقات لاستيفاء ما يحتاج إلى مزيد من التعرف عليه، وإن كانت المعاجم الحديثة تتحدث فى مثل هذا المجال بوفاء أكثر .

١٣ - ويذكر النبات والحيوان مع شىء من التعريف بهما ، وكثيراً ما يعنى بالحديث عن منافعهما الطبية فى دقة ملحوظة . مثال ذلك ما ذكره فى مادة : م ق ل ؛ قال : «المقل ، بالضم : صمغ شجرة ، ومنه هندى وعربى وصقلى ، والكل نافع للسعال ونَهْش الهَوامّ والبواسير وتنقية الرحم وتسهيل الولادة وإنزال المَشيمة وحصاة الكلية والرياح الغليظة ، مُدِرٌ مسمِّن محلل للأورام . والمُقْل المكىّ : ثمر شجر الدوم ، ينضج ويؤكل ، خشن قابض بارد مقوٍّ للمعدة » ؛ ومثل : الحَلَزُون ، محركة : دُوَيْبة رِمْثَة [2] ، لحمها

(١) ذكرها فى مادة : ن ى م .

(٢) تأكل الرمث ، وهو شجر الغضى .

جيد للمعدة وجراحة الكَلْب الكلب، وتحليل الورم الجاسي[1] ، وإبراء القروح . ومحروق صَدَفه يجلو الجرب والبهق والأسنان ، والتضمد به يجذب السُّلاَء[2] من باطن اللحم ، ومخلوطاً بالخَلّ يقطع الرُّعاف » .

ولكن هذا التعريف الموجز البالغ الضآلة بالحيوان والنبات ، لا يغنى ، وخاصة أن المعاجم اللغوية لا توضع لعصر كاتبها ، وإنما توضع للأجيال جميعا ، بل إن المعاصرين أنفسهم ينبغى ألا يحسن الظن بمدى معرفتهم ، وإلا عدمت جدوى جهود الباحثين فى كل فن .

١٤ - وكان اهتمام الفيروزابادى بصحاح الجوهرى مدعاة لأن يسجل ملحوظاته عليه أحيانا فى نقد لاذع ، بأن ينسب الخطأ إلى الجوهرى أو يضيف إليه وصف «الوهم» مع تقديره له . واعترافه بإقبال الناس والدارسين على صحاحه ، وهو جدير بهذا الإقبال . ومن عبارته فى هذا التقدير : «ثم إنى نبهت على أشياء ركب فيها الجوهرى (رحمه الله) خلاف الصواب ، غير طاعن فيه ولا قاصد بذلك تنديداً له وازراء عليه وغضاً منه، بل استيضاحا للصواب ، واسترباحا للثواب ، وتحرزاً وحذاراً من أن يُنْمَى إلىَّ التصحيف أو يُعْزَى إلى الغلط والتحريف » .

والتصويبات التى أشار إليها الفيروزابادى كثيرة فى قاموسه ، بعضها يرجع إلى الضبط ، أو تحديد معانى المادة ، أو يتعلق ببنيتها ، وغير ذلك من وجوه التصويبات . مثال ذلك: ما ذكره فى مادة : ف ل ج ، قال: «الفلج بالتحريك : تباعد ما بين القدمين، وتباعد ما بين الأسنان ، وهو أفلج الأسنان لابد من ذكر الأسنان ، والنهر الصغير . وغلط الجوهرى فى تسكين لامه» . وفى مادة : س م و ، يقول : «وسماوة كل شىء شخصه ، و ع بين الكوفة والشام ، وليست من العواصم . ووهم الجوهرى » . ويقول فى: م ر هـ م : «المرهم : دواء مركب للجراحات ، وذكر الجوهرى له فى رهم ، وهم ، والميم أصلية لقولهم : مرهمت الجرح ، ولو كانت زائدة لقالوا : رهمت » .

---

(١) الصلب .

(٢) الشوك .

ومن الواجب فى مثل هذه التصويبات الرجوع إلى المصادر اللغوية الأخرى ، وخاصة تلك التى تسند آراءها بنصوص قديمة ، وكذلك الاستفادة بالبحوث التى تصل اللغة العربية بأخواتها الساميات ، وباللغات التى استمدت منها العربية مفرداتها دون أن ترشد إلى وجه الحق فى هذه التوهيمات .

١٥ - وفخر الفيروزابادى بهذه التصويبات ، كما فخر بما زاده على صحاح الجوهرى، الذى « فاته نصف اللغة أو أكثر » ، كما يقول : ومن أمثلة ما زاده الفيروزابادى مادة : د ع ن ، قال : «الدَّعن : سعف يضم بعضه إلى بعض، ويرمل بالشريط ويبسط عليه التمر ، وككتف : السيىء الخُلُق والغذاء ، كالمدعَن كمكرم .. » ؛ و«الهرطمان بالضم : حب متوسط بين الشعير والحنطة ، نافع للإسهال والسعال .. » ؛ و الإفرنجة : جيل ، معرَّب إفرنك ، والقياس كسر الراء .. »

وقد أحصى شراح القاموس ما زاده الفيروزابادى على ما سجله الجوهرى فى صحاحه، فبلغ عشرين ألف مادة ، وهذا يعدل نصف عدد ما سجله الجوهرى من مواد ، وهو جهد لاشك فى قيمته .

١٦ - وكى يستطيع قارىء القاموس أن يميز بين مواد الصحاح وزيادات القاموس رأى الفيروزابادى أن يكتب هذه المواد المزيدة بالمداد الأحمر فيظهر للناظر بادىء ذى بدء فضل كتابه ، وتتضح المزية بالتوجه إليه .

غير أن الكتابة بالمداد الأحمر تلقى بعض الصعوبات فى المطبعة الحديثة ، ومن ثم عدل الناشرون إلى مصطلح جديد يفى بهدف صاحب القاموس .

١٧ - والمصطلح الذى لجأ إليه الناشرون للتفرقة بين مواد الصحاح ومواد القاموس المزيدة يبين فيما يلى :

(أ) وضعت المواد المدونة فى صحاح الجوهرى ، والمشتركة فيه وفى القاموس المحيط ، بين قوسين (...) .

(ب) ووضع فوق المواد التى زادها الفيروزابادى على الصحاح خط ممتد ، مثل : «الرُّعَشن كجعفر ، والنون زائدة : الجبان ، ومن الظلمان والجمال : السريع ، وهى بهاء ،

وفرس لمراد ، والرعشنة : ماء لبنى عمرو بن قريظ من بنى بكر بن كلاب ، سميت برعشن ملكٍ لحميرَ كان به ارتعاش» .

١٨ - ويضاف إلى المصطلح السابق ، مصطلحان آخران ، يراهما قارىء القاموس المحيط فى المطبوعات الحاضرة ، هما :

(أ) (ﭻ - ﭻ) : حرفا ج ، فوقهما ثلاث نقاط ، يوضع بينهما ما وجده المتصدّون لتحقيق ونشر القاموس المحيط ، مضبباً عليه (×) فى النسخة المخطوطة المقروءة على المؤلف ، وحرصوا على الإبقاء عليه . مثال ذلك : (الرمان) م ، الواحدة بهاء ، ﭻ وحلوه ملين للطبيعة والسعال ، وحامضه بالعكس ، ومزه نافع لالتهاب المعدة ووجع الفؤاد ﭻ ، وللرمان ستة طعوم كما للتفاح ... » .

(ب) (ط - ط) : حرفا ط ، وضع الناشرون بينهما ما وجدوه فى النسخة المقروءة على المؤلف مشطوبا عليه . مثال ذلك : «(العين) : الباصرة مؤنثة ج أعيان وأعين وعيون ، ويكسر ، جج أعينات ، وأهل البلد ، ويحرك ، وأهل الدار ، والإصابة بالعين، ط والإصابة فى العين ط ، والإنسان ، ومنه : ما بها عين : أى أحد .. » .

ومن المأمول عند إعادة نشر القاموس ، أن ينظر بعين الاهتمام إلى الاستفادة بعلامات الترقيم الحديثة ، فالكتاب فى مسيس الحاجة إلى تنظيم يعم به النفع .

١٩ - وتختتم هذه الملحوظات بالإشارة إلى ما توخاه صاحب القاموس حين «التمس كتاباً جامعاً بسيطاً ، ومصنفاً على الفصح والشوارد محيطاً» فأعياه الطلاب ، وعمد إلى أمهات الكتب اللغوية يقبس منها ويجمع مادته حسب النهج الذى رسمه لكتابه ، ولعل المجلدات الخمس التى وضعها لمشروع كتابه : «اللامع المعْلَم العُجَاب ، الجامع بين المحكم والعُباب» أظهرت له بُعده بعض الشىء عن هدف أساسى من أهداف كتابه ، هو أن يكون فى موضع المنافس لصحاح الجوهرى لدى المدرسين ، ولعله كذلك كان جامعاً للأمثلة والشواهد والنصوص الموضحة ، مما جعله يخمن حجمه المرتقب فى ستين سفرا ، أو كما قال هو على ظهر مجلدة اللامع المعلم العجاب ، فى مائة مجلدة ، فعدل نهجه ، وقوم سبيله ، ولخصه إلى نحو ثلث حجمه ، وضمنه خلاصة ما فى العُباب والمحكم،

وأضاف إليه زيادات منَّ الله تعالى بها وأنعم ، فكان كتابه الجديد : «القاموس المحيط» كتاباً وافياً موجزاً ، «محذوف الشواهد ، مطروح الزوائد ، معربا عن الفصح والشوارد» ، تاركا ذكر الأسانيد وأسماء الرواة والنصوص إلا فى النادر القليل . وهى ميزات فى هذا الكتاب ضمنت له ذيوع الصيت، وبُعد الذكر، وعموم الإفادة، وتلقفته، وما زالت ، أيدى الدارسين بكل تقدير وإعزاز .

تحليل مادة : ح م د :

جاء فى القاموس المحيط :

(الحمد) : الشكر والرضا والجزاء وقضاء الحق ، حَمِده كسمعه حمداً ومَحْمِداً ومَحْمَداً ومَحْمِدَةً ومَحمَدَةً ، فهو حَمود وحميد ، وهى حميدة . وأحمدَ : صار أمره إلَى الحمد ، أو فعَل ما يحمد عليه ، والأرض : صادفها حميدةً كحمدها ، وفلاناً : رضى فعله ومذهبه ولم ينشره للناس ، وأمره : صار عنده محموداً . ورجل حَمْد وامرأة حَمْدة : محمودة . والتحميد : حمد اللّه مرة بعد مرة ، وإنه لحماد للّه عز وجل ، ومنه : محمد ، كأنه حمد مرة بعد مرة ، وأحمد إليك اللّه : أشكره ، وحَماد له ، كقطامِ : أي حمداً وشكرا .. ويحمد ، كيمنع ويعلم آتى أعلَم : أبو قبيلة ، ج اليحامد . وحَمَدةُ النارِ ، محركة : صوت التهابها .

المحمدية ة بنواحى بغداد ود ببرقة من ناحية الإسكندرية و .... ، وكفرح : غضب . والعود أحمد : أى أكثر حمداً ، لأنك لا تعود إلى الشىء غالبًا إلا بعد خبرته ، أو معناه أنه إذا ابتدأ المعروف جلب الحمد لنفسه فإذا عاد كان أحمد أى أكسب للحمد له ، أو هو أفعلُ من المفعول ، أي الابتداء محمود والعود أحق بأن يحمدوه ، قاله خداش بن حابس فى الرّباب لما خطبها فرده أبواها ، فأضرب عنها زماناً . ثم أقبل حتى انتهى إلى حِلّتهم متغنيًا بأبيات منها :

ألا ليت شعرى يا ربابُ متى أرى لنا منك نُجحًا أو شفاءً فأشتفى

فسمعت وحفظت ، وبعثت إليه : أن قد عرفت حاجتك ، فاغد خاطبًا ..

التحليل:

وبقراءة هذا المقتبس من مادة : ح م د ، نرى ما يلى :

١ - وردت المادة السابقة فى فصل الحاء من باب الدال . وقد وضعها ناشر القاموس بين قوسين ، إشارة إلى ورودها فى صحاح الجوهرى ، وتمييزاً لها عن المواد التى زادها الفيروزابادى ، فقد وضع الناشر فوقها خطاً ممتداً ، تجنباً لكتابتها بالمداد الأحمر الذى كتب به الفيروزابادى مواده المزيدة . ولعل إعادة نشر القاموس المحيط نشراً حديثًا يفيد فيه من استخدام إشارات الترقيم ، يزيل هذه الصعوبة التى وجدها الفيروزابادى ، كما يسهل للقارىء المعاصر الاستفادة من القاموس فى صورة أفضل .

٢ - وقد بدأ الفيروزابادى بصيغة المصدر : الحمد، وذكر معانيه ، ثم ذكر فى موضع آخر صيغًا أخرى للمصدر : حمداً ، ومَحْمداً ، ومَحْمَداً ، ومَحْمِدةً ، ومَحْمَدةً . وليس من دأب الفيروزابادى البدء بالمصدر ، فقد يبدأ بالفعل ، أو باسم الذات . والمعاجم الحديثة تتخذ سبيلا واحدة عند وضع المادة فى صدر الحديث .

٣ - وذكر الفعل الماضى : حمده ، كسمعه . ويلاحظ أنه ألحق به الضمير ليفيد أنه متعد إلى المفعول به ، وقد ذكر فى موضع آخر صيغة اللازم منه ، قال : «أَحْمَدَ : صار أمره إلى الحمد ، أو فعل ما يحمد عليه» . ولم يسر القاموس على نهج واحد فى هذا الموقف ، فقد عاد مرة أخرى إلى ذكر الفعل متعديا ، قال : وأحمد إليك اللهَ» . أشكره، ثم لازما «وكفرح : غضب» . وذكر الفعل مضبوطًا بقياسه على فعل آخر مشهور . وقد سبق بيان الطريقة التى اتبعها الفيروزابادى فى ضبط الفعل والاسم .

وكذلك ذكر الفعل أول ما ذكره، مجردا: حمد، ثم ذكره مزيداً: أحمد، ثم عاد إلى ذكره مجرداً. والمعاجم الحديثة تبدأ بذكر الفعل مجرداً، ثم مزيداً، مع تنظيم ذكر صيغ الزيادة .

وليس الشأن دائماً عند الفيروزابادى أن يبدأ بذكر المجرد ، فكثيراً ما يبدأ بالمزيد ثم يعقبه بذكر مجرده .

٤ - ذكر الوصف : فهو حمود وحميد ، وهى حميدة ، ويلاحظ أنه نص على المؤنث

من الوصف ، ليفيد وروده ؛ فمن المعروف أن صيغة فَعول وفَعيل فى الأوصاف ، يستوى فيها المذكر والمؤنث . ثم عاد بعد فترة إلى استكمال صيغ الوصف : «وإنه لحمّاد لله عز وجل» . وقد جرت عادة الفيروزابادى أن يبدأ بالقياسى ، أو المشهور ، عند ذكر المصادر والأوصاف ، ويتبعه سائر الصيغ .

٥ - ذكر الجمع ، ورمز له بالحرف : ج : «ويحمد ، كيمنع ويُعلم آتى : أعلمَ (أى على وزن مضارع الفعل : أعلم) : أبو قبيلة ، ج اليحامد» . ويلاحظ أن العلم جاء فى صورة الفعل المضارع: يحمد ولم يبالغ الفيروزابادى فى التعريف بالعلم ، بل اكتفى بقوله: أبو قبيلة . والمعاجم الحديثة تقدم لمحات أكثر تعريفًا بالأعلام ، وبالنبات ، والحيوان ، والأماكن ، لاتخرجها عن الحدود المرسومة لوظيفة المعجم اللغوى .

٦ - ورمز كذلك بالرمز : ة ، لمعنى : «قرية» ، وبالرمز : د ، لبلد . قال : «والمحمدية ة بنواحى بغداد ، ود بيرقة من ناحية الإسكندرية» . وهناك رموز أخرى يراها قارىء القاموس المحيط ، وقد سبق الحديث عنها فى هذا البحث .

٧ - ومن القليل النادر الاستشهاد بالنصوص الأدبية ، كما صنع فى هذه المادة .

تقدير القاموس المحيط :

لعل من نافلة القول أن يُتناول كتاب «القاموس المحيط» بعبارات ثناء وإطراء . وأفضل الأمور فى ذلك أن يُوجه القارىء إلى ما صنعه الفيروزابادى من عكوف على أمهات اللغة التى سبقته فجمع شتيتها ، ونظم متفرقها ، وحاول أن يجمع دررها ، وأن يضع فى مقدمة أهدافه ، أن يضم فى كتابه فصيح اللغة وشاردها ، وأن يتحاشى ما رآه عيبًا فى كتب المتقدمين ؛ فتحصلت له من جميع ذلك مادة صحاح الجوهرى .

والكتاب بديع الاختصار ؛ للأمور الكثيرة التى سبق توضيحها ، حتى قال الحافظ بن حجر عنه : «وإنه لا مزيد عليه فى حسن الاختصار وجموم الكلمات اللغوية» .

وتعد المادة اللغوية التى ضمها الكتاب غاية فى النفاسة وكنزاً عظيم القيمة ؛ فمع وجازة التناول ، يرى القارىء فى أثناء شرح المادة لغوياً ، دليل استخدامها فى الأسلوب العربى . وما كان ينقصه فى تتمة لهذه الناحية غير الاستشهاد بالنصوص ، وهو الأمر

الذى تحاشاه ، إلا فى النزر القليل ، رغبة فى تيسير كتابه لقارئيه .

هذا إلى الحفاظ على لغات العرب الواردة ، والإشارة إلى لمع من القواعد اللغوية والصرفية والنحوية لا تشق على القارىء ، ولا تثقل الكتاب .

ومما يؤكد فضل الكتاب أن يتناوله المختصون بالشرح والتعقيب . ولا يعيبه أن يقول عنه السيوطى: «ومع كثرة ما فى القاموس من الجمع للنادّ والشوارد، فقد فاته أشياء ظفرت بها فى أثناء مطالعتى لكتب اللغة حتى هممت أن أجمعها فى جزء، مذيلا عليه[1]» ؛ ففى هذه العبارة نفسها دليل فضله وإشادة بمكانته .

ومن بين من تناول القاموس بالشرح أو التعقيب: السيد محمد مرتضى الحسينى الزبيدى، ثم المصرى (١١٤٥ - ١٢٠٥ هـ) فى كتابه: «تاج العروس من جواهر القاموس[2]»؛ وأحمد فارس الشدياق[3](ت ١٣٠٥-١٨٨٧م) فى كتابه: «الجاسوس على القاموس[4]» ؛ وأحمد تيمور باشا[5](١٨٧١ - ١٩٣٠م) فى كتابه: «تصحيح القاموس[6]» .

وتناوله طاهر أحمد الزاوى الطرابلسى ، فغير من نهجه ، وأعاد ترتيبه ، وجعله فى ثوب جديد ، سنعود إليه إن شاء الله ، فى الفصل الرابع من هذا الكتاب ، وأسماه: «ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة[7]».

---

(١) المزهر : ١ / ٦٣ .

(٢) طبع فى عشرة أجزاء كل منها يقع فى نحو ٥٤٠ صفحة من القطع الكبير .

(٣) ولد فى عشقوت ، بلبنان سنة ١٨٠٤ م ، ورحل والده إلى الحدث ، بجوار بيروت، فنشأ فيها ، وتعلم فى عين ورقة . وبعد وفاة والده جاء إلى مصر ، حيث أتم تعليمه ، ثم رحل إلى مالطة ولندن وتونس والآستانة ، وله كثير من المؤلفات الهامة .

(٤) طبع فى مطبعة الجوائب ، التى كان يديرها ، سنة ١٢٩٩ هـ .

(٥) أحمد بن إسماعيل تيمور ، ولد فى القاهرة ، صاحب الخزانة التيمورية ، جمع فيها من الكتب المطبوعة والمخطوطة ما يعز وجوده فى غيرها من المكاتب . (المنجد فى العلوم والآداب) .

(٦) طبع بالمطبعة السلفية بالقاهرة ، سنة ١٣٤٣ هـ .

(٧) طبع بمطبعة الاستقامة بالقاهرة سنة ١٩٥٩ م .



تمهيد :

تميزت طريقة الجوهرى ومن سار على نهجه بالأساس الذى ارتضوه لترتيب معاجمهم ، ويبدو ذلك فى تقسيم المعجم إلى أبواب وفق الحرف الأخير من حروف المادة الأصلية ، وتقسيم كل باب إلى فصول وفق الحرف الأول ، وترتيب مواد كل فصل وفقاً لحروفها الوسطى : الحرف الثانى إن كانت المادة ثلاثية ، فالثالث فالرابع إن كانت المادة رباعية أو خماسية ، وتشترك كذلك فى تخصيص باب واحد للمواد الواوية واليائية الآخر ، وفى تقديم فصل الواو على فصل الهاء فى الغالب [١] .

هذا مع احتفاظ كل معجم بمزايا خاصة تبعاً لمنهج صاحبه واتجاهه ، كما التزم « الصحاح » الألفاظ الصحيحة وحدها ، وكما غلب على « القاموس المحيط » الاختصار والاهتمام بالأمور الطبية . غير أن ترتيب هذه المعاجم يجعل الباحث لايتبع أسلوبا مريحا، فهو ينتقل من آخر المادة (الباب) إلى أولها (الفصل) ، ويتجه بعدئذ إلي صلب الكلمة لتتبع المادة ، مالفت أنظار العلماء إلى ضرورة ابتكار طريقة جديدة يسهل معها على الباحث الوصول إلى مايريد من أقرب سبيل .

وقد ظهرت هذه الطريقة المعجمية الجديدة ، واشتهر من أوائل متبعيها أبو القاسم

---

(١) يقدم ابن منظور فى كتابه : « لسان العرب » فصل الهاء على الواو انظر ص : ٨٧ ومابعدها من هذا الكتاب .

جار الله محمود بن محمد بن أحمد الـزمخشري [1] (٤٦٧ - ٥٣٨ هـ) صاحب أساس البلاغة .

وقدسبق الزمخشري إلى هذه الطريقة أبو المعالي محمد بن تميم البرمكي (٣٧٢ - ٤٣٣ هـ) في كتابه الذي سماه : « المنتـهي في اللغـة » ، وقـال عنه ياقـوت إنـه « منقول من كتاب الصحاح للجوهري ، وزاد فيه أشياء قليلة وأغرب في ترتيبه [2] » .

والترتيب المغرب الذي يشير إليه ، وهو الذي سلكه الزمخشري وغيره من بعده يتمثل في تنظيم مواد المعجم حسب الحرف الأول فالثاني فالثالث فالرابع من حروف المادة الأصلية ، وإشارة ياقوت إلى إغراب البرمكي في ترتيب كتابه تلفت النظر : فهو لم يشر مثل هذه الإشارة عندما عدد كتب الزمخشري ، وذكر من بينها أساس البلاغة الذي ينهج هذا المنهج ، وخاصة أن الزمخشري يكاد يعاصر البرمكي فقد توفي البرمكي سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة من الهجرة (٤٣٣هـ .) ، وولد الزمخشري سنة سبع وستين وأربعمائة (٤٦٧ هـ .) والزمخشري يصرح في مقدمة كتابه بأن ترتيب كتابه الذي اختاره كان مشهوراً في عصره ، ويقول : « .. وقد رتب الكتاب على أشهر ترتيب متداولا، وأسهله متناولا ، يهجم فيه الطالب على طلبته موضوعا على طرف الثمام وحبل الذراع ، من غير أن يحتاج في التنقير عنها إلى الإيجاف والإيضاع [3] » . وربما دعا ياقوتا إلى هذا ، ماقرأه في مقدمة كتاب البرمكي من أنه صنف كتابه في سنة سبع وتسعين وثلثمائة من الهجرة (٣٩٧ هـ) وكانت سنه إذ ذاك نحو خمس وعشرين سنة ، وأنه قرأ أيضاً للبرمكي أنه فرغ من نسخ كتاب الجوهري (الصحاح) بخطه سنة ست وتسعين وثلثمائة (٣٩٦ هـ) ، ويقرن ذلك بقـوله : « ولاشـك أن أحـد الكتابـين

---

(١) ولد بزمخشر ، إحدى قرى خوارزم ، وتتلمذ على أفاضل العلماء ، وورد بغداد غير مرة ، وجاور بمكة ، ومن ثم تلقب بجار الله . وكان واسع العلم ، عدد له صاحب معجم الأدباء نحو تسعة وأربعين كتابا، منها التفسير المشهور ، والفائق في غريب الحديث ، والمفصل في النحو ، وغيرها : انظر : معجم الأدباء : ١٩ / ١٢٦ : بغية الوعاة ٢ / ٢٧٩ .

(٢) معجم الأدباء : ١٨ / ٣٤ : بغية الوعاة : ١ / ٦٨ .

(٣) أساس البلاغة : مقدمة الزمخشري .

منقول مــن الآخــرنقلا ، والذى أشك فيه أن البرمكى نقل كتاب الصحاح [1] ، فهو يقرن بين أمرين : نقل البرمكى كتاب الصحاح بخطه وانتهائه مـن هذا النقل فى سنة ست وتسعين وثلثمائة ، وانتهائه من تصنيف كتابه الذى غير فيه ترتيب الصحاح فى سنة سبع وتسعين وثلثمائة ، وهى السنة التالية مباشرة لفراغه من نسخ الصحاح بخطه والأمران هامان ، ومن ثم ساق عبارة الشك التى ذكرها .

ولكن عبارة الزمخشرى كذلك تدعو للتساؤل؛ فقد ذكر فى عبارته المذكورة آنفا، أنه رتب كتابه على أشهر ترتيب متداولا: والباحثون يقولون إن البرمكى أسبق الناس إلى هذا الترتيب الجديد،والسنوات القليلة التى تفصل بين زمنى البرمكى والزمخشرى لاتؤهل لشهرة التداول التى أشار إليها الزمخشرى ولاتدعو إلى وصف عمل البرمكى بالإغراب.

ويذكر الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار أنه شاهد بنفسه قطعة من كتاب البرمكى فى مائة ورقة بالمكتبة الخاصة بإبراهيم حمدى الخربوطلى أمين مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمة الله ، بالمدينة المنورة ، ووجده مرتباً مثل ترتيب المعجمات الحديثة [2].

ومسألة أخرى ينبغى أن تذكر هنا ، وهى المصادر التى استقى منها الزمخشرى مادة كتابه . ويذكر الزمخشرى أنه استمده من مصادر عدة. وأن الميدان العربى الفسيح : بدوه وحضره ،أعرابه ومتحضريه، وخطباءه ورجازه وشعراءه ، وسفراءه وسماسرته ، كان المعين الذى أفاد منه ، وأضاف إلى هذا، المصادر المسجلة فى بطون الكتــب والدفاتــر ،وإن لم يعين شيئامنهابذاته.ويقول الزمخشرى:«وهوكتاب قُليت لهُالعربية ومافصح من لغاتها، وملح من بلاغاتها؛ وماسمع من الأعراب فى بواديها،ومن خطباء الحلل فى نواديها؛ ومن قراضبة[3]نجد فى أكلائها ومراتعها، ومن سماسرة تهامة فى أسواقها ومجامعها، وماتراجزت به السقاة على أفواه قُلبها[4] وتساجعت به الرعاة على شفاه علبها[5].

(١) معجم الأدباء : ١٨ / ٣٥ .

(٢) أحمد عبدالغفور عطار : مقدمة كتاب الصحاح للجوهرى :٩٠.

(٣) قراضبة : جمع قرضوب ، وهم الصعاليك واللصوص .

(٤) قلب ، بضمتين : جمع قليب ، وهو البئر الواسعة .

(٥) علب ، بضم ففتح : جمع علبة ، وهى إناء ضخم من جلد أو خشب يحلب فيه اللبن.

وماتقارضته شعراء قيس وتميم فى ساعات المماتنة [1] وماتزاملت [2] به سفراء ثقيف وهذيل فى أيام المفاتنة : وماطولع فى بطون الكتب ومتون الدفاتر من روائع ألفاظ مفتنَّة، وجوامع كلم فى أحشائها مجتنة [3] » .

منهج الكتاب :

لعل أهم مايلفت النظر فى « أساس البلاغة »ماقصد إليه الزمخشرى فى سائر كتابه، بل ومأشار إليه منذ البدء حين اختار له عنوان « أساس البلاغة » ، من عرض وجوه الإعجاز ، وبيان مناهج الفصاحة ، ومايعتور اللفظ ، والأسلوب من ألوان الدلالة .

وإذا كان المعجميون قبل الزمخشرى قصدوا أن تسجل معاجمهم تصاريف العرب فى ألفاظهم وأساليبهم بعامة ، فقد عنى الزمخشرى أن يقصد إلى « تأسيس قوانين فصل الخطاب والكلام الفصيح ، بإفراد المجاز عن الحقيقة ، والكناية عن التصريح » ومن ثم لم تنصرف عنايته إلى تتبع معانى مفردات المادة ، ولاإلى تتبع مشتقات وتصريفات أصلها، كماانصرفت إلى هدفه الذى صرح به .والمصطلحات التى وردت فى كلام الزمخشرى تؤكد اهتمامه بهذه الغاية ، وتفيد أنه قد حصَّل من مقاييسها وموازينها قدرا عظيما أعانه على ادعاء ماادعاه ، من أن من وقف على خصائص كتابه وحصلها، و«كان له حظ من الإعراب الذى هو ميزان أوضاع العربية ومقياسها ، ومعيار حكمة المواضع وقسطاسها ، وأصاب ذَرْوا [4]من علم المعانى ،وحظى برش [5]من علم البيان، وكانت له قريحة صحيحة وسليقة سليمة : فحل نثره ، وجزل شعره ،ولم يطل عليه أن يناهز المقدمين ويخاطر المقرمين [6] »

---

(١) المماتنة : محاولة كل شاعر أن يظهر متانة شعره .

(٢) تزاملت : تراجزت : والزمل ، بفتحتين : الرجز .

(٣) أساس البلاغة : مقدمة الزمخشرى .

(٤) ذروا : طرفاً وحظا .

(٥) رش من علم : بعض قليل منه .

(٦) المقرمين : الفحول البلغاء - والعبارة للزمخشرى : أساس البلاغة : مقدمة الزمخشرى .

ومن الواضح فى العبارة السابقة ، وفى سائر كتاب الزمخشرى، بل وفيماجاء فى كتبه الأخرى الكثيرة ، أنه كان واضح التصور للأصول والقواعد التى يمكن أن يناقشها علم المعانى ، وعلم البيان ، وأن هذه الأصول والقواعد يمكن أن توصل من يحيط بها ويدرك أثرها ويتذوقها ، إلى امتلاك ناصية البلاغة ، ومناهزة المقدمين القرمين .

ولكن الأستاذ أمين الخولى لايساير الزمخشرى ومن نظر فى كتابه كثيراً فى التسليم لكتابه بهذه الخصيصة ، ويقول : « إن المعنى الاصطلاحى المستقر للمجاز اللغوى لم يكن قد بلغ مداه ، عندما كتب (جار الله) كتاب أساس البلاغة ». ولهـذا لايسـاهم « فى القول بأن أهمية معجم أساس البلاغة ترجع إلى إفراد المجاز ، بمعناه الاصطلاحى الأخير ، عن الحقيقة [1] » .

غير أن تتبع « أساس البلاغة » مادة بعد أخرى توقف القارىء على بروز هذا الجانب الذى توخاه الزمخشرى ، وإن لم يكن حتما أن يتفق معه فى جميع مانص على أنه من المجاز ، أو على أن مالم ينص عليه يدخل فى مجال الدلالات الحقيقية ، فإن القطع بمثل هذه الأمور ألصق بمسائل العلم المحسّة التى تخضع للأقيسة المتفق على نتائجها .

والمناقشات المقبلة ستحاول أن تجلو للقارىء خصائص هذا الكتاب ، وتتحدث عن مظاهر صدوره فى طبعته الجديدة ، ومكانه بين المعاجم العربية .

خصائص الكتاب :

ينبغى فى صدر هذا الحديث ، أن يصدر بنموذج مماكتب الزمخشرى، يتناول بالتعقيب والتحليل ، رغبة التعرف على هذا الكتاب ، ودراسة مظاهره .وقد وردت مادة: خ ز ن ، فى كتاب أساس البلاغة ، فى طبعته الجديدة ، كمايلى :

* خ ز ن – خزن المالَ فى الخزانة : أحرزه . واختزنه لنفسه ، واستخزنه المالَ وله مَخزن حريز ، وهو صاحب مخزن الأمير .

ومن المجاز : اطلب من خزائن رحمة الله تعالى ، واخزن لسانك وسرك .

قال امرؤ القيس :

إذا المرء لم يخزن عليه لسانه   فليس على شىء سواه بخزان

---

(١) أساس البلاغة : مقدمة بقلم الأستاذ أمين الخولى . ط . أولاد أورفاند : ١٩٥٣ م .

وقال السمهرى بن أسد العُكلىّ :

وبادر بليلى أوبة الركب إنهم   متى يرجعوا يخزن عليك كلامها

واجعله فى خزانتك أى فى قلبك إذا لقنته علماً أو أودعته سراً . وفى حكمة لقمان « إذا كان خازنك حفيظاً وخزانتك أمينة رشدت فى دنياك وآخرتك » .

وقولهم : خَزن اللحم إذا تغير ، ومعناه خزنه فَخزِن أى ادخره فايف بسبب الادخار. ألاترى إلى قوله :

ثم لايخزن فينا لحمها   إنما يخزن لحم المدخر

المناقشة :

١-أول مايلحظ فى المادة السابقة وضع أصولهاحروفا متفرقة ، صاغ منها الزمخشرى الأفعال والصفات وسائر الصور التى يمكن أن تنبثق منها ،وفى الإطار الذى رسمه لنفسه . وذلك أن الزمخشرى لم يعن بتتبع جميع الصور الممكنة من المادة ، ليس فى هذه المادة حسب ، ولكن فى كثير من مواد كتابه : فاهتمامه موجه أكثر التوجه إلى سوق التراكيب والأساليب ،والتوقيف على مناهج التركيب والتأليف ،لاسوق الألفاظ ومعانيها مرسلة بددا، وطرائق قدداً ،ومن اجل ذلك كان نصيب ماذكره من الصيغ عنها محدوداً. وقد بدأ من الصيغ بالفعل: خزن، وبعض مزيداته: اختزن، واستخزن، واسم المكان: مخزن، ثم ذكر فيما بعد الوصف: خازن، والاسم: الخزانة. وجميع ماذكره من هذه الصيغ ساقه فى تعبير تام، أوفى نص قديم. ولم ينبه على مايمكن أن تفيده الصيغة من تلون فى المعنى الأساسى الأول للمادة ،أوعلى نوع المشتق، وترك ذلك للقارىء يدركه من خلال مايسوقه من تراكيب ونصوص. والقارىء لايقف على ذلك إذا لم يكن ذا دراية سابقة بهذه المبادىء التى لاغنى عنها، ومع ذلك لايستغنى عن التنبيه عليها المعجم .

وإذا رأينا هذه المادة فى «القاموس المحيط» وجدنا نهجاً آخر، ففيه:«خزن المال: أحرزه كاختزنه، واللحم خزْناً وخزوناً: تغير، كخزن كفرح وكرم فهو خزين، وككتابة فعل الخازن ومكان الخزن،ولايفتح،كالمخزن كمقعد، والقلب،والخزّان كشداد: اللسان كالخازن، والرطب المسْوّدُّ الجوف لآفة، ومخازن الطريق مخاصره، واختزن طريقاً: أخذ أقربه، وأخزن:استغنى بعد فقر، وعلى بن أحمد وأحمد بن محمد بن موسى الخازنان محدثان».

فمادة : خزن فى القاموس وافرة ذكر المشتقات ، والصيغ ، مع التنبيه عليها ،

وهذا هام لمن يلجأ إلى المعاجم ، وينقصه صنيع الزمخشري في أساسه .

والزمخشري لايأخذ نفسه بالبدء بالصيغ الفعلية إن وجدت ، فقد يبدأ بغير الفعل من الصيغ والصور ، بل قد يبدأ بتركيب مستحسن يريد أن يلفت إليه النظر ، أو عبارة جميلة أو مصطلح يدعو إلى التنبيه لهما؛ ففي مادة : ب ع د ، بدأ بقوله : « أما بعد فقد كان كذا » وفي مادة : رأس ، بدأ بقوله : « أهل مكة يسمون يوم القرّ : يوم الرءوس ، لأنهم يأكلون فيه رءوس الأضاحي » .

وكذلك يدرك القارىء من خلال مايذكره الزمخشري من أساليب؛ أحوال الصيغ والمشتقات، من لزوم الفعل والوصف والمصدر أواحتياجها إلى المفعول المباشر أوغير المباشر، ومن التجرد والزيادة، مثل:خزن المال في الخزانة،واختزنه لنفسه، واستخزنه المال.

٢ - وفي كتاب « أساس البلاغة » ظاهرة تستحق العناية فإن الغالبية الغالبة من المواد التي أفردها بالذكر والشرح مستقلة ، ثلاثية الأصول ، وقل ماذكره من مواد غير الثلاثي . بل يمكن إحصاء هذه المواد ومناقشتها . وتبلغ نحو اثنتين وستين مادة رباعية [١] ، ومادتين خماسيتين هما مادتا : ص هـ ص ل ق ، ع ن د ل ب . ولم يبد من الزمخشري أنه سيصرف عنايته إلى المواد الثلاثية ، أو إن أمراً ماخفف من تسجيل المواد الرباعية والخماسية . وغلبة المواد الثلاثية في اللغة العربية ، بل وفي اللغات السامية ، ظاهرة معروفة . يقول ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) في كتابه الخصائص : « إن الأصول ثلاثة : ثلاثي ورباعي وخماسي ، فأكثرها استعمالا وأعدلها تركيبا الثلاثي، وذلك لأنه حرف يبتدأ به ، وحرف يحشى به ، وحرف يوقف عليه . وليس اعتدال الثلاثي لقلة حروفه حسب ، لو كان كذلك لكان الثنائي أكثرمنه اعتدالا ، لأنه أقل حروفا ، وليس الأمر كذلك [٢] ».

والمواد غير الثلاثية مع ذلك ليست من الندرة بالقدر الذي سجله الزمخشري . ويمكن تصنيف المواد الرباعية التي سجلهامستقلة مجموعتين : إحداهما رباعية الأصول ، وتبلغ نحو ست وثلاثين مادة ، مثل : ج ح ف ل ، ج ر ث م ، ع ق ب ل ، ع ن ص ر ؛ والأخرى رباعية مضعفة ذات أصلين مكررين مثل : ب أ ب أ ، ز ع زع ، ف د ف د، و ل و ل . وإذا عولجت المجموعة الأولى من المواد الرباعية علاجا فقهيا ، أمكن أن

---

(١) انظر الجدول (١)

(٢) ابن جني : الخصائص : ١ / ٥٥ .

يعود بعضها إلى أصول ثلاثية مزيد بعض حروفها [1]، مثل : س ف س ق ، س ل هـ ب ، ز ن ج ر ، ز ع ن ف ، ع ب هـ ل . فهذه وغيرها يمكن بالمناقشة أن تعود إلى مواد ثلاثية .ومع ذلك ، لايتطلب من المعاجم اللغوية أن تناقش جميع المواد مثل هذه المناقشة، وإنما يطلب تيسيراً على الدراسين ، إن أمكن ، تسجيل الكلمات حسب منطوقها لاحسب أصول موادها فقط .

والمواد الرباعية المضعفة كان يمكن أن يعالجها مع علاج المواد الثنائية ، أو المواد الثلاثية ، كما صنع فى بعضها، مثل قهقه ، التى عالجها فى مادة : ق هـ هـ ، وكما عكس فى مادة: م هـ م هـ ، فقد ذكر فى ثناياها كلمة: مه؛ ومادة : روى د ، فقد شرح فى أثناء علاجها مادة رود؛ ومادة: ف د ف د ؛ فقد شرح فى ثناياها مادة : ف د د .

وشيء آخر يذكر فى هذا المجال ، هو أن الجوهرى ، وهو أسبق من الزمخشرى ، وله نهجه المختصر فى تسجيل المعجم العربى إذا قيس بمن سبقه من المعجميين كالأزهرى صاحب التهذيب ، ذكر فى فصل الباء من باب الميم ، إحدى عشرة كلمة رباعية ، فى حين لم يذكر الزمخشرى فى الأساس ، من المواد البائى أول أصولها، الميمى آخرها، أية مادة، وهو أمر لايمكن تعليله .

وأضاف الفيروزابادى بعده ، فى هذا الموضوع نفسه ، اثنتى عشرة مادة جديدة .

وهناك بالضرورة ، مواد أخرى كثيرة فى غير فصل الباء من باب الميم فى كتاب الجوهرى ومن سبقه من اللغويين .

٣ - ويرى قارىء الأساس أن المشتقات والصيغ مفتقرة إلى ضبطها بطريقة من الطرق التى لجأ إليها من سبق الزمخشرى ، فضلا عن توقع ابتكارجديد يفيد .فالفعل «خزن» يختلف معناه باختلاف النطق به ، فهو بمعنى أحرز إن كان من باب نصر أو قعد ؛ وبمعنى تغير ، إن كان من باب نصر أو فرح أو كرم . والخزانة ، بكسر الخاء مصدراً أو اسما لمكان الخزن ، ولايصح أن تفتح . ولم ينبه الزمخشرى على الضبط فى كتابه إلاقليلا، وكذلك لم يذكر فى مقدمة كتابه رأيه فى هذا الأمر ، ولولا ماصنعه ناشرو أساس البلاغة من ضبط المواد وكثير من النصوص برموز الحركات ، للقى الدارسون كثيراً من العنت ، وقل الانتفاع بالكتاب ، مع أهميته ودسامة مادته .

---

(١) انظر : Brockelmann: Grundriss d. v. Gram. d. Sem .d. sem Sprachen,1:521 وانظر : دكتور مراد كامل : نشأة الفعل الرباعى فى اللغات السامية الحية .

(١)	(٢)	(٣)	(٤)
ب أ ب أ	ر و ى د	ض ع ض ع	ف ر د ن
ب خ ن ق	ز ع ز ع	ط أ ط أ	ف س ك ل
ب ر ط ل	ز ع ف ر	ط ح ط ح	ل ؤ ل ؤ
ب ر ق ش	ز ع ن ف	ظ ب ظ ب	ل هـ ل هـ
ب ع ث ط	ز غ ز غ	ع ب هـ ل	م ع م ع
ت م هـ ل	ز م ج ر	ع ص ف ر	م هـ م هـ
ث ف ر ق	ز ن ج ر	ع ق ب ل	ن أ ن أ
ج ح ف ل	س ف س ق	ع ل هـ ز	ن ع ن ع
ج ر ث م	س ل هـ ب	ع ن د م	ن غ ن غ
ج هـ ج و	س ن ب ك	ع ن ص ر	ن هـ ن هـ
خ ض ر م	ش أ ش أ	ع ن ك ب	هـ ى م ن
د غ د غ	ص أ ص أ	غ ر ن ق	هـ ى ن م
د غ ف ل	ص ع ل ك	ف أ ف أ	و أ و أ
د م ق س	ض أ ض أ	ف د ف د	و ع و ع
د هـ د ى	ض ح ض ح	ف ر ع ن	و ل و ل
ذ ع ذ ع	ض ر غ م		

الجدول (١)

مواد رباعية من فصل الباء من باب الميم

من صحاح الجوهري

(٢)	(١)
البَرهَمة	البَجارم
بِسطام	البُرجُمة
البلدم	البِرسام
البَلعوم	برشم
البلغم	البرطام
	البرعم

الجدول (٢)

مواد رباعية من فصل الباء من باب الميم
من القاموس المحيط

(١)	(٢)
البجارم	البظَرَم
بحرم	بعثم
بخذم	بَغْثَم
برشم	البَلتم
البُرجمة	بَلْحم
البِرسْام	البَلدم
برشم	بلسَمَ
البرْصوم	البَلعوم
البرطام	البَلغَم
البرعم	البهْرم
البرهمة	البهصَم
بِسطام	

الجدول (٣)

ملحوظة : سجلت المواد هنا حسبما دونت فى القاموس المحيط .

٤ - وقد سبق الحديث عن ترتيب المواد في «أساس البلاغة»، وهو الترتيب الذي انتهجته المعاجم الحديثة. والزمخشري قسم كتابه أبوابا وفق الحرف الأول من حروف المادة الأصلية، وأطلق على كل باب منها اسم : « كتاب ». ولم يتحدث في بدء كل كتاب، كماتحدث غيره، عن الحروف التي عقدت لها الكتب، ولكنه بدأ بشرح المواد مباشرة. ورتب المواد في كل كتاب وفق الحرف الثاني من حروف المادة الأصلية ، ثم الحرف الثالث إن كانت المادة ثلاثية ، فالرابع ، فالخامس إن كانت المادة رباعية أو خماسية .

ونلاحظ بعض الاضطراب في ترتيب بعض المواد الرباعية وإحدى المادتين الخماسيتين. مثال ذلك : مادة : س ف س ق ، فقد وضعت بعد مادة ": س ف ف ، وقبل مادة : س ف ل ، والحرف الثالث في الكلمات الثلاثة هو على الترتيب: ف ، س ، ل ، ومن حق السين أن تتقدم حرف الفاء. ومثل : طح طح ، فقد وضعت بين كلمتي : ط ج ن ، و :ط ح ر: ومن حق الكلمة الأخيرة أن تتقدم الكلمة الرباعية .

وهناك نموذج آخر من هذا الاضطراب ،مثل: ج هـ ج هـ ، فقد وضعت بين :ج هـ و ، و ، ج و ب ؛ ومن نظام « الأساس » رعاية تقديم حرف الهاء على حرف الواو في جميع الظروف ، فضلا على أن الحرف الثالث : (ج) ، يسبق الحرفين : (هـ ، و) جميعا .

ونموذج ثالث يرد في هذا المقام ، مثـــل : روى د فـــقد وضعـــها بين كلمـــتي : روح ، و، روز ، ومن حق الكلمة الأخيرة أن تتقدم الكلمة الرباعية . ومثل : هـ ى م ن ، فإنها توسطت الكلمتين : هـ م م ، و : هـ م ى .

والنماذج الثلاثة المتقدمة يمكن أن يشار إليها ببعض الرأي . ففي النموذج الأول يحتمل أن الزمخشري يوعز بهذا الترتيب إلى احتمال زيادة الحرف المكرر، وهو : السين في المثال الأول والطاء في المثال الثاني ، وإن لم يرد في شرحه لهذه المواد مايومىء إلى هذه الملحوظة .

وفي النموذج الثاني خطأ في ترتيب المواد على أي حال ، فمع افتراض صحة الملحوظة السابقة يبقى وجوب الترتيب بين حرفي الهاء والواو الذي التزمه الزمخشري،

فحق كلمة: ج هـ ج هـ أن تتقدم على كلمة: ج هـ و؛ لسبق الهاء الواو فى الترتيب، هذا، إذا لم نضف أمراً آخر وهو احتمال أن الكلمة الرباعية أصلها مادة ثنائية ضعف حرفاها .

أما النموذج الثالث ففيه ترجيح ملاحظة الزمخشرى أن بعض حروف المادة الرباعية زائد على الأصل الثلاثى ، فمادة : روى د ، أصلها : رود، بدليل أنه شرحها فى أثناء شرح مادة : روى د . ومادة : هـ ى م ن ، هاؤها زائدة ، وياؤها مقلوبة عن همزة. وأصل: هـ ى م ن: أ أ م ن ، سهلت الهمزة الثانية وأبدلت ياء ، ثم أبدلت الهمزة الأولى هاء. ويقول الرازى فى مختاره ، فى مادة : أمن: «وأصل مهيمن: مؤأمن ، لينت الثانية وقلبت ياء كراهة اجتماعهما وقلبت الأولى هاء، كما قالوا: أراق الماء، وهراقه».

وفى الجدول رقم (٤) بيان المواد الرباعية ، والمادة الخماسية ، التى وقع فيها الاضطراب المشار إليه فى الفقرة السابقة .

٥ - وأضاف ناشر « أساس البلاغة » بعض الرموز التى تصطنعها المطبعة الحديثة، فوضع نجما مشعاً * قبل كل مادة جديدة يبدأ شرحها . ووضع الشواهد القرآنية بين هلالين ، مثل : (وآخَرُ منْ شَكله أزْواج) ، فى مادة ش ك ل ؛ و (فلا تُشْمتْ بى الأعداء) فى مادة : ش م تَ . ووضع سائر النصوص الأخرى بين علامتى تنصيص « »، مثل : وفى الحديث : « لماأراد الله أن يخلق لإبليس نسلا وزوجة ، ألقى عليه الغضب فطارت منه شظية من نار فخلق منها امرأته » ؛ ومثل : وفى حكمة لقمان «إذا كان خازنك حفيظا وخزانتك أمينة رشدت فى دينك وآخرتك » .

تقدير الكتاب :

لاحاجة لشخصية أدبية محققة عالمة لغوية كشخصية الزمخشرى صاحب المؤلفات الكثيرة القيمة ، إلى مزيد من التعريف ، وليس كتابه « أساس البلاغة »بعد الحديث السابق، فى حاجة إلى شىء إلا أن يكب عليه الدارسون كماأكبوا عليه من قبل . ولعل التفسير الذى قدمه للناس ، ونهجه فى ترتيب مواده ، وعنايته بتخير ماوقع فى عبارات المبدعين، وانطوى تحت استعمالات المفلقين من التراكيب التى تملح وتحسن ولاتنقبض عنها الألسن ، ثم اهتمامه بتأسيس قوانين فصل الخطاب والكلام الفصيح ، بإفراد المجاز عن الحقيقة والكناية عن التصريح ، لعل هذا وغيره ممايفيد منه قارىء معجم لغوى ، يغنى عن أن يقال فيه جديد . وقد قال فيه ابن خلدون :

المواد الرباعية والخماسية ومواضعها من أساس البلاغة

الباب	المواد
كتاب الجيم	ج هـ و / ج هـ ج هـ / ج و ب .
كتاب الدال	د غ ر / د غ ص / د غ د غ / د غ ف ل / د غ ل
كتاب الذال	ذ ر ى / ذ ع ر / ذ ع ذ ع / ذ ع ف .
كتاب الراء	ر و ج / ر و ح / ر و ى د / ر و ز .
كتاب السين	س ر ق / س ر و ل / س ر و .
كتاب السين	س ف ف / س ف س ق / س ف ل .
كتاب الصاد	ص هـ ر / ص هـ ص ل ق / ص هـ ل .
كتاب الضاد	ض ر ن / ض ع ض ع / ض ع ف .
كتاب الطاء	ط ج ن / ط ح ط ح / ط ح ر .
كتاب العين	ع ل ن / ع ل و / ع ل هـ ز / ع م ج .
كتاب الفاء	ف د ح / ف د ف د / ف د ر .
كتاب اللام	ل هـ ن / ل هـ ل هـ / ل هـ و .
كتاب الميم	م هـ ن / م هـ م هـ / م هـ و
كتاب النون	ن ع ظ / ن ع ن ع / ن ع ف .
كتاب النون	ن غ ض / ن غ ن غ / ن غ ف .
كتاب الهاء	هـ م م / هـ ى م ن / هـ م ى .
كتاب الهاء	هـ ن ف / هـ ى ن م / هـ ن م .
كتاب الواو	و ع ظ / و ع و ع / و ع ك .
كتاب الواو	و ل ق / و ل و ل / و ل م .

الجدول رقم (٤)

ملحوظة : وضعت هنا المواد الرباعية والخماسية المحتاجة إلى إعادة التنظيم .

« ومن الكتب الموضوعة أيضا فى اللغة كتاب الزمخشرى فى المجاز ... كل ماتجاوزت به العرب من الألفاظ ، وماتجاوزت به من المدلولات ، وهو كتاب شريف الإفادة [1] » . وبالرغم من ظهور هذا المعجم فيما بين القرنين الخامس والسادس الهجريين فإن كثيراً من المعجميين المتأخرين عن الزمخشرى لم يستفيدوا من طريقته كصاحب اللسان (٦٣٠ - ٧١١ هـ) ، وصاحب القاموس المحيط (٧٢٩ - ٨١٦ هـ) . وإنما استفاد منها أصحاب المعجمات الحديثة كالبستانى (١٨١٩ -١٨٨٣ م) فى : « محيط المحيط » ومختصره : « قطر المحيط » ، والشرتونى (١٨٤٨ - ١٩١٢ م .) فى كتابه : « أقرب الموارد فى فصح العربية والشوارد » والأب لويس معلوف اليسوعى (١٨٦٧ - ١٩٤٦ م .) فى كتابه : « المنجد » ومثل الشيخ محمود خاطر فى ترتيبه الحديث لكتاب : « مختار الصحاح » للرازى. وقد اختار المجمع اللغوى بالقاهرة هذا النهج لمعاجمه التى أصدرها وهى : « المعجم الكبير » الذى أصدر منه القسم الأول من الجزء الأول سنة ١٩٥٦ م . ، و « المعجم الوسيط » الذى صدر بين سنتى ١٩٦٠ ، ١٩٦١ م .

---

(١) ابن خلدون : المقدمة : ٤٨٥ ط المطبعة الأزهرية بالقاهرة .



تمهيد :

يحتاج الدارس لحل مشكلاته اللغوية في كثير من الأحيان إلى الموجزات التي يخف حملها ، ويسهل استعمالها ، فإن أعجزه الوصول إلى مايبغى اضطر إلى اللجوء إلى الموسوعات ليجد فيها طلبته .

ومن الموجزات التى حظيت باهتمام القارىء العربى الموجزات التى اقتبست من كتاب الجوهرى ، ومن أشهرها مختار الصحاح للرازى (ت بعد سنة ٦٩١ هـ) ، وقد سار على طريقة الجوهرى فى تنظيم أبوابه وفصوله وترتيب مواده . وهناك موجز نال الشهرة كذلك ، ولكنه لم يقبس من الجوهرى وحده ، كمالم يسر على طريقته ونهجه ، وإنما اتخذ المنهج الذى بدأه البرمكى ، وشهره الزمخشرى . وأعنى بهذا : كتاب « المصباح المنير » الذى ألفه أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الفيومى، ثم الحموى [1] والناظر فى هذا المعجم الموجز يعجب لما حوى من الفوائد العلمية المنوعة إلى جانب هدف المعجم اللغوى: فالتحليل اللغوى للمواد مقرون بتعليلات مسندة إلى كبار العلماء ،وملح نحوية وصرفية واهتمام بشرح المصطلحات الفقهية ، وهو هدف أساسى من أهداف هذا المعجم ، فإن

---

(١) نشأ بالفيوم واشتغل ومهر وتميز فى العربية عند أبى حيان ، ثم قطن حماه ، وخطب بجامع الدهشة الذى بناه الملك المؤيد إسماعيل ، وكان الفيومى فاضلا عارفا بالفقه واللغة: توفى بعد سنة سبعين وسبعمائة. الدرر الكامنة : ١ : ٣١٤. وذكر السيوطى فى بغية الوعاة (١ : ٣٨٩) أنه توفى سنة نيف وسبعين وسبعمائة . وفى مادة : نوف ، ذكر صاحب المصباح : « قال أبو العباس : الذى حصلناه من أقاويل حذاق البصريين والكوفيين أن النيف من واحد إلى ثلاث والبضع من أربع إلى تسع » ، فترجح اختيار سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة توقيتا لوفاة الفيومى رحمه الله .

الفيومى قصدأن يشرح مشكلات غريب « الشرح الكبير » الذى ألفه الرافعى ، شارحاً كتاب الوجيــز « للغـــزالى » ؛ ومن ثم يجد الناظر فيه تعريفا بهذه المصطلحات ، وعلاجا يسيراً وسريعا لبعض قضايا الفقه الإسلامى ، ترد نماذج منها فى هذه الدراسة .

وقد كان صاحب المصباح ألف قبل هذا المعجم كتابا مطولا فى « غريب الشرح الكبير » للرافعى ، أوسع فيه من تصاريف الكلمة . وأضاف إليه زيادات من لغة وغيره ومن الألفاظ المشتبهات والمتماثلات ، ومن إعراب الشواهد وبيان معانيها، وقسمه تقسيما لم يرتح هو نفسه إلى منهجه ، وقال عنه : « وقسمت كل حرف منه باعتبار اللفظ إلى أسماء منوعة : إلى مكسور الأول ومضموم الأول ومفتوح الأول وإلى أفعال بحسب أوزانها ، فحاز من الضبط الأصل الوفى ، وحل من الإيجاز الفرع العلى . غير أنه افترقت بالمادة الواحدة أبوابه ، فوعرت على السالك شعابه ، وامتدحت [1] بين يدى الشادى رحابه ، فكان جديرا بأن تنبهر دون غايته ركابه ، فجر إلى ملل ، ينطوى على خلل [2] » . وهذا الخلل ، أو الاضطراب ، الذى أشار إليه الفيومى حدا به إلى أن يقومه حين عمد إلى تأليف هذا المختصر لكتابه المطول ، وأن يتخذ له منهجاً سوياً ، ستعرض له هذه الدراسة بعد قليل .

والمصادر الكثيرة التى رجع إليها الفيومى فى إعداد كتابه المطـول الذى اختصـره فى « المصباح المنير » وتبلغ نحو سبعين مصنفا بين مطول ومختصر ، تشير إلى مدى الجهد الكبير الذى بذله ، وإلى ماينتظر من قارئ مستوعب لها .وقد عدد بعضها الفيومى فى خاتمة كتابه المصباح ، ونبه عليها فى مواضع الأخذ عنها فى ثنايا الكتاب حيث ينبى عليها حكم . ومع اهتمام الفيومى بجوانب لغوية ونحوية وصرفية عرض لها فى مادة كتابه ، لم يترك مصباحه قبل أن ينبه على طائفة قيمة منها فى خاتمته ،فسلكها فصولا تبلغ نحوأربعين صفحة، وهى فصول يفيد منها الدارس ويحتاج أن يردد النظر فيها بين حين وحين .

---

(١) اتسعت . قال الخطيب التبريزى : المدح من قولهم : امدحت الأرض إذا اتسعت، المصباح .

(٢) مقدمة المصباح المنير .

منهج الكتاب :

يبدو أن الفيومى تأثر بالزمخشرى عندما وضع كتابه « المصباح المنير » ؛ فقد ذكره بين مصادره التى رجع إليها ، واقتبس منه أو أسند إليه كثيرا من الآراء ، أو أشار إلي كتابه فى كثير من المواضع فى مصباحه ، وتأثر به كذلك فى اختيار ترتيب مواد كتابه رغم اهتمامه بصحاح الجوهرى (٣٣٢ - ٣٩٨ هـ) ، وتهذيب الأزهرى (٢٨١ - ٣٧٠ هـ) ، ومختصر العين لأبى بكر محمد الزبيدى (ت ٣٧٩ هـ) وغيرها من كتب اللغة السابقة لعصره . ولم يشر الفيومى إلي ابن منظور (٦٣٠ - ٧١١ هـ) صاحب « لسان العرب » ، بين مصادره ، رغم تعاصرهما ، فقد توفى ابن منظور سنة إحدى عشرة وسبعمائة من الهجرة .ولم يشر كذلك إلى البرمكى (٣٧٢ - ٤٣٣ هـ) مبتدع الطريقة التى نهجها الزمخشرى (٤٦٧ - ٥٣٨ .) ، بينما ذكر ديوان الأدب للفارابى (ت ٣٥٠ هـ) ، وصحاح الجوهرى في موضع واحد، والصلة بين الكتابين قريبة كالصلة بين كتابى البرمكى والزمخشرى [1] .

وطبيعى أنه لم يتصل بالقاموس المحيط للفيروزابادى (٧٢٩ - ٨١٦ هـ)؛ فقد فرغ الفيومى من مصباحه سنة أربع وثلاثين وسبعمائة، وسن الفيروزابادى إذ ذاك نحو خمس سنين .

ولكن تأثره بالزمخشرى لايعنى أنه سار على دربه فى جميع أموره ؛ فإن له شخصيته المستقلة ، ورأيه الحر فى تنظيم كتابه ، وفى جمع مادته .

والمصباح المنير مقسم أبوابا، وفق الحرف الأول من حروف المادة الأصلية ، وسمى كل باب منها كتابا . ويلاحظ أنه عد حروف الهجاء تسعة وعشرين حرفاً ، فقد عقد بابا خاصا للحرف (لا)، بين بابى الواو ، والياء ، وقد سبقه بعض اللغويين ، ولكن باعتبار آخر ، فجعلوا الحروف الهجائية تسعة وعشرين ، منها الهمزة ، التى تحقق ، أو تجعل حرف لين ، ومن هؤلاء الأزهرى (٢٨٢ - ٣٧٠ هـ) . صاحب التهذيب ، وابن دريد

---

(١) انظر : ص : ٧١ من هذا الكتاب وفيها حديث عن الصلة بين كتابى الفارابى والجوهرى .

(٢٢٣ - ٣٢١ هـ) حين تحدث في مقدمة كتابه « الجمهرة » عن حروف الهجاء ، فقال : إنها تسعة وعشرون حرفا ، مرجعهن إلى ثمانية وعشرين حرفا [١] .

وقسم كل كتاب إلى فصول حسب الحرف الثالث إن كانت المادة ثلاثية ولكنه لم يسم هذه الأقسام فصولا ، واكتفى بمثل قوله : « الألف مع الباء ومايثلثهما » ، « الباء مع العين ومايثلثهما »، وهكذا . ووضع الكلمة الزائدة على ثلاثة أصول بعد المادة الثلاثية المشتركة معها في الحرف الثالث إن وجدت ، فكلمة : « برقع » وضعها بعد كلمة : « برق » ، وكلمة : « عسلوج » يضعها بعد مادة : « عسل » .

فإذا لم تشترك الكلمة الزائدة على الأصول الثلاثية مع المادة الثلاثية الأصول في الحرف الثالث لهما التزم في ترتيبها الحرف الأول فالثاني ، ووضعها في صدر الفصل مثل المواد :

«أذربيجان» وضعها في صدر فصل «الألف مع الذال» قبل كلمة: إذ، و«إصطبل» وضعها في صدر فصل الألف مع الصاد ، وكلمة « بوشنج [٢] » وضعها في صدر فصل الباء مع الواو ، وبعدها كلمة : « الباب » وكلمة « سجستان »وضعها قبل «سجد» في صدر فصل السين مع الجيم، وكلمة: « العسكر » وضعها قبل «عسب» في صدر فصل العين مع السين، وكلمة: «العُصفُر» وضعها قبل كلمة: «العَصَبَة» في صدر فصل العين مع الصاد[٣]. وقد ترجم الفيومي عن رأيه هذا بقوله :

---

(١) انظر الحديث عن ابن دريد : ص ٤١ من هذا الكتاب .

وعلل ابن جني عد (لا) بين حروف الهجاء فقال : « .. لما لم يمكنه الابتداء بالمدة الساكنة ابتدأ باللام ، ثم جاء بالألف بعدها ساكنة ليصح لك النطق بها ؛كماصح لك النطق بسائر الحروف غيرها » ابن جني: سر صناعة الإعراب: ٤٨/١-٤٩. ط. مصطفى الحلبي، ١٩٥٤ .

(٢) بلدة من خراسان بقرب هراة ، وأصلها : بوشنك ، ثم عربت إلى الجيم . المصباح المنير .

(٣) وضع مصحح « المصباح المنير »، الشيخ حمزة فتح الله ، مادة : « عصفر » مرة أخرى بعد مادة : « عصف » ، وقال : « إن ذكره هنا أنسب بقاعدته » . وقد وضح ماذكر في المناقشة مفهوم قاعدته ، ومدى التزامه بها .

« وأما الأسماء الزائدة على الأصول الثلاثة ، فإن وافق ثالثها لام ثلاثي ذكرته في ترجمته نحو« البرقع » فيذكر في « برق » ، وإن لم يوافق لام ثلاثي فإنما ألتزم في الترتيب الأول والثاني ، وأذكر الكلمة في صدر الباب مثل : « إصطبل »[1] .

وهناك أمر هام آخر خاص بنظام وضع المواد حسب أصولها. فمن المعروف في ترتيب المواد المعجمية في اللغة العربية أن تعود إلى أصولها إن تحولت عنها ، فإن كانت عين المادة ألفا منقلبة عن واو أوياء عادت إلى أصلها الواوي أو اليائي في وضعها المعجمي، : فكلمة : « آب » موضعها فصل الألف والواو والباء ، وكلمة : « باع » موضعها فصل الباء ، والياء ، والعين . وإن جهل أصل الألف، ولم تمل، وضع الفيومي المادة في فصل الحرف الأول ، الواو ، لأن العرب ألحقت الألف المجهولة بالمنقلبة عن الواو ففتحتها ولم تملها فكانت أختها ،نحو الخامة [2] والآفة » والمعاجم الأخرى تسير مثل هذه المسيرة .

وخالف الفيومي المعاجم في وضع المواد المهموزة العين ، ورأى أن يلاحظ حركة ماقبلها، فإن كانت كسرة ألحقها باليائية العين ، وإن كانت ضمة ألحقها بالمواد الواوية العين . فكلمة « بئر » وضعها في فصل الباء والياء ، وكلمة : « بؤس » وضعها في فصل الباء والواو ، وكذلك الكلمة المهموزة العين المفتوح ماقبلها .

وكثير من المعجميين راعوا الهمزة غير ملتفتين إلى حركة ماقبلها[3] .

خصائص الكتاب :

من المفيد بعد ماتقدم عرض مادة من مواد « المصباح المنير » ومناقشتها ، والتعرف من خلال هذه المناقشة على خصائص الكتاب ، تمهيداً لوضعه في مكانه من المعاجم العربية . وفي فصل السين والحاء وردت المادة الآتية :

---

(١) مقدمة المصباح : ٢ .

(٢) الغضة الرطبة من النبات .(مختار الصحاح) : وزاد المصباح : والخام من الثياب الذي لم يقصر، وثوب خام غير مقصور .

(٣) انظر : أساس البلاغة ومختار الرازي والقاموس المحيط وغيرها .

(السحر) الرئة ، وقيل مالصق بالحلقوم والمرىء من أعلى البطن ، وقيل هو كل ماتعلق بالحلقوم من قلب وكبد ورئة ، وفيه ثلاث لغات: وزان فَلْس وسَبَب وقفل . وكل ذى سحر مفتقر إلى الطعام ، وجمع الأولى سحور مثل فلس وفلوس ، وجمع الثانية والثالثة أسحار . والسحر بفتحتين قبيل الصبح ، وبضمتين لغة ، والجمع أسحار. والسحور وزان رسول مايؤكل فى ذلك الوقت ، وتسحرت أكلت السحور ، والسحور بالضم ، فعل الفاعل . والسحر قال ابن فارس : هو إخراج الباطل فى صورة الحق . ويقال هو الخديعة . وسحره بكلامه : استماله برقته ، وحسن تركيبه ، قال الإمام فخر الدين فى التفسير : ولفظ السحر فى عرف الشرع مختص بكل أمر يختفى سببه ويتخيل على غير حقيقته ويجرى مجرى التمويه والخداع قال تعالى : « يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى [1] » ؛ وإذا أطلق ذم فاعله ، وقد يستعمل مقيداً فيما يمدح ويحمد ، نحو قوله (عليه الصلاة والسلام) : « إن من البيان لسحرا »، أى أن بعض البيان سحر لأن صاحبه يوضح الشىء المشكل ويكشف عن حقيقته بحسن بيانه فيستميل القلوب كماتستمال بالسحر . وقال بعضهم: لما كان فى البيان من إبداع التركيب وغرابة التأليف مايجذب السامع ويخرجه إلى حد يكاد يشغله عن غيره شبه بالسحر الحقيقى وقيل هو السحر الحلال .

مناقشة :

ليس من الطبيعى أن يوازن ماورد من المادة السابقة فى المصباح المنير بما ورد فى كتب المطولات ، وإنما تصلح الموازنة بماورد فى الموجزات السابقة عليه . وماذكرمع ذلك، فى هذه المادة ، ليس بالقليل ، وماجاء فيها من المناقشات وأساليبها وتنوعها يكفى للحكم على هذا الكتاب ، ويحسن أن نتناول بشىء من الإيضاح بعض هذا الإجمال .

١ - وردت المادة السابقة فى فصل السين مع الحاء ومايثلثهما بعد مادة (سح) وقبل مادة (سحق) ووضعت المادة فى صورة اسم معرف بأداة التعريف ؛ السحر . ولم يلتزم الفيومى وضع المادة ، عندما يبدأ الحديث عنها ، فى صورة معينة ، فقد يضعها فى صورة الفعل متصلا بفاعلـه ومصـدره ، ومفعـولـه المباشـر أو غيـر المباشـر (بوساطة حرف الجر)، وهذا غالب مايصنع ، خاصة إذا غلبت صورة الفعل واستعمالاته؛

---

(١) سورة : ٢٠ - آية : ٦٦ .

مثل :(سبكت) الذهب سبكا من باب قتل : أذبته وخلصته من خبثه ، ومثل : (سجعت) الحمامة سجعا من باب نفع : هدرت وصوتت .

وقد يذكر المادة في صورة المصدر مثل : (التسبيح) . التقديس والتنزيه ؛ أو اسم الذات يضعه في صورة المفرد وهو الغالب ، مثل : (الرصد) : الطريق والجمع أرصاد مثل سبب وأسباب، أو في صورة الجمع ، مثل : (الرعاع) بالفتح : السفلة من الناس ، الواحد رعاعة ، ويقال هم أخلاط الناس .

وقد عالجت الدراسة في هذا الكتاب ، في غير موضع ، نهج المعجمين السابقين واللاحقين في وضع صورة المادة عند بدء الحديث عنها .

٢- ويتتبع الفيومي مشتقات المادة وصورها المستعملة،مثل تسَحَّرْت أكلت السحور، والسُحور بالضم: فعل الفاعل، والسَحور بالفتح وزان رسول: مايؤكل؛ وسحره بكلامه: استماله، والسَّحَر بفتحتين: قبيل الصبح،والسحر مايجرى مجرى التمويه والخداع ..إلخ. وقد ذكر الرازي في مختاره صوراً أخرى من مادة سحَر، لم ترد في المصباح. واعتذر الفيومي مقدما عن مثل هذا الصنيع، بأنه اقتصر على ماهو الأهم ولايكاد يستغنى عنه. ومن المعروف أن الحكم على بعض صور المادة بأهميته، أو بأنه يمكن الاستغناء عنه، نسبي يختلف فيه تقدير الناس،ولكن الاقتصار عليه ضرورة تحتمها طبيعة المعجم الموجز.

٣- وعناية الفيومي بضبط صور المادة تعوز معاجم أخرى ،وقد رسم له خطة اتبعها ، وزاد عليها ، وتتضح بعض معالمها في المادة المقتبسة قبل ، ومن مظاهرها التمثيل بلفظ مشهور : فلفظ : السحر ، فيه ثلاث لغات : وزان فَلْس ، وسَبَب ، وقُفْل : والسحور وزان رسول : مايؤكل .وكذلك في غير هذه المادة ، مثل : الجعبة للنُشَّاب والجمع جعاب مثل كلبة وكلاب ، ومثل : جمرة النار : القطعة الملتهبة ، والجمع جمرمثل تمرة وتمر .

ويلاحظ في هذه الصور ذكر الجموع إن كان للكلمة جمع وضبطها بنفس الطريقة وكثيرا ماينص على نوع الضبط، فيقول: السحر بفتحتين: قبيل الصبح، وبضمتين لغة، السحور بالضم:فعل الفاعل ومثل:الجهد بالضم، في الحجاز،وبالفتح في غيرهم: الوسع والطاقة.وقيل:المضموم الطاقة والمفتوح المشقة. والجهد بالفتح لاغير:النهاية والغاية.وفي الأفعال يمثل بفعل مشهور الضبط فإن ذكره مع مصدره دخل المصدر في التمثيل، وإلا احتاج إلى نص خاص إن دعت الضرورة ، مثل : سخرت منه ، وبه . قال الأزهري ، سخراً من باب تعب : هزئت به ؛ ومثل : سكرت النهر سكراً من باب قتل : سددته،

والسكر بالكسر : مايسد به . وزل عن مكانه زلا ، من باب ضرب: تنحى عنه ، ومثل: زل زللا ، من باب تعب ، لغة، ومثل : سحقت الدواء سحقا من باب نفع ، فانسحق .

ويلاحظ فى هذا المجال أن الفيومى استغنى عن تكرار الضبط إن كان للفظة الواحدة أكثر من معنى أو استعمال ، مثل: أنف من الشيء ، بالكسر: إذا غضب ، وأنف : إذا تنزه . فالفعل فى الاستعمالين بنفس الضبط الذى نبه عليه من قبل .

ولاشك أن العناية بالضبط تفيد الدارسين المبتدئين والناشئين ويقرب الشقة للمشتغلين بالعلم . وقد نبه أبو بكر الرازى إلى أهمية الضبط وجدوى العناية به فقال : « وإن أكثر أصول اللغة إنما يقل الانتفاع بها ويعسر لعلتين : إحداهما عسر الترتيب بالنسبة إلى الأعم الأغلب . والثانية قلة الضبط فيها بالموازين المشهورة ، وقلة التنصيص على أنواع الحركات اعتماداً من مصنفيها بالشكل الذى يعكسه التبديل والتحريف عن قريب، واعتماداً على ظهورها عندهم فيهملونها من أصل التصنيف » .

٤ - ولعل من أهم ماهدف إليه الفيومى من تصنيف مصباحه أن يجلو للقارىء المعنىّ بالتشريع ، المعانى الشرعية والمصطلحات الفقهية، وبعض الأحكام يعرض لها فى يسر وإيجاز. والأمثلة فى كتابه لايحصيها عد . ففى مادة : السحر ، حدد مفهوم السِّحر فى عرف الشرع ، بعد أن مهد له بالشرح اللغوى . فقال : « وسحره بكلامه : استماله برقته وحسن تركيبه . قال الإمام فخر الدين فى التفسير : ولفظ السحر فى عرف الشرع مختص بكل أمر يخفى سببه ويتخيل على غير حقيقته ، ويجرى مجرى التمويه والخداع » ومثل هذه الإشارة لم تعن بمثلها بعض المعاجم ، فلم يشر إليها معجم موجز ، كمختار الصحاح ، ولم يشر إليها معجم مبسوط لاحق كالقاموس المحيط .

وفى مادة : سكر ، حديث طويل ، ونقد طويل لمتأولى النصوص المفيدة تحريم مايسكر ، ومناقشة لغوية ونحوية تعيد الحق وتدحض الباطل .

وعناية الفيومى بهذا الجانب تتفق مع تكوينه الثقافى واتصاله اتصالا كبيرا بدراسة التشريع الإسلامى ، وحرصه على أن يخدم كتاب « الشرح الكبير للرافعى » ، ومن ثم جاء اسم كتابه : « المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير » .

٥ - وتتمثل عنايته بكتاب الرافعى كذلك ، فى أنه أضاف إلى اهتمامه بجلاء المشكلات اللغوية والشرعية ، اهتمامه بجلاء مايعين على فهمها ، بماعرض له من مناقشات صرفية أو نحوية ، أو ذكر طرائف من منقول الأدباء والعلماء .

ولاتعوز القارىء الأمثلة الكبيرة على هذه العناية ، ففى مادة : سوسن ، يقول : « والسوسن : نبات يشبه الرياحين ، عريض الورق وليس له رائحة فائحة كالرياحين .. والعامة تضم الأول ، والكلام فيها مثل جوهر وكوثر، لأن باب فوعل ملحق بباب فعلل بفتح الفاء واللام ، وأما فعلل بضم الفاء وفتح اللام فلايوجد إلا مخففا مثل جندب، مع جواز الأصل ، والأصل هنا ممتنع فيمتنع الإلحاق » .

وفى مادة : شكو، يناقش الفيومى معنى همزة التعدية التى تصير الفعل اللازم متعديا ، ويبين أن معانيها السلب والإزالة ، كأعجم بمعنى : أزال العجمة ، وأشكى بمعنى : أزال سبب الشكوى ، يقول الفيومى : « وأشكيته بالألف : فعلت به مايحوج إلى الشكوى ، وأشكيته : أزلت شكايته ، فالهمزة للسلب مثل أعربته إذا أزلت عربه وهو فساده ، ومنه شكونا إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، حر الرمضاء فى جباهنا، فلم يشكنا أى لم يزل شكايتنا » .

وفى مادة : حوز ، يقول : « والحوزة :الناحية، والحيز : الناحية أيضاً .وهو فيعل ، وربما خفف ، ولذا قيل فى جمعه أحياز، والقياس أحواز ،لكنه جمع على لفظ المخفف ، كماقيل فى جمع قائم وصائم : قيم وصيم على لغة من راعى لفظ الواحد » .

وكثير من أمثال هذه المناقشات لايعنى بها بعض المعاجم .

٦ - وأيد الفيومى قضاياه بالاستشهاد بالقرآن الكريم ، وبحديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وبالمأثور من كلام العرب ، شعرهم ونثرهم . وقد مرت أمثلة كثيرة فى المناقشات السابقة دليلا على هذه الملاحظة . ومن استشهاده بالشعر ماجاء بعد مناقشة، حول تأنيث أو تذكير لفظ « السكين » ، وأن تأنيثه قد يرد فى الشعر ، كماأنشد الفراء : بسكين موثقة النصاب .

وفى مادة : ذوى استدل على استخدام كلمة : « ذات » بمعنى شىء ونفس ، ببيت حكاه ابن فارس هو :

فنعم ابن عم القوم فى ذات ماله ... إذا كان بعض القوم فى ماله كلباً

أى : فنعم فعله فى نفس ماله من الجود والكرم إذا بخل غيره ،ويقول النابغة :

محلتهم ذات الإله ودينهم ... قويم فمايرجون خيرُ العواقب

أى كتابهم عبودية نفس الإله .

٧ - والمعجم لايهمل التعريف بالنبات والحيوان ، في النطاق الذى يسمح به معجم لغوى موجز ، ولايضن عند هذا التعريف بالضبط ، والمناقشة اللغوية ، أو التعرض لبعض قضايا التصريف أو النحو ، أو الاستشهاد بمأثور قديم ، شأنه فى علاج سائر المواد . ومن ذلك تعريفه بالسوسن ، السابق الإشارة إليه فى الفقرة السابقة ، ومثل ماذكره فى مادة : الإجاص ، مشدد : معروف ، الواحدة إجاصة، وهو معرب لأن الجيم والصاد لايجتمعان فى كلمة عربية .

وفي مادة : البير ، قال : البير حيوان يعادى الأسد ، والجمع ببور مثل فَلس وفُلوس . قال الأزهرى : وأحسبه دخيلا وليس من كلام العرب .

وفى التعريف بالببغاء ، يقول : الببغاء طائر معروف، والتأنيث للفظ لاللمسمى كالهاء فى حمامة ونعامة ، ويقع على الذكر والأنثى، فيقال: ببغاء ذكر وببغاء أنثى ، والجمع ببغاوات مثل صحراء وصحراوات .

تقدير الكتاب

ليس عسيراً بعد الدراسة المتقدمة الحكم على معجم « المصباح المنير » ، النماذج اليسيرة التى تقدمت مناقشتها لاتغنى عن ضرورة العودة إليه مرات ومرات . فاهتمام صاحبه باستمداد مواده من المصادر العربية الأصيلة التى أشار إلى بعضها فى خاتمة كتابه ، وأثر هذا الاستمداد ، واضح فى علاج المادة من نواحيها اللغوية ، ومن جوانب الاشتقاق والتصريف والتعليل النحوى والتشريعى المستند إلى آراء العلماء ، المستشهد له بالصفوة المختارة من مأثور اللغة ، وفى قمتها القرآن الكريم ، وحديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، ثم البليغ من سائر كلام العرب .

وإذا كان هذا الموجز لايفى بحاجات الدارسين على تنوع ثقافاتهم ، فإنه يفيد فى بعض جوانبها . ولن يفى أى موجز معجمى آخر بحاجات جميع الدراسين كذلك .

ولكن هذا المعجم قد يكون هاديا عند التصدى لوضع معجم موجز للدارسين فى هذا العصر ، وهو الهدف الذى يسعى إليه مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، وتحاوله العلماء والهيئات المعنية بتيسير المعجم العربى . وقد فطنت « نظارة المعارف العمومية » فى مطلع هذا القرن إلى أهميته ، فنشرته، ووضعته بين أيدى الدارسين .



صاحب «أقرب الموارد»

تمهيد :

أشرنا فيماتقدم إلى أن العصر الحديث وجه العناية إلى اللغة العربية بماوضع علماؤها من معاجم سارت على درب الزمخشرى (٤٦٧ - ٥٣٨ هـ .) فى اختياره الحرف الأول من حروف المادة الأصلية أساسا لتبويب كتابه ، وأن من بين هؤلاء البستانى (١٨١٩ - ١٨٨٣ م .) صاحب « محيط المحيط » .

ونود ألا يفوتنا فى هذا المقام الحديث عن معجم سعيد بن عبدالله بن ميخائيل الخورى الشرتونى [١] الموسوم بـ « أقرب الموارد فى فصح العربية والشوارد » ، مستجيباً بذلك رغبة الآباء اليسوعيين فى لبنان « الذين جذبهم حب هذه اللغة الشريفة ، وعرفان مرتبتها المنيفة ، مع أجنبيتهم عنها، إلى أن يفرضوا تعليمها فى مدارسهم ، وذلك ليأتى الطالب على اللغة ولو مرة فى مدة الطلب ، فتتعرف المعانى فى ذهنه إلى مايليق بها من الألفاظ ، ويتمرس بأساليب اللغويين ، وتتراءى له بلاغة كلامهم » . ولم يجد الآباء اليسوعيون فى كتب اللغويين السابقين مايحقق أغراضهم التربوية ، وذلك لالتزام المؤلفين ذكر ألفاظ السوءات ومايتعلق بها [٢] . وبهذا يستهدف هذا المعجم الجديد غرضاً تهذيبيا بجانب أغراضه العلمية غير العديدة .

ويصرح الشرتونى فى مقدمة معجمه بمصادره التى استقى منها مادته ،فيذكر منها: لسان العرب لابن منظور،والأساس للزمخشرى، والصحاح للجوهرى، ومصباح الفيومى،

---

(١) ولد فى شرتون بلبنان ، وتعلم فى مدرسة عبية الأمريكية ، وعكف على تدريس اللغة العربية فى مدرسة اليسوعيين ببيروت . كتب أبحاثا كثيرة فى المجلات السورية والمصرية (الأعلام) .

(٢) مقدمة المعجم : ٨ .

وقاموس الفيروزابادي ، ومختار الرازي ، ومجمل ابن فارس ، وكتبا أخرى ذكرها في صدر كتابه .

وأراد ألايقع فيما وقع فيه السابقون من اللغويين حين يتحدثون عن الحيوان والنبات فلايوضحون مبهما أو يزيلون غرابة .فلجأ إلى طريقة جديدة بينها بقوله:«واعلم أن أقرب طريقة عندى لتعريف كل نوع من النبات والحيوان هى أن يفسر اسمه فى الصحيح بمايعرف به من الأسماء العامية فى كل طرف من أطراف البلاد العربية، مع ذكر اسمه بالفرنسية، فإن تآليف الإفرنج فى ذلك على غاية الوضوح، لأنهم إذا ذكروا نباتاً أو حيواناً رسموا صورته، وذكروا من أى فصيلة هو، وعددوا أوصافه وخاصياته ومنافعه، كمافعل ابن البيطار، ويستطيع القارىء حينئذ سبيلا إلى معرفة مسمى ذلك الاسم[1]» .

ولاشك أن الاستعانة باللهجات العامية للبلاد العربية ، وبلغة أجنبية دقيقة التعبير والتحديد، ممايسهل مهمة المعجم ، وييسر على الباحث الوصول إلى مايبغى وإن كان ذلك قد أضاف إلى المؤلف عبئاً مضنيا يذكر له بالتقدير .

ويلاحظ أن الشرتونى تصرف فيمانقل من الكتب القديمة بالحذف ، أو تغيير العبارة متى رأى ضرورة لذلك ، وحافظ على الأصل فيما لم تمس الحاجة إلى تناوله بالتعديل. ويقول في هذا :«وقد تحريت المحافظة على عبارات الأقدمين ، والوقوف عند كلام الفحول المقرمين ، ائتماما بمن تقدمنى من علية المؤلفين وثقات المصنفين ، فهم أرحب منا فهما لمعانى كلام العرب، لمكان مشافهتهم وأعلى يداً فى تفسيره لموضع مخالطتهم ومعاشرتهم.[2] »

وعدل الشرتونى عماكان قد اعتزمه من الاقتصار على المشهور الشائع وهجر مايقل دورانه على الألسن أو عزف الأدباء والكتاب عنه . دعاه إلى هذا ماقصد إليه من وفاء كتابه بحاجات الناس جميعاً، وتلبية رغبات الباحثين ،خاصة عندما رأى فى بعض مطبوعات الكاثوليكية من كلام العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام ما لا ذكر له[3]؛ ومن

---

(١) مقدمة المعجم : ٩ .

(٢)مقدمة المعجم : ٧ .

(٣)أقرب الموارد : الخاتمة : ٤ : ١٥٠ .

ثم نجد الشرتونى يستشهد بكلام الأقدمين . وماأثر من مذخورهم .

وصدر الشرتونى معجمه بمقدمة وسبعة مقاصد تحدث فيها عن نهج الكتاب وما ارتضاه من تنظيم رجا منه فائدة الدارس .

وقسم الشرتونى كتابه قسمين ، أولهما فى مفردات اللغة الصرفة . والثانى فى المصطلحات العلمية والكلام المولد والأعلام . وللكتاب ملحق أطلق عليه اسم « الذيل » ضمنه ثلاثة مقاصد تحدث عنها فى مقدمة كتابه فقال : الأول : ماكنت قد أهملته وذهلته من الكلام الوارد فى كتاب أهل اللسان . والثانى : كل مانذّ عن التدوين مما أفلتته أقلام العلماء من أصحاب هذا الشأن ، وهو الضوال [1] التى من الله على باستدراكها على المتقدمين فى العلم والزمان . وقد استخرجها المؤلف من تصانيف البلغاء ودواوين الشعراء، ومن كتب اللغة التى عنيت بأمثال هذه البحوث . والثالث : إصلاح ماأدب إليه الاطمئنان إلى القاموس وغيره من الأغلاط اللغوية . وقد ضمن الشرتونى هذا البحث جدولا مطولا يشتمل على بيان الأغلاط التى وقعت فى معجمات المتقدمين مع إصلاحها، اعتماداً على مانقله من الثقات من أهل اللسان .

وقد طبع القسم الأول من أقرب الموارد مع الذيل فى جزءين يضمان ألفا وخمسمائة صفحة سنة ١٣٠٧ هـ - ١٨٨٩ . بمطبعة مرسلى اليسوعية ببيروت .

خصائص الكتاب :

يضيف هذا الكتاب إلى المكتبة المعجمية زاداً جديدا قيما سهل التناول عظيم النفع ، أفاد من تجارب اللغويين قبله ومن أعمالهم ، كما أفاد من اتصاله بالدراسات الأجنبية الحديثة ، فجاء كتابه جامعا لخير القديم والحديث . ويبدو هذا بالعودة إلى الكتاب وفحصه ، ونستطيع أن نعرف ببعض خصائصه فيمايلى :

١- قسم الشرتونى معجمه أبوابا حسب الحرف الأول من حروف المادة الأصلية، فباب الهمزة للكلمات المبدوءة بهمزة أصلية ، وباب الباء للمواد المبدوءة بالباء ، وهكذا. وقسم كل فصل حسب الحرف الثانى من حروف المادة الأصلية ، ورتب المواد فى كـــــل

---

(١) جمع ضالة : الشاردة .

فصل حسب الحرف الثالث، فالرابع فالخامس إن كانت المادة ثلاثية أو رباعية أو خماسية على التوالى .ومع اتصال الشرتونى بالمعاجم الأوربية ، واختيار ترتيب كلماتها ترتيبا يخضع لهجائها ، اختار الشرتونى العودة بالكلمات إلى أصول موادها ، اغتناماً لمافطن إليه اللغويون العرب من الصلة القوية بين أصل المادة ومشتقاتها وسائر صورها من جهة ، وللرابطة التى تربط أصل المادة بسائر فروعها وصورها المنبثقة منها بطرق التنمية اللغوية المعروفة فى العربية : الاشتقاق وغيره ، من جهة أخرى . ولأن اختيار نهج اللغويين العرب يعين فى الحفاظ على حجم الكتاب المعجمى وصورته ، إذ يحول دون اضطرار الكاتب إلى تكرار الحديث عن المعنى الواحد فى أكثر من موضع تبعاً لكثرة المشتقات المنبثقة من أصل واحد وتعددها ، ودلالتها على ظلال أو صور لمعنى واحد .

ويلاحظ أن الشرتونى قدم لكل باب بالحديث عن الحرف المعقود له الباب ، ففى باب الهمزة ، تحدث عن أقسامها لينة ومهموزة ، وعن موقعها من الحروف الهجائية، واستعمالاتها المختلفة ، وتصرفاتها فى كل استعمال .

وقد فعل ذلك من قبله من أصحاب المعاجم الحديثة بطرس البستانى (١٨١٩ - ١٨٨٣ م .) فى كتابه « محيط المحيط » وزاد عليه أنه كان يعرض لذكر أسماء الحرف فى اللغات السامية . وصنع ذلك الصنيع من بعده : « المعجم الكبير » الذى يصدره المجمع اللغوى بالقاهرة .

٢ - ووضع الشرتونى المادة التى يتوخى شرحها فى بدء السطر بين نجمين * ..* ، ووضع فروعها بين قوسين (..)، وأكثر مايكون ذلك فى بدء سطر جديد إلا إذا كانت متصلة بكلام قبلها .

ولاشك أن هذا التنظيم مفيد، وأنه ثمرة اتصال الشرتونى ودرايته بالمعاجم الإفرنجية.

٣ - عنى الشرتونى بضبط مواد معجمه ، واستفاد من كتب المعجميين السابقين ونهجهم فى الضبط ، وكذلك استفاد من رموز الشكل للكلمات العربية ، وضم النهجين بعضهما إلى بعض ، فضبط الألفاظ بالقلم بجانب النص على نوع الضبط .

فإذا ذكر اسما وعقبه بقوله : « بالضم » ، نحو : (الذرعة) بالضم ، فالضبط لأول الاسم ، وإذا عقبه بقوله : « بالتسكين »، كان الضبط للحرف الثانى ، لأن العربية

لاتبدأ بساكن .وإذا عقبه بقوله : « بالتثليث » أو بقوله « مثلثة »، فذلك إشارة إلى أن في أول هذا الاسم ثلاث لغات . مثل : (الطحمة) مثلثة ، من الوادي . والسيل : دفعته ومعظمه . فحرف الطاء من هذه الكلمة فيه لغات الضم والفتح والكسر .

وإن ذكر الاسم ، وقال بعده : « بالتحريك » أو : « بمحركة » ، كان المراد فتح الحرفين الأول والثاني ، مثل : (السُّحر) ، محركة : قبيل الصبح ؛ ومثل : (الشبَر) محركة : مثل الخبْط والخبَط والنَّفْض والنَّفَض. فبالسكون مصدر وبالتحريك اسم العطية والخير . ومثل : (الشبث) محركة : العنكبوت ودويبة كثيرة الأرجل من أحناش الأرض ج شبثان وأشباث .

وكذلك يضبط أحيانا الحرفين الأول والثاني من الاسم بمثل قوله : بضم ففتح ، أو بفتح فكسر ، أو بفتح فضم ،أو بضمتين، أو بكسرتين .

وإن كانت الكلمة رباعية وعقبها بقوله:«بالتثليث»، كان الضبط لأولها وثالثها، مثل: (الطحربة) مثلثة : القطعة من الغيم، ومن الثوب. وقيل خاص بالجحد : يقال : «ماعلى فلان طحربة » : أي قطعة خرقة « مافي السماء طحربة » :أي شيء من غيم .

وكذلك يضبط الحرفين الأول والثالث من الكلمة الرباعية بمثل قوله : « بالضم ،أو بالفتح ، أو بالكسر » ، إشارة إلى اشتراكها في الحركة .

وكثيرا مايجمع بين الضبط والتمثيل بلفظ مشهور، مثل : (الطُّحلُب) كقنفذ وجُندَب وزبرج : خضرة تعلو الماء المزمن ، والقطعة طحلبة ، ومثل : (الضحضح) كجعفر : الماء اليسير .

٤ - واهتماماً بضبط الفعل الثلاثي، استخدم الشرتوني رموزا لضبط أبوابه الستة وهي :

الباب الأول : باب نصر ينصر بفتح عين الفعل الماضي وضم عين الفعل المضارع، ورمز له بالحرف (ن) .

الباب الثاني : باب ضرب يضرب ، بفتح عين الفعل الماضي وكسر عين الفعل المضارع، ورمز له بالحرف (ض) .

الباب الثالث : باب قطع يقطع ، بفتح عين الفعل الماضى والمضارع ، ورمز له بالحرف (ع) .

الباب الرابع : باب علم يعلم ، بكسر العين فى الفعل الماضى وفتحها فى الفعل المضارع ورمز له بالحرف (ل) .

الباب الخامس : باب كرم يكرم ، بضم العين فى الماضى والمضارع ، ورمز له بالحرف (ر) .

الباب السادس : باب حسب يحسب، بكسر العين فى الماضى والمضارع ورمز له بالحرف (س)

ويلاحظ أن الشرتونى لم يتبع فى اختيار الرموز السابقة موقعاً واحداً ، فقد اختار الحرف الأول أحيانا : (ن ، ض) كما اختار الحرف الأخير فى الباب الثالث : (ع) والحرف الأوسط فى الأبواب الرابع والخامس والسادس :(ل ، ر ، س) ، وكان الأولى أن يوحد أساس الاختيار .

٥ - من أهم ما يرى فى هذا المعجم أن الشرتونى بدأ بالحديث عن الأفعال فى المواد التى ترد من أصولها الأفعال والأسماء . ففى مادة : ط ر ز ، يتناول الفعل، لازمه ومتعديه . ومجرده ومزيده ، ثم يتناول الصفات والأسماء المتصلة بأصل المادة . وكذلك يصنع فى سائر المواد .

وليس ضرورياً أن يبدأ من الأفعال بلازمها أو متعديها ، فإن الضابط لديه أمر آخر هام هو وزن الفعل الثلاثى ، يجعله مفتاحا لحديثه. مثال ذلك مادة : ش ب ر ، فقد جاء حديثه عنها كما يلى :

* شَبَرَ * الثوب وغيره ن ض شَبْراً : كاله بالشبر، وهو مأخوذ من الشِّبْر كما تقول ذرعه من الذراع و - فلاناً مالا وسيفاً : أعطاه إياه .

(شَبِرَ) الرجلُ ل شَبَراً : بَطِر .

فبدأ فى المثل السابق بالفعل المتعدى : شَبَر الثوبَ ، لأنه يرد بوزن نصر وبوزن ضرب . وأخر الحديث عن الفعل اللازم لأنه يرد من باب علم ، وهو متأخر فى ترتيب

الأبنية المختار لديه بعد وزني نصر وضرب . وفي مادة ش ب م ، يقول :

* شَبَمَ * الجدْيَ شَبْماً : جعل الشِّبام في فمه .

(شبِم) الماء شبما : برد

وفي مادة : ش ت ر ، يقول :

شَتَرَ الشيءَ ض شَتْراً : قطعه . و - عينه : قلب جفنها .

(شتر) الشيء ل شتراً : انقطع .

وفي مادة : ش رر ، يقول :

* شرَّ * اللحم والأقط والثوب ن شَراً . وضعه على خصفة أو غيرها في الشمس ليجف .

وفلاناً : عابه وازدرى به . و - الرجل : زاد شره .

(شرَّ) الرجلُ ن ض ل ر شَراً : أتى منه الشر . و - اتصف بالشر .

وفي مادة : ب ك ي ، يقول :

* بكى * يبكي بكاء وبُكى: سال الدمع من عينيه حزناً، فهو (باك ج بكاة وبُكيٌ).

(بكاه) يبكيه ض بُكاء: بكى عليه ورثاه. وبكت السحابة في أرضهم صبت ماءها.

وفي المثال الأخير يبدأ بالفعل اللازم ثم يعقبه بالمتعدي، على غير ماصنع في الأمثلة السابقة عليه .

والشرتوني يلتزم في إيراد الأفعال أسبقيتها في ترتيبها من الأوزان التالية :

فعَل (بفتح العين) فعِل (بكسر العين) فعُل (بضم العين) .

ثم فعَّل، فاعل، أفْعل، افعلَّ، تفعل، تفاعل، انفعل، افتعل ، افعالَّ ، استفعل .

وكذلك يصنع مع الأسماء ، ويمكن أن يلاحظ الترتيب الآتي بعد ، في حديثه عنها .

فعل (بفتح فسكون) ، فعل (بكسر فسكون) فعل (بضم فسكون) فعل (بفتحتين) فعل (بفتح فكسر) فعل (بكسر ففتح) ، فعل (بكسرتين) فُعُل (بضمتين) ، فُعَل (بضم ففتح) .

وكذلك يلتزم الترتيب في المزيد فيذكر المزيد بحرف ثم المزيد بحرفين ، ثم المزيد بثلاثة، في الأفعال والأسماء .

٦ - يذكر الشرتونى الصيغ المقيسة أحيانا ، مثل : اسم المرة ، والنوع ومصادر ما فوق الثلاثى ، وجمع السلامة بقسميه للاستئناس ، وكثيرا مايغفل ذكرها للعلم بطريقة أخذها ، دأب بعض اللغويين .

٧ - وعرف بالأعلام فى إيجاز حتى لايلحق المعجم بكتب التراجم ، مثل : سيبويه : لقب لعمرو بن عثمان الشيرازى إمام النحاة. ومعنى سيبويه رائحة التفاح . ومثل: ذو السهم لقب معاوية بن عمرو الضّبى، ومثل: المرقشان: شاعران : المرقش الأكبر عمرو بن سعد ، والمرقش الأصغر ربيعة بن حرملة .

كذلك عرف بالنباتات والحيوان والأماكن والمعادن . وبعض هذا التعريف يحتاج إلى وفاء بما وعد به فى مقدمة كتابه: من اللجوء إلى مايقابل هذه الأسماء فى اللغات الأجنبية، ومن ذلك: السَيذاق : شجر ذو ساق قوية قشره حراق ، ورماد خشبه المحروق يبيض به غزل الكتان ، ومثل : السِّيسنْبَر : الريحانة التى يقال لها النمام ، جرى فى كلامهم وليس بعربى صحيح .

٨ -ونبه الشرتونى على الدخيل والمعرب ، وذكر مايقابلها من لغاتها الأصلية مثل : السَّنْبوسق والمشهور بالكاف : مايحشى بقدر اللحم والجوز ونحوه من رقاق العجين المعجون بالسمن أو الشيرج ، فارسيتها سنبوسة ، الواحدة سَنْبوسَقَة ومثل : السُنج ، بضمتين : العناب . معرب، سنجة الميزان مايوزن به كالأوقية والرطل ، معرب سنكة بالفارسية، ويقال : صَنْجة بالصاد ، وبالسين أفصح ج سَنَجات . ومثل السنْدَرُوس : صمغ شجر أو معدن شبيه بالكهرباء يجلب من نواحى أرمينية وهو من الأدوية الجبلية وربما وضع شىء منه فى الحبر لإصلاحه . دخيلة .

٩ - من مظاهر الاختصار فى هذا المعجم غير ماسبقت الإشارة إليه فى الفقرة الرابعة، أنه استعاض عن تكرار الكلمة المفسرة لإفادة معنى جديد ، بوضع خطيط عرضى يتوسط حرف العطف والتفسير الجديد . وقد اقتبس منه هذا الرمز صاحب «المنجد» وأشار كذلك بالرمز ج إلى الجمع ، وبالرمز جج إلى جمع الجمع ، مثل الشَّبث، محركة : العنكبوت. ودُويبة كثيرة الأرجل من أحناش الأرض ج شبثان وأشباث .

١٠ - كثيراً مايستشهد الشرتونى لتأييد معنى الكلمة المفسرة بالقرآن الكريم

وبالحديث الشريف ، ومأثور كلام العرب : شعر ونثر ، غير ملتزم بما ورد فى عصور الرواية ، كما كان يلتزم ذلك السابقون من اللغويين . ويضع الشرتونى مايستشهد به بين علامتى تنصيص « » ومن استشهاداته ماجاء فى مادة : رف ت قال : وفى القرآن « أإذا كنا عظاما ورفاتا أإنا لمبعوثون خلقاً جديداً [1] » ومن استدلاله بالحديث الشريف ماجاء فى مادة : ر ق ع ، قال : وفى الحديث « لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة » وفى مادة : ر غ ب استدل بقول المتنبى .

فتى علمته نفسه وجدوده قراع العوالى وابتذال الرغائب

تقدير الكتاب :

لقد أدى هذا المعجم خدمة جليلة فى الميدان اللغوى ، وتلقاه العلماء والدارسون بترحيب شديد ، وتناولوه بالإطراء والثناء ، كماوجهوا إلى بعض مافيه شيئا من النقد. وذلك أن اللغويين الحريصين على حفظ التراث اللغوى وصيانته عن أن يختلط بالألفاظ المولدة والتعبيرات العامية لم يرق فى عيونهم مالجأ إليه الشرتونى من ذكر مايقابل أسماء النبات والحيوان من اللهجات العامية فى البلاد العربية ، ومن هؤلاء الأب أنستانس الكرملى اللغوى .

ولكن هذا النقد لايطغى على المزايا الكثيرة التى يراها قارىء المعجم ، والتى أعجب بها كثير من العلماء ، ووفوها حقها من الثناء والتقدير .

(١) سورة الإسراء الآية : ٤٩ . وقد وردت الآية الكريمة فى معجم الشرتونى محرفة ، ولم يصوب الخطأ فى ثبت التصويب ، فلزم التنبيه .



تمهيد :

اتصلت سلسلة البحوث اللغوية واستمرت الرغبة في تقديم الصالح من المعاجم للدارسين فوضع الأب معلوف اليسوعى [١] (١٨٦٧ - ١٩٤٦م) كتابه : « المنجد » وقدمته المطبعة عام ١٣٢٦ - ١٩٠٨ م . واستعان فيه المؤلف بما تقدمه من المعاجم، واعتمد أكثر الاعتماد على « محيط المحيط » لبطرس البستانى [٢] (١٨١٩ - ١٨٨٣ م) واستفاد منه كثيراً . كمارجع إلى « تاج العروس من جواهر القاموس » للسيد محمد مرتضى الحسينى (١١٤٥ - ١٢٠٥ هـ) وغيره من كتب اللغة .

وتتلمذة لويس معلوف على المعاجم القديمة ثم صلته بالدراسات الأوربية الحديثة ، كونت لديه منهاجا حاول أن يسير عليه ، فاهتم بالقديم وأضاف إليه تنظيم ورسوم المحدثين : هذا إلى غرض آخر كان نصب عينيه منذ البدء ، وهو أن يجعل معجمه صالحا لتداول الناشئين ، فأغفل تسجيل « مايمس حرمة الآداب من الكلمات البذيئة التى لايضر جهلها وقلما أفاد علمها » .

---

(١) ولد فى زحلة بلبنان ، وتعلم فى بيروت وأوربا واشتغل بالتحرير فى جريدة البشير زمنا يبلغ ثلاثين سنة .

(٢) بطرس بن يونس بن عبدالله البستانى . ولد فى « الدبية » من قرى لبنان ، وتعلم بمدرسة « عين ورقة » وأتقن اللغة والمنطق واللغات السريانية واللاتينية والإيطالية وله كثير من المؤلفات ،. ومن أعظم آثاره : دائره معارف البستانى : أصدر منها سبعة أجزاء. وأكمل أبناؤه وابن عمهم « سليمان البستانى» أربعة أجزاء أخرى . الزركلى : الأعلام .

ومادة الكتاب قريبة المأخذ ، سهلة التناول ، ميسرة الانتفاع بها ، مع إيجاز غير مخل، ووفاء غير ممل .، وقد عاد الأب لويس إليها ، كلما شرع فى إعادة طبع كتابه ، بالتنسيق والتنظيم والتهذيب والزيادة ، وإضافة المزيد من الرسوم والصور الموضحة حتى بلغت نحو ألف رسم وصورة ، وقدمها للمطبعة لتصدرها فى حجم يسمح بتداولها ، ويغرى بالاستفادة بها .

نهج الكتاب وخصائصه :

يسير هذا المعجم على نهج الزمخشرى (٤٦٧ - ٥٣٨ هـ) فى كتابه : « أساس البلاغة » فينظم المواد حسب الحرف الأول فالثانى فالثالث من حروفها الأصلية . ويقول لويس اليسوعى فى توضيح هذا المنهج: « ... فإذا كانت (الكلمة) مجردة ، فاطلبها فى باب أول حرف منها، وإن كانت مزيدة أو فيها حرف مقلوب عن آخر ، فجردها أو ردها إلى الأصل » وبهذا لاينفصل لويس معلوف عن نهج الأقدمين فى رعايتهم أصل المادة ، وتنظيم معاجمهم وفق حروفها ، رغم اتصاله بمعاجم الأوربيين واستفادته منها .

وكذلك لم ينفصل عن تنظيم من سبقه ، حين قسم كتابه أبوابا بعدد حروف الهجاء الثمانية والعشرين .

ومن المفيد أن نورد هنا نموذجا من كتابه ، يبين من مناقشته خصائص هذا المعجم وأهميته للدارسين .

مادة : س ب ط :

جاء فى المنجد :

■ (سبطَ - سَبْطاً) وسَبَطاً وسبُوطاً و (سُبطَ - سبُوطة وسباطةً).

الشَّعْرُ : سهل واسترسل وهو ضد جعد .

[سبُط - سبَاطةً] المطرُ : كثر واتسع .

[سبُط - سبَطًا] : أصابته سباط أى الحمّى .

[سبَّطت] الناقة أو النعجة : ألقت ولدها لغير تمام أو قبل أن يتبين خلقه فهى [مُسَبِّطَ]

[أسبْط] : سكت خوفا . ضعف ، وقع فلم يقدر أن يتحرك - بالأرض : لصق بها - في نومه : غمُض - عن الأمر : تغابى عنه .

[السبط] : ولد الولد ويغلب على ولد البنت مقابل الحفيد الذى هو ولد الابن .

- منَ اليهود: كالقبيلة من العرب ج أسباط .

[السبْـط والسمَط] من الشعر : نقيض الجعد. السّبْط من المطر : الغزير ج سباط يقال « هو سَبط اليديَن أو سبط البنان » أى كريم . و « سبْط الجسم » أى معتدل القوام حسن القدّ .

[السّبط] الرطب من النصى : نبات كالدخن واحدته [السّبطة] .

شعر سَبَط : غير جعد . السَّبط أيضا : الشجرة لها أغصان كثيرة وأصلها واحد .

[سبَاط] كقطام الحُمّى .

[سُباط] ويقال أيضا شُباط شهر : بين كانون الثانى وآزار أيامه ٢٨ . وفى السنة الكبيسة ٢٩ وهو يصرف ويمنع من الصرف .

[السُباطة] مايسقط من الشعر إذا سُرح . الكناسة تطرح فى فناء البيت .

الموضع الذى تطرح فيه الأوساخ .

[السابوط] : دابة بحرية .

[السَاباط] : سقيفة بين دارين تحتها طريق ج سوابيط وساباطات .

[السّبطَانة] : قناة كالقصبة يرمى الطير بحصاة توضع فى جوفها .

المناقشة :

١- يلاحظ فى المادة السابقة أنها وضعت بين هلالين ، سبقتهما نقطة مربعة الشكل دليل أصالة الكلمة فى العربية ، وأنها ليست دخيلة عليها .

أما الكلمات الدخيلة على العربية ، فقد رمز لها المعجم بنقطة مستديرة . توضع قبل الهلالين . مثال ذلك مادة : نارجيل ، فقد رسمها المعجم هكذا :

● (النارجيل والنأرجيل) : الجوز الهندى . الواحدة نارجيلة .

ومثل : ● (الجنزار والجنزير) تحريف زنجار وزنجير وهو الخضرة التى تعلو النحاس.

٢ – وبين الهلالين وضع المعجم أصل المادة ، مجردة فى صورة الفعل الماضى. وهذا دأبه فى المواد المشتقة منها أفعال .

أما فروع المادة التى يعرض لها بالشرح والتفسير ، فيضعها فى أول السطر ، بين قوسين معقفين [ ] . ولاشك أن فى هذا تيسيراً للقارىء يفيد فى تنظيم المعجم الحديث . ويلاحظ أنه وضع النقطتين : ، عندما بدأ الشرح ، وبعد استيفاء بعض الصور، أو المصادر المتصلة بالفعل الموضوع بين الهلالين .

وهو لايضع الفعل وحده ، وإنما يضعه فى تركيب موجز ، يمهد للمعنى التالى له، فإن تغير استعماله أو تغيرت صورة الفعل ، نبه على ذلك ، مثل : سبط الشَّعْر : سهل واسترسل ، وسبُط المطر : كثر واتسع . وهذا التركيب الموجز يخدم أكثر من غرض ؛ فهو يشير كذلك إلى لزوم الفعل ، أو احتياجه إلى المفعول به أو أية مكملات أخرى ، فالفعل : « سَبِط» لازم غير محتاج إلى المكملات ، والفعل : « نقل » متعد ، يحتاج إلى المكملات : « نقل .. الشيء : حوله من موضع إلى موضع» و « جهد .. فى الأمر : جد وتعب ، وجهد بالرجل : امتحنه » .

٣ – ويلاحظ كذلك أنه استوفى مصادر الفعل : سَبِط ، وكذلك الفعل : سَبُط . وهذا دأبه فى كتابه .

٤ – وينبه على وزن الفعل بالشكل ، فالفعل : سَبِط بكسر العين ، يأتى مضارعه بفتح العين ، ويشير إلى ذلك بوضع خط صغير فوقه فتحة (-َ) : (سَبِط – سَبْطا) وسَبَطا وسبُوطا . والضبط بالشكل وإن كان مغنياً فى المعجمات الموجزة ، يتطلب عناية بالغة ممن يقومون على نشرها ، ويستنفد لذلك كثيراً من الجهد .

٥ – التزم المنجد أن يبدأ فى شرح المادة بالأفعال : مجردة ، ثم مزيدة ، ويعقبها بالأسماء : مشتقة ، وجامدة ، مجردة ثم مزيدة كذلك ، ويرتب المزيدات ، فيبدأ بالمزيد بحرف ، ثم حرفين ، ثم بثلاثة ، كما يرى فى مادة : سبط السابقة فقد ذكر الأفعال : سبُط (مجردا) ، ثم سبّط / أسبط ، وفى مادة : نقل ، ذكر الصور الآتية : نَقَل / نَقّل / ناقل / أنقل / تنقل / انتقل .

وفى الأسماء من مادة : نقل ذكر مايلى :

الناقل / الناقلة / النقال (مصدر ناقل) النقّال / النَّقْل / النَّقِل / النَّقْلة / النُّقْلة / النقْلة / النقيل / النقيلة / المنقَل / المنَقَلة .

٦ – عنى المنجد بذكر الجمع فى الأسماء ، وهو يشير إليه بالرمز ج ، مثل : السبط

من المطر : الغزير جـ سباط ؛ ومثل : الناقل جـ ناقلون ونقلة .
ومثل : البرعم والبرعمة جـ براعم ، والبرعوم والبرعومة جـ براعيم .
٧ - واستخدم المنجد كثيرا من الرموز ، رغبة فى الاختصار ، هى :

فا	=	اسم الفاعل	مع = معروف
مفع	=	اسم المفعول	هـ = المفعول به
جـ	=	الجمع .	ـَ = تعنى أن عين المضارع مفتوحة
جج	=	جمع الجمع	ـِ = تعنى أن عين المضارع مكسورة
مص	=	المصدر .	ـُ = تعنى أن عين المضارع مضمومة
م	=	المؤنث	ـَـِـُ = تعنى أن عين المضارع يجوز فيها الفتح والكسر والضم .
مث	=	المثنى	

٧ - لم يشأ صاحب المنجد ، وقد صرح بأنه لن يعنى دائما بذكر المقيس من الصيغ كاسم المرة واسم النوع ، أن يترك القارىء دون أن يعرفه بأحكامها القياسية ، من ذلك حديثه عن مزيدات الأفعال ، وعن الأسماء المشتقة من لفظ الفعل ، وهى : المصدر ، واسم المرة ، واسم النوع ، واسم المكان والزمان ، واسم الفاعل ، واسم المفعول ، والصفة المشبهة، وأفعل التفضيل، وأمثلة المبالغة ، وخص كلا منها بشىء مجمل من الضوابط، كما تحدث عن الصفة والموصوف وحالاتهما من حيث التذكير والتأنيث والتثنية والجمع ، وتحدث عن أحكام النسبة ، والتصغير ، والإبدال ، وقواعد كتابة الهمزة .

تقدير الكتاب :

تقبل الدارسون هذا الكتاب بكثير من الرضا والإقبال بنظامه المعجمى ، ويسره ، وأعجبوا بماقبس من المعاجم الأوربية ، ومن تيسيرات الطبعة الحديثة ، حين أستخدم الرسوم والصور مستعيناً بها على توضيح المعانى ، ونماذج لرسوم الفن العربى ، والخطوط العربية ، وللإنسان والحيوان والطيور ، والأشجار والنبات ، والأسلحة ، وآلات الطرب ، وغيرها مما يرى نظيره فى المعاجم الأوربية الحديثة .

وقد أضاف الأب لويس للمعجم فصلا صغيراً تحدث فيه عن أشهر المعجمات العربية، وآخر جمع به طائفة من الأمثال مرتبة ترتيباً أبجدياً ،وأطلق عليه اسم : فرائد الأدب ؛ هذا إلى فهرس للصور والرسوم الواردة بالكتاب .

وفى الطبعة الجديدة الصادرة فى شباط (فبراير) من عام ١٩٥٦ م قسم آخر ألحقه به : « الأب فردينان توتل اليسوعى » ، وسماه : « المنجد فى الأدب والعلوم » ، عنى فيه بالترجمة لطائفة من أعلام الشرق والغرب ، وزينه بكثير من الصور واللوحات والخرائط الملونة . ويقول واضعه إنه ألفه تحقيقا لرغبة الأب لويس معلوف ، الذى كان قد اعتزم الوفاء بها ، ولكن ظروفا حالت دونه .

وبهذا صار « المنجد » بقسميه عملا هاما بين يدى الدارسين ، ويضاف إلى ماتكسبه المكتبة العربية كل يوم من ألوان الدراسة والإنتاج الجزيلة النفع .



المعجم الكبير

تمهيد :

استمرت وستستمر إن شاء الله، الجهود التى يبذلها العلماء العرب وغيرهم من المستشرقين المعنيين باللغة العربية ودراستها؛ نذكر منهم:«فراى تاج G. W Freytag الذى وضع معجما عربيا لاتينيا فى أربعة أجزاء ، أعوام ١٨٣٠ - ١٨٣٧ م [١] و«كزيمرسكى de Biberstcin Kazimirski الذى كتب قاموساً عربياً فرنسياً فى باريس سنة ١٨٦٠م .[٢] وفيشر August Fischer (١٨٦٥ - ١٩٤٩ م)[٣] الذى حاول أن يرسم الطريق لوضع معجم عربى تاريخى منظم للغة العربية يسد النقص الشاغر فى المكتبة اللغوية، ويفى بحاجات العلماء ، ويخضع للمناهج العلمية الحديثة . وألقى فيشر بثمار جهوده الأولى بين يدى مجمع اللغة العربية بالقاهرة[٤]، فعنى بها، ونشرها لتكون موضع دراسة العلماء ، وتذكرة ودعوة لإتمام هذا العمل الهام. واستفاد المجمع من منهج فيشر فى هذه المحاولة ومن جهود أعضائه ، فبدأ بوضع المحاولة الأولى والأساس المرتقب « للمعجم الكبير » وأصدر القسم الأول [٥] من الجزء الأول منه فى ٢٢ صـــن

---

(١) فيشر : المعجم اللغوى التاريخى : ٦ .

(٢) فيشر : المعجم اللغوى التاريخى : ٧ .

(٣) مستشرق ألمانى . ولد فى هاله، كان أستاذ اللغات الشرقية فى ليبزج وأنشأ بها مجلة للاستشراق سنة ١٩٢٤م . وكان بين مؤسسى مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، واشترك مع زملاء له فى وضع المعجم العربى الحديث (المنجد فى العلوم والآداب، بيومى مذكور : المجمع اللغوى) .

(٤) التقرير الرسمى الذى قدمه فيشر وأقره المجمع . المقتطف: مارس ١٩٤٩م. معجم فيشر: مقدمة وغوذج منه سنة ١٩٥٠م ، فيشر، المعجم اللغوى التاريخى ١٩٦٧م .

(٥) يضم هذا القسم ٤٢٨ صفحة من القطع الكبير ، عدا فهارس قيمة تستغرق ٦٠ صفحة ، ومقدمة تقع فى ثمانى صفحات. وقد تحدث عن مواد حرف الهمزة وانتهى منها بمادة: أخى. (طبعته المطبعة الأميرية بالقاهرة) .

جمادى الثانية سنة ١٣٧٥ هـ . (الموافق ٥ فبراير سنة ١٩٥٦م) ، وأذاعه بين جميع المهتمين بالشئون اللغوية ، متطلعا أن يعنوا بدراسته، وإبداء ما يرون بشأنه، حتى يعمل المجمع على إصداره فى الصورة العلمية المرجوة .

وقد رسم المجمع الخطوط الأساسية لتصنيف هذا المعجم ، ورأى ألا يقف فى تسجيل الثروة اللغوية عند الحدود الزمنية التى وقف عندها الأقدمون ، وتحاشوا أن يتخطوها، وقرر أن يسجل كل ما أثمرته الحضارة العربية فى شتى الميادين ، وأن يعتد بالأجيال الكثيرة التى تكلمت اللغة العربية وكتبتها منذ عصورها الأولى حتى عصر تسجيل المعجم . فبينما نرى قدماء اللغويين لا يحتجون بموروث اللغة بعد عصور الاحتجاج التى رأوا أن اللسان العربى قد فسد بُعيدها ، نجد المجمع اللغوى يحرص على هذا التراث ويتمسك به ، فإنه ثمرة فلسفات وثقافات وخبرات وتجارب لها حسابها فى تاريخ الأمة العربية .

وكان من الضرورى أن يضع المجمع بعض القيود عند تسجيل هذه الثروة، فإن الألفاظ والمصطلحات الخاصة بفرع معين من المعرفة ، والتى يقصر تداولها على جماعة من أصحاب هذا العلم أو الفن ، ليس فى عزلها من المعجم العام المتداول بأس ، بل إن من المفيد أن تخصص لأمثال هذه الألفاظ والمصطلحات معاجم علمية أو فنية خاصة . ويقول المجمع فى هذا الصدد : « ومع ذلك ، فلا ينبغى أن تنتظر أن تجد فى هذا المعجم كل ما تحتاج إلى فهمه من الألفاظ ، فليس هو معجماً علمياً ، ولن يأخذ من مصطلحات العلوم على اختلافها إلا ما يشيع بين المثقفين ويصبح جزءا من اللغة العامة، لغة الكتابة والكلام . وليس هو معجما للتاريخ ولا للجغرافيا، وإنما يسجل من الأعلام والأحداث وأسماء الأماكن ما ليس من تسجيله بُد لفهم النصوص الأدبية والتاريخية على اختلافها »[١] . وقد بر المجمع فنشر ، ولا يزال ، الألفاظ والمصطلحات التى يتفق المجمع على صلاحيتها ، ويقر تداولها فى الاستعمال العربى ، فى كتب خاصة ، يستطاع الرجوع إليها فى يسر ، ولا تثقل المادة اللغوية المستخدمة فى الاستعمال العام والتى سيضمها المعجم الكبير .

---

(١) المعجم الكبير : المقدمة : و .

نهج المعجم الكبير وخصائصه :

١ - تبع المعجم الكبير فى ترتيب مواده طريقة أساس البلاغة للزمخشرى (٤٦٧ - ٥٣٨ هـ) . ففى القسم الأول من الجزء الأول ، نظمت المواد حسب الترتيب الهجائى المألوف (أ ب ت ث .. إلخ) وقد بدا من هذا القسم أن المعجم سيقسم أبوابا ، تبدأ بباب الهمزة ، وأن كل باب سيقسم فصولا حسب الحرف الثانى للمادة، وقد عبر المعجم عن فصول الباب بمثل ماعبر «المصباح المنير» ، فقال : الألف الممدودة ، الألف والباء، الألف والتاء : وهكذا . ونظمت المواد فى كل فصل حسب الحرف الثالث فالرابع، فالخامس ، فمادة : أبجد ، بعد مادة أ ب ج ومادة : أبذغ[1] بعد مادة : أبد ، وهكذا .

والحروف الأصلية للمادة هى أساس التنظيم السابق، فالكلمات الزائدة على ثلاثة أحرف لا تعتبر حروفها أصلية ، إذا تصرف العرب فيها بوسيلة من وسائل التصريف ، فالكلمات : أبراد[2] وأبرقات[3] وأبراق[4] تنظر فى : برد ، وبرق ، على التوالى ، والكلمات : أبجول[5] وأبجيج[6] وأبخاز[7] تأخذ مكانها بين مادتى : أبجد وأبخ[8] .

وصدر المعجم الحديث عن باب الألف بتعريف مطول بالهمزة، تناول مكانها من مدارج النطق وآراء العلماء فى رسمها وتسميتها وأقسامها (همزة الوصل، وهمزة القطع)، وأماكنها، ومواضع تحقيق الهمزة وتخفيفها، وأموراً أخرى كثيرة. واستغرق هذا التعريف

---

(١) اسم موضع .

(٢) اجبل . المعجم الكبير .

(٣) ماء لبنى جعفر بن كلاب . المعجم الكبير .

(٤) جبل . المعجم الكبير .

(٥) من قرى مركز السنطة بمديرية (محافظة) الغربية ، بمصر المعجم الكبير .

(٦) بجيمين بينهما ياء : ناحية بمركز قويسنا بمديرية (محافظة) المنوفية ، وكلتاهما من البلاد المصرية : المعجم الكبير .

(٧) ناحية من جبل (القبق) المتصل بباب الأبواب . (المعجم الكبير) . وأبخاز ، والقبق، وباب الأبواب: أماكن عند حدود أرمينية على بحر الخزر: انظر المواد فى : معجم البلدان ، لياقوت الحموى.

(٨) اللوم . أبخ = وبخ . المعجم الكبير .

اثنتين وثلاثين صفحة من القطع الكبير .

ويلاحظ أن هذه الصفحات الكثيرة عن « الألف » أهملت الحديث عنها فى اللغات السامية إلا فى كلمة خاطفة ، حين قالت : « فى الخطوط الآرامية : « الألف » فيها صورة للهمزة . كما هى فى أواخر كلماتها حرف مد [1] » .

ولكن المعجم عاد إليهامع غيرهامن سائر الحروف عندماتحدث عن مادة «أبجد»[2] » وهذا التعريف بالهمزة واقع موقعه من المعجم . ولعل سائر حروف الهجاء تنال هذا التعريف فى صدور مايخصها من الأبواب .

وقد سبق المعجم الكبير معاجم سلكت هذا المسلك مع إيجاز يتفق وخطة كل منها ، وماورد فى المعجم الكبير يتفق ومايرجى منه من وفاء .

٢ - والمعجم - يضع المادة ، موضوع الحديث فى صدر السطر ، بين هلالين . وبجوارها المعانى الرئيسية الكبرى التى يدور حولها استعمال المادة ومشتقاتها ، وصورها ثم يتناول هذه المعانى بالتفصيل والتحليل مع بعد آخر. ففى مادة أبد ، يوجز المعانى الكبرى فى صدر الحديث عنها ، هكذا :

(أبد)

١ - طول المدة .	٢ - كثرة الولادة .
٣ - التوحش .	٤ - العزوبة .
٥ - الغضب .	٦ - العيب .
٧ - مسميات .	٨ - أماكن .
٩ - أعلام .	

ثم يتناول كل معنى من هذه المعانى ، وأداء المادة له ومشتقاتها ، أو الصورة المأخوذة منها ، لها أو لألوانها ، بالتفصيل المعجمى ، حسبما رسم للمعجم الكبير .

٣ - ولعل أول مايتناوله فى صدر كل معنى توضيح الصلة التى تربط اللفظة فى العربية ، بنظيرها فى اللغات السامية ؛ ففى مادة آب ، بمعنى شهر ، يقول :

---

(١) المعجم الكبير : ١ . (٢) المعجم الكبير : ٧٧ - ٨٥ .

« هى الأكدية (abu : اب) : الشهر الخامس ، وفى العبرية المتأخرة .
والآرامية : אב (abu : آب) : شهر وفى السريانية . ܐܒ (abh : آب) : « الشهر ». وبهذا يوقف القارىء على أصالة هذه الكلمة فى اللغات السامية . وعلى الاتصال الوثيق بين العربية وأخواتها ، ويؤكد هذا برسم صورة الكلمة فى اللغات السامية لمن يعرفها ، ويقرنها بما يقابل النطق بها بالحروف اللاتينية ، ليتابعها من لايعرف الساميات .

والحديث عن أصل المادة فى اللغات السامية هام فى هذا المعجم . فإن العربية لم تنشأ مستقلة عن غيرها ، وإنما تربطها بمجموعة من اللغات مشتركة وإياها فى كثير من الخصائص ، روابط لايمكن تجاهلها ، وأنى لها أن تذكر وأن تتبع أصولها ونشأتها إذا لم يتوفر لها ذلك فى مثل المعجم الكبير !

ومن الواضح أن الصلة بين اللفظة والمعنى فى لغة ما لايتحتم أن يكون لها نظيرها فى أخت لها ، إلا إذا كانتا قد نشأتا معاً ، أو تجاورتا أو شبهتا فى ظروف البيئة التى عاشتها كل منهما . ومن ثم كان نهج المعجم فى الحديث عن دور اللفظة فى أداء معنى بعينه أو مايتصل به فى لغة من اللغات السامية ، وجمع مايماثله فى لغة أخرى منها ، ثم الانتقال إلى سائر المعانى ، بنفس النهج ، كان هذا أقرب إلى تنسيق المعانى ، وأنفى للخلط بينها ، وأقرب للوفاء بما يراد .

وفى اللفظة السابقة : آب بمعنى شهر ،يذكر سبب التسمية به عند الأكديين ، ويقول : قيل إنه سمى باسم القصب (آب : abh) الذى ينبت فى الماء ، إذ كان يقطع فى هذا الشهر لاستخدامه ، ثم يذكر مكان هذا الشهر بين شهور السنة ، فهو عند الأكديين الحادى عشر من الشهور السريانية والرومية وهى شهور شمسية ، وهى : تشرين الأول: أكتوبر ، تشرين الثانى ، نوفمبر ،كانون الأول : ديسمبر ، كانون الثانى : يناير. شُباط فبراير ، آذار : مارس : نيْسان : إبريل : آيار : مايو : حزيران : يونية : تموز : يوليه : آب : أغسطس : أيلول : سبتمبر .

ويستشهد على ورود لفظ: « آب » فى العربية بطائفة من النصوص . ثم يتحدث عن المعنى الرئيسى الثانى لمادة آب ، وأنه سميت بها مسميات ، وتأتى مركبة مع

غيرها فآب أنبار ، معناها : نبع ماء . وكذلك هو الخزان يحفظ فيه الماء عذبا ، وآب حياة، معناها : نبع الخلود. وآب دار ، معناها : الخادم الذى يقوم على الشراب ، وهذه التسميات منقولة عن الفارسية .

٣ - وكذلك يعنى المعجم برد الكلمات المأخوذة من لغات أجنبية ، قديمة أو حديثة، إلى أصولها الأجنبية ، ويمكن أن تلاحظ هذه الظاهرة بالرجوع إلى مواد المعجم .

٤ - وقد اهتم المعجم بالضبط واستخدم لذلك طريقتين ، إحداهما : الضبط برموز الحركات المعروفة ، والثانية : النص على نوع الضبط ، حسب نهج الأقدمين .

وإذا اختلف ضبط الكلمة عند السابقين ، نقل عنهم الضبط ، ونسبه إلى ذويه . مثال ذلك ما صنعه فى ضبط الكلمة : أذربيجان ، قال : « قال ياقوت » : هى بمد الهمزة وسكون الذال وكسر الراء ثم ياء ساكنة وباء موحدة مفتوحة وجيم وألف ونون ، عن المهلب ثم قال : ولا أعرف المهلب هذا » .

« وقيلت بالفتح ثم السكون وفتح الراء وكسر الباء الموحدة وياء ساكنة وجيم وبهذا جاء فى شعر الشماخ :

تذكرتها وقد حال دونها قرى أذربيجان المسالح والجالُ .

وفتح قوم الذال وسكنوا الراء » .

ويبدو أنه لم يترجح أحد هذه الأقوال عند القائمين بأمر المعجم فاكتفوا بنقل آراء السابقين . وهو أمر لابأس به عند فقد الدليل المقبول .

٥ - « ويذكر المعجم ماليس بد من ذكره من الأعلام ، ويفسره تفسيرا موجزا أو فى شيء من التبسط حسبما تقتضيه الحال » ففى مادة : « آبج » يعرف بالآبجى ، وهو «أبو عبدالله محمد بن مَحْمَويه بن مُسلم . روى عن أبيه وغيره ، وعنه أبو النضر الفقيه. أخرج حديثه الحاكم فى أماليه » .

وفى مادة : آبر ، يعرف بالآبرى ، وهو « الحافظ أبو الحسن محمد بن الحسين بن إبراهيم بن عاصم بن عبدالله السجستانى ، شيخ من أئمة الحديث ، يعد فى الحفاظ . له كتاب كبير فى أخبار الإمام أبى عبدالله محمد بن إدريس الشافعى . توفى سنة ثلاث وستين وثلثمائة » .

ولاشك أن مثل هذا التعريف بالأعلام مفيد ، وينبغى أن يبقى عليه المجمع .

بيد أن بعض النقاد يرون أن يكون هذا التعريف مرجزاً بقدر الإمكان ، وأن يشار إلى مراجعه من كتب التراجم والطبقات ليرجع إليها من يشاء .

٦ - وبنفس التقدير السابق يذكر المعجم أسماء البلاد فى شىء من الاقتصاد ، بحيث لايهمل مايتردد ذكره فى النصوص الأدبية من جهة ، وبحيث لايصبح المعجم معجما جغرافيا من جهة أخرى . ومن أمثلة ذلك ، ماذكر فى مادة : آمد ، بكسر ، الميم قال : « قال ياقوت : وماأظنها إلا لفظة رومية : أعظم مدن ديار بكر. وهو بلد قديم حصين على نهر دجلة ، محيط بأكثره مستدير به كالهلال ، وفتحت آمد فى سنة عشرين من الهجرة ، وفيها يقول عمرو بن مالك الزهرى التِّرمذى :

ألا للّـــه ليـــل لـــم تَنَمـــه	علـــى ذات الخضاب مُجنَّبينا
وليلتنـــا بـــآمـــدَ لم تَنَمْها	كليلتـــنا بميـــا فـــارقينـــا

٧ - والمعجم غنى بالشواهد والنصوص، يستمدها من كلام الله تعالى، ومواضع من حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ومن الشعر ، والنثر قديمهما وحديثهما. وهو يرتب هذه النصوص القديمة والحديثة ترتيبا تاريخيا بقدر الإمكان . ويلفت المجمع بهذا النهج ، نظر أهل اللغة والمهتمين بها ، إلى هدف هام يرجو تحقيقه وهو وضع معجم لغوى تاريخى للغة العربية .

المعجم الكبير فى ثوبه الجديد : تهيأ للمجمع اللغوى بالقاهرة ، بعد أن أصدر القسم الأول من الجزء الأول من المعجم الكبير أن يتلقى آراء المعنيين بالدراسات اللغوية فى هذا القسم ، الذى يُعد محاولة ناجحة لإصدارمعجم يفى بحاجات المثقفين ، وأفاد من هذه الآراء ، ومن إعادة النظر فيما صنع ، وأصدر فى ثوب جديد ، الجزء الأول من المعجم فى سنة ١٩٧٠ م متضمناً مواد « حرف الهمزة » .

والثوب الجديد لهذا المعجم هو الثوب الذى ارتضاه المجمع لإتمامه ، « فيه تأصيل وتحقيق ، وجمع واستيعاب ، ورجوع إلى المصادر الأولى ، وتعويل ماأمكن على النصوص الثابتة [١] » .

---

(١) إبراهيم مدكور : مقدمة المعجم الكبير : و .

وهو لهذا، ولأنه عمل جليل فى ميدان المعاجم العربية ، جاء ثمرة جهود جماعة ممتازة من العلماء لم تبخل بوقت أو جهد فى سبيله ، استحق أن يُقدم من جديد للدارسين .

والناظر فى المعجم الكبير فى ثوبه الجديد يجده قد أغفل تماماً تلك المقدمة التى قدمت بها تجربته الأولى ؛ ومبادئها وأفكارها لاتزال مرعية فى صورته الجديدة ، ثم هى أول تقديم يسجل جهد المجمع طوال سنوات مضت ، كان ينبغى الحفاظ عليه عند إصدار الصورة الجديدة ، كماكان ينبغى كذلك عدم إهمال بعض المادة اللغوية المفيدة التى زخرت بها بعض مواد المعجم فى تجربته الأولى، وخاصة أنهافى صميم المادة المعجمية.

وإذا كان إصدار المعجم فى ثوبه الجديد اقتضى إعادة صياغة المادة اللغوية مع الإبقاء على جوهر كثير منها ، فإن الإنصاف لجهد ضخم بذل ، يقتضى ألاّ يُعرض عنه لمجرد أن هناك صورة جديدة للمعجم يعكف المختصون على إصدارها، وتمكن ملاحظة ذلك فى كثير من مواد المعجم ، بل تمكن مقارنة حجم المعجم فى تجربته الأولى وهو متنه بمادة (أخى) بحجمه فى ثوبه الجديد الشامل جميع مواد حرف الهمزة [1] .

وفى الصورة الجديدة للمعجم ظاهرة تستحق إعادة النظر ، تلك هى عدم تسجيل الكلمات السامية ، بحروفها ، بدعوى « نقص هذه الحروف (فى المطبعة) ، وقلة الخبير بها » ؛ وكيف استطاع المجمع أن يوفر هذه الحروف فى تجربته الأولى ؟ لقد كان فى مكنته أن يدعم هذا الأمر ولايغفله ، قياسا على ماحرص عليه من تسجيله الكلمات اليونانية بحروفها ، واللغات السامية أولى بهذا الحرص للصلة الوثيقة بين العربية وأخواتها الساميات ، ولأن فى تسجيل الكلمات السامية بحروفها السامية تيسير أن يتفهم الدارسون المثقفون من أقرب سبيل هذه الصلة ويفيدوا منها ؛ ولأن الواقفين على إصدار المعجم تحملوا عبء وضع رموز الحركات السامية ، وهى كثيرة ، على الحروف اللاتينية ، وفى تسجيل الحروف السامية غناء علمى بديل من ذلك ، بل هو فى هذا المجال أصيل .

---

(١) يضم المعجم فى تجربته الأولى ٥١٩ صفحة وفى ثوبه الحديث ٧٠٠ صفحة .

هذا إلى وجود الخبيرين باللغات السامية من المجمعيين ومن أبنائهم الذين وقفوا على تسجيل الكلمات السامية الأولى ، وكانوا ، مستطيعين ذلك ، لو عهد إليهم فى الصورة الجديدة للمعجم .

ويسير المعجم على السنة التى ارتضاها المجمع فى التجربة الأولى ، « فيتابع العلم فى سيره وتطوره ، ويسجل لغته الخاصة ، وهى جزء من اللغة العامة » .وآية ذلك أنه يستخدم هذه اللغة فى تقديمه للمعجم ، فيقول : « ... يُبَستَر [1] »مثلا تعريفات علمية غاية فى الضبط والدقة ... » .

ولاأدرى إن كانت لفظة « يستصفى » ، مثلا يمكن أن تغنى غناء « يُبَسْتر » ، أو أن اللفظة الأخيرة لها إيحاء خاص !

واستخدامها ،على أى حال،دليل المعجميين على إمكان أن تندرج فى الاستعمال العام.

والمعجم فى ثوبه الجديد يستخدم « بقدَر ، الرسوم والصور والخرائط » ، وهو مالم يحدث فى التجربة الأولى .

ويتخذ المعجم وسيلة جديدة لتقريب مفهومات وحدات القياس القديمة مثل:المرحلة، والبريد ، والفرسخ ، والغلوة إلى وحدة الكيلومتر المألوفة [2] .

مثال ذلك ماذكره فى التعريف بمدينة آمل ، قال : « مدينة بطبرستان ، من بلاد فارس (إيران) على بعد ٢٤ كم من الشاطىء الجنوبى لبحر قزوين » .

وكان أوفق للعلم أن يقرن المعجم بين القياسين القديم ، ومايقابله من الجديد ، فيساعد بذلك قارىء الكتب القديمة التى استخدمت هذه الوحدات ولايباعد بينها وبينه ، خاصة

---

(١) يعود أصلها إلى لفظ Pasteur وهو اسم العالم الفرنسى الذى اكتشف طريقة التعقيم المنسوبة إليه وأخذ منه الفعل pasteurizee بمعنى يعقم . والمفهوم العلمى لهذه اللفظة وهو إيقاف نمو بعض الخلايا« البكتيرية » بتسخين « اللبن » لدرجة حرارة معينة (٦٠ درجة مئوية) ثم تبريده ، فجأة ، ثم انطلاق استعمال اللفظة علميا على تسخين أى سائل لدرجة غليانه ثم تبريده ، لاأظن أن شيئا قريبا منه يقصد من استخدام لفظة « يبستر » فى هذا الموضوع اللغوى .

(٢) إبراهيم مدكور : مقدمة المعجم الكبير .

أن مايقابل هذه الوحدات فى المفهوم الحديث معرض لأن يصطلح غيره بديلا منه، فالحياة متجددة متطورة دائماً .

والمعجم لم يصنع ذلك الصنيع فى وحدات الأوزان أو النقود مثلا، واستخدم الوحدات القديمة دون إشارة إلى مايقابلها فى العصر الحديث . مثال ذلك ماذكره فى مادة : إستار، قال :

الإستار : عملة يونانية قديمة كانت متفاوتة القيمة ، منها الذهبى والفضى ، اشتهر الفضى بوجه خاص ، وكان يساوى أربعة دراهم (drachms) ؛ وكذلك كانت قيمة الإستار السريانى .

و - (فى الوزن) : أربعة مثاقيل ونصف مثقال [1] .

وهذا النص يجمع الأمرين جميعاً ، عدم التعريف بقيمة الدرهم بمفهوم العصر الحاضر على التقريب ، وعدم التعريف بمفهوم وزن المثقال فى الحاضر ، كذلك .

وعسى أن يُعرض لأمثال هذا فى مكانه من المعجم .

ومن المفيد بعدئذ التمثيل بماذكره المعجم فى مادة منه ، لدراسة مايرد فى السطور السابقة من خصائص .

أ ب د :

(فى الحبشية abda أَبْدَ : ذهب عقله ، جُنَّ ، بَلِهَ وفى العبرية $\bar{a}\underline{b}\bar{a}\underline{d}$.

أَبَد : ضلّ طريقه ؛ ضاع ، فُقد ؛ هلك . وفى نقش ميشع المؤابىّ (س ٧) .

أ ب د بمعنى هلك . وفى الأوجاريتية abd أ ب د فى وزن افتعل [2] بمعنى هلك .

وفى تل العمارنة ٢٨٨ : ٥٢ a - ba - da - at أبدت : هلكت .

والمادة شائعة فى الآرامية دالة على معنى الضياع والهلاك ، وفى الأكدية a bā tu آباتُ : خرِب ، أهلك ؛ بقلب الدال الأصلية تاء) .

١ - التوحش . ٢ - طول المدة . ٣ - الغرابة والنُدرة .

قال ابن فارس : «الهمزة والباء والدال يدل بناؤها على طول المدة ،وعلى التوحش » .

* أبدت البهيمةُ ـُـ أبوداً : نفَرت وتوحّشتْ .

(١) المعجم الكبير : ١ / ٢٦٦ . ط . ١٩٧٠ .

(٢) هكذا فى المعجم ، ط . ١٩٧٠ .

و – الرجلُ : جاء بآبدة .
و – الشاعرُ : أتى فى شعره بأوابدَ ، أى غرائب لايعرف معناها بادىء الرأى .
و – بالمكان : أقام به ولم يبْرحه .
و – فلاناً : جاءه بآبدة .
* أبدَ – أبداً : توحّشَ ، قال أبو ذؤيب الهُذلىّ يذكر حمارا وحشيا :

فافْــتن بعــد تَمــام الظِّمء ناجيةً   مثـــل الهــراوة ثنْياً بَكرُهَا أبِدُ

[افتَنَّ : طرد أتُنَه . الظِّمء : وقت الورد . ناجية : سريعة . الثِّنْى : التى وضعت بَطنَين. والمراد : أنه يطرد أتانا سريعة ضامرة مع ولدها]
و – عليه : غضب
التحليل:
١ – ورد المقتبس السابق فى مادة : (أ ب د) من المعجم الكبير فى ثوبه الجديد ، من باب : « الهمزة والباء ومايثلثهما » . والترتيب فى المعجم صار على اعتبار الحرف الأول من حروف المادة الأصلية ثم الثانى ثم الثالث وهكذا ، على نهج الزمخشرى . وفى التجربة السابقة من المعجم وردت هذه المادة فى باب « الألف والباء » وبعض علماء اللغة يطلقون اسم « الألف » ليشمل « الهمزة » ، و« ألف المد » ، و « الألف اللينة » جميعا [1] .
٢ – وقد سبق هذه المادة من باب « الهمزة والباء ومايثلثهما » عدد من المواد يندرج تحت هذا الباب . ويلاحظ اختلاف وجهة النظر فى ترتيب مواد الباب فى نسختى المعجم. فالنسخة الحديثة من المعجم قدمت « الألف اللينة » ثالثة ، على « الهمزة » ثالثة . فالمواد : أبار ، أباض ، أباغ ، أبام ، أبان ، ذكرت هكذا سابقة على مادة : أب أ ، بينما ذكرت هذه المواد فى التجربة الأولى كمايلى : أبأ ، أبارق ، الأباصر ، أبَاض ، أباغ ، الأبالخ ، أبام ، أبان ، أبايض .

---

(١) واسم الحرف (ألف) قديم فى اللغات السامية : ففى العبرية אָלֶף (= آلف ('ālef) وفى السوريانية ܐܠܦ = آلِف ālef) وفى الإتيوبية አልፍ (=ألف alf) .

وأمر آخر تمكن ملاحظته فى المواد السابقة ، هو إغفال النسخة الجديدة لبعض ماذكر فى التجربة الأولى من مواد : أبارق ، الأباصر ، الأبالغ ، أبال ، أبايض . وقد حدث مثل هذا فى غير هذه المواضع : ففى باب « الألف الممدودة » من التجربة الأولى وردت المواد: آباد . آبادة . آباذة ، آبار الرتبة ، آبازة ، آبان ، آبج ، آبُر ، الآبرون ، آبسكون ، آبض ، آبكور : بينما أهملت فى النسخة الحديثة .

٣ - وقد وضعت حروف مادة « أ ب د » ، منفصلة هكذا فى وسط السطر ، وأعقبها تأصيلها فى اللغات السامية ، حسب النهج الذى ارتضاه المجمع أخيراً من التعبير عنها بحروف لاتينية .

وارتأى المجمع فى التجربة الأولى ألا يحشد المقارنات السامية وغيرها فى صدر المادة ، وإنما كان يذكر منها مايناسب المعنى الكلى الذى يعتزم الحديث عنه . مثال ذلك ماحدث فى مادة أبد ، فقد تعددت المعانى الكلية لها وبلغت تسعة معان ، صُدر الحديث عن كل منها بمايصلها باللغات السامية إن وجد فقال :

١ - طول المدة - العبرية : אָבָד (ā bh ā dh آباد) : دائما ، أبداً .

٢ - التوحش . الأكدية (abatu : آبتُ) اختفى . هرب . خرب . هلك الأوجريتية: (abd : أبد) : ضاع . العبرية :

אָבַד (adhadh : أبد) : ضاع . تاه . هلك . خسر. الآرامية :

אֲבַד (adhadh : أبد) : ضاع هلك السوريانية : ܐܒܰܕ

(ebadh) : إبد) : ضل . ضاع . عطب تلف . الحبشية : አበደ፡

(abda : أبد) . ضل . جن غضب .

وهكذا يصدّر كل معنى كلى بمايقابله فى اللغات السامية ، ثم يتبع بتفصيل الحديث عنه فى العربية . وربما كان هذا الصنيع أفضل لمعجم لغوى يحاول أن يصل اللغة العربية

بأخواتها الساميات ، أو بما أفاد منه لغات أخرى ، فيضع المقابلات القريبة لكل معنى على حدة دون حشد لها جميعاً فى وضع يضل فيه القارىء الوصول إلى مايغنى .

٤ - والمعانى الكلية لمادة . (أ ب د) التى تحدث عنها المعجم فى ثوبه الجديد بلغت ثلاثا هى :

١ - التوحش . ٢ - طول المدة .

٣ - الغرابة والندرة . بينما بلغت تسعاً فى التجربة الأولى . هى :

١ - طول المدة . ٢ - كثرة الولادة . ٣ - التوحش . ٤ - العزوبة .

٥ - الغضب . ٦ - العيب . ٧ - مسميات . ٨ - أماكن .

٩ - الأعلام .

ولم يغفل المعجم فى ثوبه الجديد ماعرضت له التجربة الأولى من المعانى الكلية ؛ فقد تناولها فى سياق الحديث عن مشتقات المادة .

وسبيل علاج هذه المعانى مختلف فى نهجى المعجم : ففى التجربة الأولى يخصّص لكل معنى كلى حديثا تتناول فيه مشتقات المادة فى مجاله ، ويستشهد لكل ذلك بنصوص ترتب ترتيبا تاريخيا بقدر الإمكان ؛ ويُعدل فى النهج الحديث عن ذلك ، فتعالج من البدء مشتقات المادة مع التنبيه إلى المعانى التى تفيدها .

مثال ذلك :

أَبَدت - أَبْداً : توحّش ، قال أبو ذؤيب الهذلى يذكر حماراً وحشياً :

فافتنَّ بعد تمام الظِّمء ناجيةً مثل الهِراوة ثِنْياً بكرها أبدُ

و - عليه : غضب .

ومثل : الأبد (من الحيوان) : المقيم بمكان لايبرح .

و - : الوَحْش يلزم البيداء ، وينفر من الناس .

وقال الجاحظ : الأبد : الذى إذا توحش لم يُقدرَ عليه إلا بعقر .

و - (من الطير) : المقيم بأرضه صيفه وشتاءه .

و - (من الإناث) : التى تلد كل عام ، يقال : أتان آبد ، وأمةٌ آبد .

ففى الفقرة السابقة عالج المعجم أكثر من معنى كلى ، ولم يخصّص أيا منها بعلاج مستقل كماصنعت التجربة الأولى .

ولجأ المعجم فى ثوبه الجديد إلى هذا النهج استجابة لمارآه بعض العلماء من خشيته أن يلحق المعجم بمعاجم المعانى التى تحشد فى موضع واحد ، الألفاظ التى تدور فى فلك معنى واحد ، ككتب الأقدمين التى تحدثت عن الكرم ، والنبات ، والشجر ، والمطر، والدارات .

بيد أن آخرين ينفون هذه الخشية ، فمايذكر هنا هو مشتقات مادة بعينها ، لامواد عديدة حشدت فى إطار معنى محدد، ولايزالون يجدون فى نهج التجربة الأولى للمعجم الكبير نفعاً كان ينبغى الإبقاء عليه .

٥ - وقصد المعجم أن يبدأ فى شرح المادة ذات المشتقات بالفعل ، وقدم الثلاثى منه على الرباعى ، والمجرد على المزيد، واللازم على المتعدى .

كماراعى فى الفعل الثلاثى المجرد أن يرتب وضع متعدد الأوزان منه حسب أبوابه السنة المعروفة :

١ - وزن فعَل يَفْعُل ، مثل : نصَر ينصُر .
٢ - وزن فعَل يفعِل ، مثل : ضرَب يضرِب .
٣ - وزن فَعَل يفْعَل ، مثل : منع يمنع .
٤ - وزن فَعِل يفْعَل ، مثل : فرِح يفرَح .
٥ - وزن فعُل يفعُل ، مثل : شرُف يشرُف .
٦ - وزن فعِل يفعِل ، مثل : حسب يحسِب .

كما راعى فىَ وضعَ الأفعال المزيدة تقديم المزيد بحرف ، ثم المزيد بحرفين ، ثم المزيد بثلاثة أحرف .

٦ - وفى المقتبس الذى صُدر به هذا الحديث ، تُشاهد طريقة المعجم فى الضبط وهو يلجأ إلى رموز الشكل لضبط عين الفعل المضارع ، يضعها فوق أو تحت خط أفقى صغير(ـَــُـ) . والتجربة الأولى للمعجم كانت تستخدم طريقة الأقدمين فى النص على نوع الضبط ، فتقول : بفتح أو بكسر أو بضم .. إلخ. وهذه الطريقة الأخيرة أمثل ، وأفضل منها أن يجمع بين الأمرين ، وبالتمثيل بألفاظ مشهورة ، صوناً للغة وحفاظاً عليها .

٧ - وسلك المعجم مسلك المعاجم الحديثة فى استخدام الرموز على ضآلة مااستخدمه منها: ويمكن أن يشار إليها فيمايلى :

١ - (*) - نجم مشع ، يسبق رأس الكلمة المفسرة .

٢ -(ـَـــُ) - خط أفقى صغير ، فوقه أو تحته ، رمز الشكل لبيان ضبط عين الفعل المضارع بالحركة أو الحركات التى يقبلها الفعل .

٣ - (◯) - دائرة صغيرة مفرغة ، قبل المادة الفرعية ، تمييزاً لها عن المادة الأصلية.

٤ - (و - :) - خط أفقى صغير مسبوق بحرف العطف (و) ، متبوع بنقطتين إحداهما فوق الأخرى ، للاستعاضة عن تكرار الكلمة المفسرة .

٥ - (ج) - لبيان الجمع .

٦ - [ ] - حاصرتان تحصران بينهما تفسيراً لماتقدمهما من لفظ غامض فى كلام أو شعر .

٧ - (ـ) - خط أفقى صغير ، للإشارة إلى أن المعنىٌ بالتفسير هو مايليه، أما ماقبله فقد ذكر لأنه مظنة الطلب لهذا التعبير .

والرمزان الأول (*) ، والثالث (◯) يمكن أن يوضح استخدام المعجم لهما بالمثال الآتى . من مادة : (أ س د) :

* أَسَدَ بين القوم - أَسْداً : أفسد .

* أَسِدَ - أَسَداً : شجُعَ فصار كالأسد .....

* آسَد إيساداً : أغرى ....

* تأَسَّدَ الرجلُ : شَجُعَ .

* استأسَد : صار كالأسَد .

* الأسَدُ : نوع من السباع ...

* وأَسَد : أبو قبيلة من مضر ...

* أَسَدُ بن عبدالله القَسْرىُ (١٢٠ هـ . = ٧٣٨ م .) : والى خراسان من قبل هشام بن عبدالملك (١٠٦ - ١٠٩ هـ) ، ثم (١١٧ - ١٢٠ هـ) .

فالنجم المشع (*) وضع قبل مشتقات المادة بالمفهوم الواسع لمعنى كلمة : «مشتقات» بينما استخدم الرمز (◯) للمدلولات التى يستخدم فيهامشتق بعينه ،

وكان من الممكن الاكتفاء بأحد هذين الرمزين .

تقدير المعجم :

إن محاولة إظهار « المعجم الكبير » التى يقدم عليها المجمع اللغوى بالقاهرة ، تستحق التقدير العظيم ، وينتظر الحريصون على اللغة العربية أن تجتمع الجهود وتتضافر حتى يتوالى ظهور أقسامه ، واحداً بعد آخر . وليس من المنتظر ، كمايقول المجمع ، بل ليس من الهام كذلك ، أن يعاصر الجيل الحاضر تمام هذا العمل فإن اللبنات التى توضع الآن فى البناء ستحفز الأبناء إلى تمام تشييده .

والإشارات التى تحدثت عنها هذه الصفحات توضح مدى مابذل من عناء وعناية ، ومدى ماأصاب القائمون على إصداره من توفيق .

واهتمام المعجم بتوضيح صلة اللغة العربية بأخواتها الساميات جدير بأن يضعه فى مكانة لم يسبق بها، وينبغى ألايضنّ المجمع بمزيد من إيضاح هذه الصلة .

وطبيعى أن المعجم يستمد مادته مماسبقه من كتب اللغويين ، وماسجل من ثروة يصعب أن يحاط بماهو موجود منها الآن ، ويتعذر بطريق أولى أن يحدس ماضاع من كنوز عدا عليها الزمن . ولعل شيئاً من هذا يجعل إصدار معجم تاريخى للغة العربية مهمة شاقة تحتاج إلى توزيع الأعباء ، و « تكليف » القادرين على أن يسهموا فى إعداده فى إطار نظيم .

واستمداد المعجم ثروته من منابع سابقة ، دعت إلى أن يشار إلى هذه المنابع ، بقدر الإمكان ، وهذه أمانة العلم تذكر للعلماء .

ومهما كان هناك من نقد، فالجهد المبذول ينبغى ألا يتوقف ، وعلى الأجيال القادمة أن تنقع وتضيف وتقوم ، وحسب الجيل الحاضر أن يشرع السبيل .

(٦)

الأستاذ طاهر
أحمد الزاوى
الطرابلسى

ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة

تمهيد :

لايزال اهتمام الناس بالتراث القديم وإحيائه دليلا على قيمته ومدى فائدته مدى الزمن. وقد بقى«القاموس المحيط» للفيروزابادي (٧٢٩-٨١٦ هـ) موضع اهتمام العلماء معاصريه، ومحدثين،لغزارة مادته، وحسن استمداده من مصادره، ووجازة أدائه.

غير أن نهج القاموس وترتيب أبوابه حسب الحرف الأخير من حروف المادة الأصلية، وتقسيم كل باب حسب الحرف الأول من الحروف الأصلية كذلك ، جعل المعجميين يحاولون بجهودهم ، تيسير الانتفاع بالمعاجم ، باختيار نهج أوفق وأسهل مأخذاً .

ولكن فى القاموس أموراً أخرى رآها « طاهر أحمد الزاوى الطرابلسى » مدعاة إلى العود إليه بإعادة التبويب والترتيب والتنبيه على مواد ذكرت فى سياق أخرى ، أو لوحظ بعض أجزائها لأنها مركبة تركيباً مزجياً فأدرجت في الأبواب تبعاً لها وأهملت أجزاؤها الباقية دون تنبيه القارئ، مقدما إلى هذا النهج وبيان أسبابه .

ورأى كذلك ،أن مادعاه إلى تناول القاموس المحيط بالتعديل ،وهو «من أصح ماألف فى اللغة العربية نقلا ، وأدقها وضعاً ، وأوسعها مادة [١] »،أموراً أوجزها فيمايلى :

١) أن القاموس المحيط قسم أبوابا نظراً للحروف الأخيرة الأصلية من الكلمة « حيث تكثر الحروف الزائدة ويصعب تمييز الأصلية من الزائدة [٢] » ، ثم قسمت الأبواب فصولا حسب الحرف الأول من المادة الأصلية كذلك .

وهذا النهج لفت أنظار العلماء من قبل ، فعدلوا عنه إلى النهج الذى يبين فى أساس

---

(١) طاهر الزاوى : مقدمة ترتيب القاموس المحيط .

(٢) نفس المصدر : ص : جـ .

البلاغة للزمخشرى (٤٦٧ - ٥٣٨ هـ) [١] ، وأراد طاهر الزاوى أن يضفى هذا النهج الجديد على « القاموس المحيط » ليزيد به النفع .

بيْد أنه ليس مسلماً ، ذلك التعليل الذى ساقه طاهر الزاوى تبريراً للنهج الجديد ؛ فقد عاب على الفيروزابادى ترتيب مواده على آخر الحروف ، معللا هذا النقد بقوله : « حيث تكثر الحروف الزائدة ، ويصعب تمييز الأصلى من الزائد » .

٢) واعتبار المعاجم العربية الحروف الأصلية للكلمة ، وإهمال الحروف الزائدة ، كان أحد الأسباب التى دعت طاهر الزاوى إلى ترتيب القاموس المحيط هذا الترتيب الجديد ، وقد ساق أمثلة شاركه فى الاستشهاد بها غيره ممن نقدوا القاموس المحيط ، وقال : « إذ كيف يعلم طالب العلم أن « يوسف » فى : أ س ف ، و :« إسرائيل » فى : س ر أ ، و :« فيروزابادى » فى ف ر ز ؟ وأنى له أن يدرك أن :« سيد »فى : س و د ، وأن « السَّنَةَ ، للعام » فى : س ن هـ ، وأن : « التوراة » فى : ورى ، وأن : «السنة ، للنعاس » فى : و س ن ...... مما ترتب على اعتبار الحروف الأصلية فى ترتيب الكلمات وإهمال الحروف الزائدة [٢] » ؟

وبعض هذه الأمثلة التى استشهد بها طاهر الزاوى ، من أصل غير عربى ، وتسجيلها : فى المعجم العربى يحتاج إلى توضيح مأخذها ودراية به ، وبعضها الآخر يتطلب الدراية بالتصرف وقواعده فى العربية وهو أمر لاغنى عنه للدارس العربى ولايصح عذراً فى هذا المجال ، مجال الحديث عن معجم شامل يفيد الخاصة كالقاموس المحيط ، وإنمايصح أن يوضع نصب العين عند وضع معجم يومى ، أو معجم لصغار الناشئين.

والاهتمام بأصول المادة ونفى الزائد منها فى ترتيب المعاجم العربية اللغوية ، وهو ماعابه طاهر الزاوى ، يساعد اللغويين فى التعرف على الصلة بين المعنى الأصلى والمعانى الفرعية الناشئة عن زيادة البنية ، كما يمكن من معرفة وجوه تصريفات المادة

---

(١) انظر الحديث عن الزمخشرى : ١١٣ من هذا الكتاب .

(٢) طاهر الزاوى . مقدمة ترتب القاموس المحيط .

ومشتقاتها والاستفادة من جميع ذلك عند وضع المصطلحات الجديدة لمسميات مبتكرات الحضارة . ومن واجب أمهات المعاجم ، والقاموس المحيط من بينها ، الحفاظ على هذه الجوانب جميعا.

ومن الملحوظ فى « ترتيب القاموس المحيط » أنه لم يستطع الالتزام بمبدئه الذى دعا إليه : فتتبع مزيدات المادة ، واعتبارُ حروف الكلمة المنطوق بها لافرق بين زائد منها وأصلى ، والتزام تسجيلها ، ثم الإشارة إلى أماكن علاجها من موادها الأصلية - مماشق على مصنف « ترتيب القاموس المحيط » ، كمايشق على المتصدين لوضع المعجم العربى .

نهج الكتاب وخصائصه :

(١) قسم المعجم إلى ثمانية وعشرين باباً ، بعدد حروف الهجاء ، ورعاية للحرف الأول من الكلمة ، بغض النظر عن أصلها ومزيدها ، وبعد تنحية أداة التعريف (أل) من مبدئها . ورتبت مواد كل باب حسب الحرف الثانى ، فالثالث، وهكذا ، مع إهمال حروف المد الناشئة عن مد الحركة . مثال ذلك : المواد الآتية فى باب الباء : البَبْر : سَبُعٌ . ج بُبور معرب / البابوس بباءين : ولد الناقة / البَبغاء ، وقد تشدد الباء الثانية : طائر أخضر . / بابَك كهاجر : ذاك الحرمى الذى كاد يستولى على الممالك كلها ، ثم قتل فى زمن المعتصم .

ويلاحظ أنه لم يخصص بابا للمنتهى بألف لينة ، كماصنع سابقوه من اللغويين ، كالجوهرى (٣٣٢ - ٣٩٨ هـ) فى صحاحه ، والرازى (ت بعد ٦٩١ هـ) فى مختاره ، والفيروزابادى (٧٢٩ - ٨١٦ هـ) فى قاموسه ، فالنهج الذى ارتآه سمح بإدراج مواد باب الألف اللينة من هذه المعجمات ، فى أبواب حروفها الأولى، ولهذا نجده يبدأ باب الهمزة بحديث عن الهمزة ، وهو الحديث الذى ذكره صاحب القاموس المحيط عنها فى باب الألف اللينة . وكذلك صنع فى سائر مواد هذا الباب .

(٢) لم يحدث طاهر الزاوى تغييراً فى المادة العلمية التى دونها الفيروزابادى ، ومن ثم لانجد هنا جديداً نذكره عنها ، أو عن الرسم الخاص الذى يصدر به المادة ، وتسلسل الحديث عن مجردها ومزيدها،وجامدها ومشتقاتها ، وأفعالها:لازمها ومتعديها. وأسمائها : إفراداً وجمعاً ، وصفاتها : إفراداً وجمعا، قياسيَّها ومسموعها .فجميع

ذلك لـم يستحدث فيه جديدا [1] غير أنه رأى أن يستفيد بانقله عن بعض المعقبين على القاموس، مثل السيد محمد مرتضى الحسينى (١١٤٥ - ١٠٢٥ هـ) ، فـى كتابه : تاج العروس ، وغيره ، فى تصحيح بعض أسماء البلدان . وأن يعتمد ماذهبوا إليه «بدون التنبيه على رأى المؤلف [2] » .

وكان من الأفضل ألايدمج هذه التصويبات فى عمل الفيروزابادى . وأن يدعها لإضافات فى ذيل صفحات الكتاب ، كماصنع حين نقل تصويبات وتعقيبات المحدثين .
وكذلك ارتضى طريقة الفيروزابادى فى ضبط الأسماء والأفعال ، وقد كانت فى حاجة شديدة إلى إدخال مزيد من التيسير عليها ، ولعله وجد من العناء الكبير ماصنعه من تعميم الضبط بالحركات لكل المادة العلمية فى القاموس ، وإنه ليحمل عبء هذا الضبط وحده ، ونرجو أن يكون قد لازمه كل التوفيق .

(٤) وقد أدى النهج الذى ارتآه الزاوى ، واهتمامه بذكر الكلمة فى موضعها من باب حرفها الأول ، ثم حسب سائر حروفها بغض النظر عن أصلها ومزيدها ،وكذلك مارآه من وضع كلمات أدرجها صاحب القاموس فى الحديث عن مادتها الأصلية حسب اعتباره هو، مماوجده الزاوى وغيره يشق على المستكشف .

أدى هذا النهج إلى تمييز هذه الكلمات الجديدة ، والتنبيه إلى أماكن البحث عنها، وذلك بأن وضعها فى بدء السطر ، بين حاصرتين [ ] يعقبهما ذكر المادة ، حروفا منفصلة . مثل ذلك : .. [بيروت] فى : ب ر ت ، و [بانقيا] فى : ن ق ى ، [المَجَوْج] فى ح ج ، و [حَجُوَر] فى : ح ج ر .

(*) ومـواد « القامـوس المحيـط » الواردة فى « صحاح » الجوهرى ، وضعهاطاهر الزاوى بين قوسين مسننين « » ووضع المواد التى زادها الفيروزابادى على مواد الجوهرى ، بين نجمين [3] * * ، مثل : البوطة بالضم : الذى يذيب فيه الصائغ .

---

(١) سبق أن تناولنا هذه الظواهر عند حديثنا عن «القاموس المحيط» ص٩٧ومابعدها .

(٢) طاهر الزاوى : مقدمة « ترتيب القاموس المحيط » .

(٣) كتب الفيروزابادى المواد التى زادها على مواد صحاح الجوهرى بالمداد الأحمر ، تمييزا لها عن المواد المشتركة فى الكتابين . وميز ناشرو القاموس هذه المواد المزيدة ، فأهملوا كتابتها بالمداد الأحمر ، واستعاضوا عن ذلك بوضع خط أفقى صغير فوق المادة المزيدة . أما المواد المشتركة فى الكتابين ، فوضعوها بين هلالين . انظر الحديث عن القاموس المحيط : ص : ٩٧ ومابعدها، من هذا الكتاب .

وبضع النجم ، كذلك ، فاصلا فى ثنايا شرح المادة ، كماصنع فى مادة بوطة ، قال : « وبويط كزبير - ة بمصر ، منها يوسف بن يحيى الإمام * وباط : افتقر بعد غنى ، وذل بعد عز * وبُواط كغراب : جبال جهينة على أبراد من المدينة ، منه غزوة بواط اعترض فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم لعير قريش » .

غير أن هناك مواد ذكرت فى صحاح الجوهرى ، ووضعها ناشرو القاموس المحيط بين قوسين ( ) ، وردت فى « ترتيب القاموس المحيط » بين نجمين ، مثل مادة :

* البدن * ممايشعر بأنها من مزيدات الفيروزابادى . ويبدو أن مثل هذا مما ند من قلم الزاوى غير متعمد له .

(٦) وتبع الزاوى ناشرى « القاموس المحيط » حين أبقوا على ماوجدوه مضبباً عليه (×) فى النسخة المقروءة على الفيروزابادى ، فوضعوه بين حرفى جيم ، فوقهما ثلاث نقط ، هكذا : ج .. ج ؛ وماوجدوه مشطوبا عليه ، وضعوه بين حرفى طاء ، هكـــــذا : ط . . . ط ومن ذلك :

ج * البابونج * زهرة م كثيرة النفع ج .

٧ - وكذلك أبقى الرموز التى ارتضاها صاحب القاموس ، وهى : م بمعنى معروف ، ع بمعنى : موضع ؛ ة بمعنى : قرية ؛ د بمعنى : بلد ؛ ج بمعنى : جمع ؛ جج بمعنى : جمع الجمع ؛ ولم يستحدث رموزا أخرى .

٨ - ومن المظاهر الجديرة بالتقدير فى ترتيب القاموس المحيط استخدام علامات الترقيم ، وهى بالإضافة إلى الضبط الكامل بالشكل ، من المزايا التى تعين القارىء وتيسر الانتفاع بمادته القيمة .

تقدير الكتاب :

لعل ماتقدم من حديث عن « ترتيب القامــوس المحــيط » على طريــقة المصبــاح المنيــر « وأساس البلاغة » أظهر مدى مابذله واضعه : طاهر أحمد الزاوى الطرابلسى ، من جهد مشكور فى إعادة تبويب وترتيب مواد « القاموس المحيط » للفيروزابادى، ونشره فى ثوب جديد ، وفق النهج الذى سبق به الزمخشرى (٤٦٧ - ٥٣٨ هـ :) فى « أساس البلاغة » ثم الفيـومى « (ت ٧٧٢ هـ) صاحب« المصباح المنير » ، وهما اللغويان اللذان حذا حذوهما الزاوى ، وحرص على أن يشير إليهما فى عنوان كتابه .

ومحاولة إبراز الكلمات التي رأى الزاوي صعوبة تعرّف القارىء على موضعها من مادتها ، لم تحتمل بناها بعد . فلاتزال هناك وفرة من الكلمات مندرجة في موادها، كانت تحتاج إلى إثبارها في مكانها من الترتيب الأبجدي الجديد مع عدم الاقتصار على التنبيه إلى مكانها من مادتها دون شرح معانيها، كماصنع فيما نص عليه . وكذلك كان من الصعب بمكان كبير تتبع المادة اللغوية الضخمة التي حواها القاموس المحيط، واستنباط ماكان يجب أن يسري عليه هذا المبدأ، ولو تم ذلك لجاء « ترتيب القاموس المحيط » في ثوب مختلف تماماً عن ثوبه الذي ظهر به .

وربما كان من الشاق كذلك ، الاستفادة بطاقات المطبعة الحديثة في إظهار « ترتيب القاموس المحيط » في مظهر المعاجم المعاصرة ، كالمنجد ، والمعجم الوسيط ، وهي الطاقات التي لفتت الطلاب إلى هذه المعاجم ، وليس ضآلة الجهد اللغوي وضعف الدراية بعلم الصرف وحدهما كمايشير الزاوي حين قال : « .. وكانت حاجتهم الملحة إلى تفهم مايعرض لهم من معان لغوية تدفعهم دائما إلى مراجعة المنجد وغيره من المؤلفات العصرية ، مع اقتناعهم بأن القاموس أوسع مادة ، وأصح متنا ، وأدق تعبيراً عن المعنى المطابق لمقاصد العرب ولطلاب العلم ، عذرهم في الانصراف عن مراجعته ، إذْ كيف يعلم طالب العلم أن « يوسف » في أ س ف ، و « إسرائيل » في : س ر أ ، و «فيروزابادي » في : ف ر ز .. » .

وبعد ، فإن كل جهد لغوي جديد مشكور ، لأنه يضيف ثروة إلى المكتبة العربية ويجدد شبابها ، ويلفت أنظار الدراسين باستمرار إلى ضرورة العناية بتراثهم القومي وإحيائه، والميادين مازالت قابلة لجهود كل رائد ، والمجالات أوسع من أن تضيق بأي بذل كريم .

هذا وقد صدر « ترتيب القاموس المحيط » على طريقة المصباح المنير و« أساس البلاغة » بالقاهرة في أربعة أجزاء ، ينتهي الجزء الأول منها بباب الحاء ، مادة : (حي) ، والجزء الثاني بباب الصاد ، مادة : (صيهم) . وطبع هذان الجزءان بمطبعة الاستقامة سنة ١٩٥٩ م . - وينتهي الجزء الثالث بباب القاف ، مادة (قيوان - ع باليمن ببلاد خولان) وطبع هو والجزء الرابع ، بمطبعة الرسالة سنة ١٩٥٩ م .



تمهيد :

ظل عهدنا بالمعاجم العربية حتى منتصف هذا القرن العشرين يتولى إعدادها، وجمع مادتها وتنظيمها ، ورسم المنهج الخاص بكل منها - العلماء العرب والمعنيون باللغة العربية وتدوينها ، ينهضون بكل ذلك فرادى لايستعين عالم بصديق أو زميل أو تلميذ ، حتى يفرغ منه وينشره أمام الناس . وجاء القرن العشرون ، وشهد فى منصرم الثلث الأول منه ، مولد مجمع اللغة العربية ، بالقاهرة، هيئة رسمية علمية تشرف عليها الدولة وترعاها، وتوفر لها سبل البحث والتنقيب ، وتستجيب لماتقترح ، وتسرع إلى ماتوصى به، وتضم إلى أعضائها العلماء الباحثين من شتى أقطار الأرض .

ومنذ أنشىء مجمع اللغة العربية عام ١٩٣٤م، وهو يعمل على «أن يحافظ على سلامة اللغة، وأن يجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون فى تقدمها، ملائمة لحاجات الحياة فى العصر الحاضر[1]» وكانت له بحوثه العميقة، ومصطلحاته اللغوية لشتى المجالات، نشرها تباعا فى مجلته الخاصة، وفى نشراته ،ومجموعاته ووضعها بين أيدى الناس .

وكان من بين أغراضه كذلك أن يقوم بوضع « معجم تاريخى للغة » ، يسجل تطورها فى شتى العصور . ورغب المستعرب الألمانى « فيشر »(١٨٦٥ - ١٩٤٩ م) أحد أعضاء المجمع فى وضع معجم يفى بهذه الناحية ، على غرار معجم أكسفورد، ولكن لم يتم له ذلك [2] ؛ فرأى المجمع أن يبذل محاولة تقرب من هذه الغاية بالتزامه جمع النصوص والشواهد اللغوية ، وترتيبها ترتيباً تاريخياً قدر الإمكان ، فى أول معجم يصدره المجمع : « المعجم الكبير » ، وذلك حتى يتيسر إخراج هذا المعجم التاريخى ، أمل اللغويين فى هذا العصر .

غير أن من يطلع على المعجم الكبير [3] الذى صدر أول قسم منه سنة ١٩٥٦ م ،

---

(١) مرسوم إنشاء المجمع سنة ١٩٣٤ م .

(٢) عمل فيشر نموذجا لمقترحاته بهذا الشأن ، عرضه على المجمع ونشر هذا النموذج سنة ١٩٥٠ .

(٣) انظر فيماسبق: الحديث عن المعجم الكبير ص : ١٥٥ .

يرى أنه غزير المادة ، غني بمقارنة اللغة العربية بأخواتها الساميات ، وبغيرها من اللغات الأجنبية ، مليء بالشواهد والنصوص ، وإن كان لايغفل متابعة تسجيل المادة اللغوية بعد عصور الاحتجاج اللغوى التي كان يقف عندها واضعو المعاجم العربية ، ومن ثم كان هذا المعجم أكثر وفاء بحاجات المتخصصين اللغويين منه بحاجات الراغبين في زاد سريع ، مافى هذا المعجم من تقرير صريح بأنه يفي بحاجات أوساط المثقفين .ومن ثم اتجهت الرغبة إلى إصدار « المعجم الوسيط » [1] ليلبي حاجات العصر ، على أن يكون « محكم الترتيب » ، واضح الأسلوب ، سهل التناول ، مشتملا على صور لكل مايحتاج شرحه إلى تصوير ، وعلى مصطلحات العلوم والفنون [2] »، وانتظم العمل لإعداد هذا المعجم منذ سنة ١٩٤٠ م ثم وكل المجمع أمر مراجعته وتهذيبه وتنسيقه ، إلى أربعة من أعضائه : فعكفوا ثلاث سنين على أداء ماوكل إليهم ، وأصدروه في جزءين ضخمين يقعان في ١٠٨١ صفحة ، يشتملان على نحو ٣٠ ألف مادة ، ومليون كلمة وستمائة صورة ، وصدر الجزء الأول منهما في سنة ١٣٨٠ هـ (سنة ١٩٦٠ م) وصدر الثاني في سنة ١٣٨١ هـ (١٩٦١ م .) .

منهج المعجم الوسيط :

١) يعد في مقدمة ماارتضاه المجمع لتبويب هذا المعجم ،تقسيمه إلى أبواب بعدد حروف الهجاء ، وباعتبار الحرف الأول من حروف المادة الأصلية ، فباب الهمزة يجمع المواد المبدوءة بالهمزة ، وباب الجيم يجمع المواد المبدوءة بالجيم وهكذا .

ثم يرتب مواد كل باب حسب الحرف الثاني من حروفها الأصلية .

ولايسمى المعجم هذا التبويب فصولا ، كماسمته بعض المعاجم ، وكذلك لايصنع مثلما صنع الفيومي في « المصباح » ، فيقول ، الجيم مع الباء ، الجيم مع الدال .. وهكذا ، ثم يلحظ بقية حروف المادة : الثالث ، فالرابع ، فالخامس .

ولايعدل المعجم عن الترتيب الهجائي المتداول : (أ / ب / ت / ث / ج . إلخ)، حتى مع الواو والياء ، فالهاء متقدمة على الواو في ترتيب الأبواب ، والفصول ، إذا

---

(١) وذلك حسب رغبة أبدتها إلى المجمع « وزارة المعارف العمومية » سنة ١٩٣٩ م . .

(٢) الدكتور إبراهيم مدكور : تصدير المعجم الوسيط .

اعتبرنا الحرف الثانى فصلا ، وفى ترتيب مواد كل فصل . مثال ذلك :

١) أ ن ق - أ ن م - أ ن ن - أ ن ى .

ب) أ هـ ب - .. - أ هـ ل - أ هـ هـ - أ هـ ى .

جـ) أ و - أ و ب - .. - أ و ن - أ و هـ (آ هـ) - أ و ى .

د) أ ى .

٢) صرح المعجم بأنه يعيد المادة إلى حروفها الأصلية ؛ فهناك كلمات صدرت بالتاء المبدلة من الواو إبدالا دائما ، كالتؤدة، وتجه ، وتقى، والتراث - هذه جعلت مع أصلها فى باب الواو .

وكذلك يضع المزيدات فى أبوابها الأصلية فتبحث عن : الكثيراء فى : كثر ، وعن المكثاف ، فى كثف : وعن : الميعاد ، فى : وعد .

٣) يسجل المعجم المواد اللغوية التى أنتجتها البيئات العربية فى شتى البقاع ، وعلى مدى العصور ، غير متقيد بماالتزمه المعجميون من قبل ، من التحرج من تسجيل المادة اللغوية للأمصار بعد القرن الثانى الهجرى وللبادية بعد القرن الرابع الهجرى ، ومن التزام حدود البيئة الضيقة لشبه الجزيرة العربية . وهو إذاً يسجل مظاهر التطور الحضارى والعمرانى ، ويضع بين أيدى أرباب البحوث والصناعات والحرف ثمرة ماتوصل إليه جهدهم معبراً عنه بهذه الثروة اللغوية ، وقد أعان المجمع وأعضاؤه ولجانه العديدة فى وضع هذه المصطلحات بعد صقلها بالصقال العربى ، وتطويعها ثم بإقرارها للتداول العام . مثال ذلك .

(الكبس) : سلك معدنى قابل للانصهار - يكون على مجرى تيار كهربى يذوب إذا زاد التيار .

(الكبيبة) : لحم يدق ويضاف إليه جريش الأرز أو القمح .

(العَتَلة) : عمود قصير من الحديد له رأس عريض يهدم به الحائط ويقلع به الشجر والحجر (جـ) عَتَل .

(العميد) : السيد المعتمد عليه فى الأمور . ومدير الكلية فى الجامعة ، ورتبة من الجيش والشرطة فوق العقيد ودون اللواء .

٤) ويستفيد المعجم من قرار المجمع : إطلاق القياس ، ليشمل ماقيس من قبل ومالم يُقسْ ؛ ذلك أن العلماء العرب ، وقد توصلوا إلى وضع مقاييس معتمدة على ملاحظاتهم التتبعية لمأثور الكلام ، كانوا يتحرجون من استخدام هذه المقاييس فى مداها الطليق ،مالم يسعف النص اللغوى المأثور ، فقرر المجمع استخدام هذه المقاييس فيمالم يسبق عن متقدمى العرب ليزيد ذلك فى ثروة اللغة ويفى بمطالب العصر . من ذلك :

١ - قياس صيغة المطاوعة من فَعْلَلَ وماألحق به ، بزيادة تاء فى أوله : تَفَعْلَل ، نحو دحرجته فتدحرج ؛ وكذلك من فعّل : تفعّل - نحو كسره ، فتكسر .

٢ - صوغ المصدر الصناعى بزيادة ياء مشددة وتاء فى آخر الاسم .

مثل : الحريّة ، الاشتراكية ؛ الإنسانية .

٣ - صوغ اسم الآلة على وزن مِفْعَل ، ومِفْعَال ، ومفعلَة ، من الفعل الثلاثى ؛ نحو منجَل . ومحرَاث ، ومخْرطَة . ويضاف إليها : فَعَّالة ، كخرَّاطة ، وسَمَّاعة .

٤ - قيَاس صوغ مَفْعَلة من أسماء الأعيان الثلاثية الأصول للدلالة على المكان الذى تكثر فيه هذه الأعيان ، سواء أكانت من الحيوان أم من الجماد ، كمَبْطَخَة للمكان الذى يكثر فيه البطِّيخ ، ومأسَدَة للمكان الذى تكثر فيه الأسد .

٥ - الحرص على الاستعانة بالرسوم والصور لتوضيح مايشرحه المعجم من نبات أو حيوان أو أشياء ، أخذاً بماهو متبع فى فن المعاجم الحديث .وقد سبقه فى هذه الناحية معجم « المنجد » للأب لويس معلوف اليسوعى (١٨٦٧ - ١٩٤٦ م .) وقد بلغ عدد الرسوم التى استعان بها المعجم نحو ستمائة صورة . مثال ذلك :

(الآس) : شجر دائم الخضرة بيضى الورق ، أبيض الزهر أو ورديّه ، عطرى ، وثمار لُبِّيَّه سود تؤكل غضّة وتجفف فتكون من التوابل . وهو من فصيلة الآسيَات . وبجوار هذا البيان رسم فرع نبات به بعض أوراق الآس .

ومثل :

(بيت الإبرة) : علبة صغيرة ، بها إبرة مغنطيسية ، تدور على محور دقيق ، يتجه رأسها نحو الشمال دائما تعرف بها الجهات . يلى ذلك رسم بيت الإبرة .



بيت الإبرة

٦ - ويلاحظ فى المثالين السابقين اختيار الأسلوب السهل فى التعريف بالمسميات، والعدول عن طريقة الأقدمين فى التعريف بمايحتاج إلى التعريف .

٧ - ومن أجل ذلك هجر المعجم الغريب الوحشىّ، والمستنكر ، والمهجور من المصطلحات ، بل ومن الألفاظ اللغوية كبعض أسماء الإبل وصفاتها وأدواتها وطرق علاجها ، ليُحلّ محلها ألفاظ ومصطلحات العصر .

٨ - وفى مجال التعريف بالأعلام ، عرض ماتدعو الضرورة إلى التعريف به فى اقتضاب وإيجاز ، مثال ذلك « تَأَبَّط شرًا » لقب ثابت بن جابر ، عَداء عربى جاهلى والنسبة إليه تأبَّطىّ .

وكان من بين دواعى تأليف هذا المعجم أن يعرف بالأعلام تعريفاً مركزاً موجزاً ، على مثال مايصنع معجم « لاروس » الفرنسى ، غير أن المجمع صرف النظر ألبتة منذ البدء عن هذا الهدف ، وسمح بأمثال هذه اللمع ترد فى ثنايا الكتاب .

٩ - لم يسرف فى استخدام الرموز بل استخدمها فى أضيق الحدود .

والرموز المستعملة فى هذا المعجم هى :

(١) (ج) : لبيان الجمع .

(٢) (ـُـَـ) . لبيان ضبط عين المضارع بالحركة التى توضع فوقها أو تحتها .

(٣) (و ـَـ) : للدلالة على تكرار الكلمة لمعنى جديد .

(٤) (مو) : للمولد ، وهو اللفظ الذى استعمله الناس قديماً بعد عصر الرواية .

(٥) (مع) : للمعرّب ، وهو اللفظ الأجنبى الذى غيره العرب بالنقص أو الزيادة أو القلب .

(٦) (د) الدخيل ، وهو اللفظ الأجنبى الذى دخل العربية دون تغيير ، كالأوكسجين والتليفون .

(٧) (مج) : للفظ للذى أقره مجمع اللغة العربية .

(٨) (محدثة) : للفظ الذى استعمله المحدثون فى العصر الحديث، وشاع فى الحياة العامة .

(١٠) يستعين المعجم فى شرحه الألفاظ بالنصوص المستمدة من الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة والأمثال العربية ، والمأثور من أساليب الفصحاء من الكتاب والشعراء وهذه النصوص تعد دون شك ، المصادر الأصيلة للغة . ومن أجل ذلك يستفيد المعجم بجهود اللغويين أصحاب الفضل الأول فى صون التراث العربى ،ويقبس منهم ، فى غير تقيد بحرفية مابه سبقوا أو تمسك به، ولكن فى تجديد صوغه بأسلوب يلائم روح العصر .

خصائص المعجم :

من الممكن أن يضاف إلى ماسبق من نقاط ، نقاط أخرى ، بعضها يعود إلى التنظيم والتنسيق الذى وضعت فيه المواد ، وبعضها يعود إلى طريقة علاج المواد وشرحها .

وسيتضح ذلك بتحليل المادة الآتية :

* (أ ب ّ) : للسير – أبًا و أبابا : تهيأ وتجهز .
و – إليه : اشتاق ونزع . و – على أعدائه : حمل عليهم حملة صادقة .
ويقال : أبّت أبابةُ الشىء : استقامت طريقته .
و – الشىء أبًا : قصده . ويقال : أ بّ أبّه : قصد قصده .
و – يده إلى سيفه : ردّها ليستله .
(ائتَبّ له) : أبّ .
(استأبّ) أباً ، اتخذ وانتسب إليه .
(تأبّب به) : فَخر بهَ .
(الأبابُ) : الماء الكثير .
(الأبابة) : داء يصيب الغريب ، وهو شدة حنينه إلى وطنه (مج) .
(الأبّ) : العُشْب : رطبه ويابسه . قال تعالى : (وفاكهة وأبًّا) .
وتقول : فلان راع له الحب وطاع له الأبُّ : زكا زرعه ، واتسع مرعاه .
و – لغة فى الأب .
(إبانُ) : الشىء : أوانه. لايستعمل إلا مضافا ، مثل إبان الفاكهة .

(أبيب) : الشهر الحادى عشر من السنة القبطية .

المناقشة :

١) يبحث عن المادة السابقة فى باب الهمزة ، مادة : أبَّ . وقد صدر المعجم باب الهمزة بالحديث عن حرف الهمزة : أول حروف الهجاء وعن أحوالها. من ورودها لينة ساكنة كألف قال ورمى . ويابسة متحركة كألف سأل وبدأ .

ثم تحدث عن استخدام الهمزة فى النداء والاستفهام ، ومثل لهذا الاستخدام .

والحديث عن حرف الهمزة كان وجيزاً ، على غير ماصنع « المعجم الكبير » ، الذى يصدره المجمع ، وعلى غير ماصنع الشرتونى فى : « أقرب الموارد » .

٢) وضع مادة : أ بَّ بين هلالين قبلهما نجم كثير الأشعة * فى مبدأ السطر ، وبعد الهلالين نقطتان ، بقصد الشرح والتفسير . ويلاحظ أن وضع النقطتين بعد الهلالين لايسير على وتيرة واحدة ، فتارة يضعهما بعد مايتصل بالمادة المطلوب شرحها من ألفاظ، مثل: «* (عجم) الحرفَ والكتابَ - عجماً: أزال إبهامه بالنقط والشكل». وتارة يضعهما عقب الهلالين مباشرة ، ويكررهما عقب مايتصل بالمادة من تكملة ، مثلما صنع فى هذه المادة :

* (أ بَّ) : للسير - أبًّا وأباباً تهيأ وتجهز .

وأحيانا يكتفى بوضعهما عقب مكملات المادة ولايضعهما بعد الهلالين .

مثال ذلك : « * (أبت) اليوم - أبتاً : اشتد حره » ويبدو أن هذا الموقف يحتاج إلى إعادة النظر عند إعادة النشر .

ويضع فروع المادة فى مبدأ السطر كذلك ، بين هلالين غير مسبوقين بالنجم . ووضع المادة فى أسلوب لبيان طريق استخدامها ، وتلون معناها بتغير وضعها فى الأساليب، ففى هذه المادة يقول : أب للسير أبًّا وأبابا : تهيأ وتجهز، وأب إليه : اشتاق ونزع .وأب على أعدائه : حمل عليهم حملة صادقة .

ومن أجل ذلك ومنعاً من تكرار المادة فى هذه الأساليب العديدة ، يضع خطيطا صغيرا مسبوقا بالحرف (و) كمابرى فى المثال السابق ومثل : (الإبرة) : أداة أحد طرفيها محدد والآخر مثقوب يخاط بها . و - من العقــرب أو النحلة : ماتلســع بــه ، و- من القرن : طرفه و - من المرفق : طرف العظم الناتىء عند ثنى الذراع .

ويضع نصوص القرآن الكريم ، المستشهد بها على المادة اللغوية ، بين قوسين مسننين، مثال ذلك مااستشهد به فى المادة السابقة من كلام الله تعالى : ﴿ وفاكهةً وأبًّا ﴾ ومايستشهد به من نصوص أدبية أخرى يضعه بين علامتى تنصيص مثال ذلك قوله: وفى الحديث « لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة » ؛ وفى المثل : « جرى المذكيات غلاب » و « أطمع من أشعب »« طمع أشعبى » ؛ وهكذا فى سائر المعجم .

٣) بدأ المعجم فى شرح المادة بالفعل، وقدم المجرد على المزيد إذا كان كل منهما مستعملا ، وكذلك قدم اللازم على المتعدى . وعمم القياس فى تعدية الفعل الثلاثى بالهمزة اتباعا لماقرره المجمع .

ويرتب الأفعال المزيدة ترتيبا هجائياً ، ويقدم مازيد فيه حرف ، ثم مازيد فيه حرفان ، ثم مازيد منه ثلاثة أحرف، والتزم فى هذه المزيدات تقديم بعض الأبنية على بعض ، ففى المزيد ، يرتب الأبنية كمايلى :

أفعل ، كأكرم ؛ فاعل ، كقاتل ؛ فعّل ، ككرّم .

ويرتب أبنية المزيد بحرفين هكذا .

افتعل ، كاشتق، انفعل، كانكسر، تفاعل، كتشاور؛ تفعّل، كتعلّم ؛ افعلّ، كاحمر.

وأبنية المزيد بثلاثة أحرف .

استفعل ، كاستغفر ، افعوعل ،كاعشوشب ؛ افعالّ ، كاحمارّ ؛ افعول ، كاجلوذ .

أما الأسماء فقد استخدم فيها الترتيب الهجائى السائد فى المعجم ؛ ففى مادة : عجم يذكر الأسماء المشتقة من المادة مرتبة هكذا :

الأعجم - الأعجمى - العُجام - المجامةُ - العَجم - العُجْم - العجماء - المعجم .

٤) وفى الثلاثى المجرد، تقيد بترتيب أفعاله حسب الأوزان الستة الآتية :

(ا) فعل - يفعُل ، كنصر ينصر .

(ب) فعل - يفعل ، كضرب يضرب .

(جـ) فعَل - يفعَل ، كفتح يفتح .

(د) فعل - يفعل ، كعلم يعلم .

(هـ) فعُل - يفعل كشرف يشرف .

(و) فعل - يفعل ، كحسب يحسب .

٥) اكتفى المعجم فى الضبط باستخدام رموز الشكل ، يضبط بها المادة المشروحة، والنصوص الأدبية . ولم يلجأ إلى النص على نوع الضبط كما تصنع المعاجم ، ومن بينها المعجم الكبير الذى يصدره المجمع ،حين تقول مثلا : بالضم أو بالفتح أو بالكسر . وكذلك لم يلجأ إلى التمثيل بألفاظ مشهورة ، كما كانت تصنع المعاجم أيضا .

ولضبط الفعل المضارع يضع خطيطا صغيرا يرسم فوقه أو تحته الشكل مثل : أبَّ للسير ـُـ أبًّا وأبَابًا : تهيأ وتجهز ؛ وأبت اليوم ـَ أبتاً : اشتد حره فهو أبت. وعَجَمَ الحرفَ والكتابَ ـُ عَجْماً : أزال إبهامه بالنقط والشكل ، وعَجُم فلان ـُ عُجمة : كان فى لسانه لُكنة .

ومع ثقة الناس بالقائمين على المعجم : جمعاً، وإعدادا ، وإخراجا ، وإشرافا على الطبع - كان يحسن بهم أن يستفيدوا من طريقة الأقدمين فى الضبط بالنص على نوع الضبط، وبالتمثيل بلفظ متداول مشهور أو بأحد الأمرين ، وكذلك فى الانتفاع بأمثلة بناء الثلاثى المجرد الستة التى مثلت بها لجنة المعجم ، صيانة للغة ورعاية للأجيال حين تريد إعادة طبع المعجم .

تقدير المعجم :

ينبغى أن يؤخذ فى الحسبان أن المعجم الوسيط ليس عمل فرد اضطلع بجمع مادته وإعدادها وتبويبها - حسبما أعد من تنظيم داخلى ، ورسم السبيل لإخراجه فى مظهر معين . وإنما هو عمل هيئة أشرفت على جميع ذلك ثم عهدت إلى لجنة خاصة من بينها لتتولى إعداده للنشر متقيدة بما رسم لها من منهج ، وما أعد من تخطيط .

وقد تقرر منذ البدء جمع الثروة اللغوية المأثورة والمستحدثة فى إطار واحد اهتماما بما أنتجته الثقافة والحضارة العربية على مدى العصور ، وحفاظا على جهد أمة ممتدة الرقعة فسيحة المكان مشاركة فى الإنتاج الحضارى من أن يضيع بدداً ، ويتفرق هباء خاصة أن الثروة اللغوية الجديدة تخضع غالبا للقياس العربى ، وتطوع غالبا كذلك لقواعد التعريب أولا تستعصى عليه .

ومن ثم وردت فى العبارات التى قُدِّم بها المعجم للناس ، الإشادة بانتصار المعجم على التقليد القديم الذى كان يقف بتدوين النتاج عند عصور الاحتجاج اللغوى ، ولابأس فى ذلك على ألا يكون فى هذا التقديم مايشعر بالثأر من الأجيال السابقة ، حين سجل المعجم ، الجديد من الثروة اللغوية . جاء فى تصدير المعجم : « .. وهو فوق كل هذا مجدد ومعاصر يضع ألفاظ القرن العشرين إلى جانب ألفاظ الجاهلية وصدر الإسلام ،

ويهدم الحدود الزمانية والمكانية التى أقيمت خطأ بين عصور اللغة المختلفة .. فيه ألفاظ حديثة ، ومصطلحات علمية لم يرض المجمع الفرنسى أن يدخلها فى معجمه إلا بعد مضى مائة سنة تقريبا من نشره، وفى الطبعة الرابعة .. » .

وإبطاء المجمع الفرنسى نحو مائة سنة قبل أن يرضى بتسجيل الثروات الجديدة ، حرص منه على أن يترك هذه الثروات بين أيدى الناس ، فإما أن يقدر لها الرضى بالبقاء أو تو، د بيد من لايرضون لها الحياة دون جدوى .

وقد تردد فى تقديم اللجنة للمعجم ، ألفاظ : « المعاصر » و « العصر » . ويبدو أن الحرص على مسايرة المعجم للعصر وجد منذ البدء فى إعداد المعجم ، ولذا وجدت اللجنة مندوحة فى إغفال مانصت على إغفاله أو أشارت إليه فى مقدمة المعجم .

ومع توفيق اللجنة فى هدفها ، كان يحسن ألاتستقل بذلك ؛ فالمعجم لهذا الجيل وللأجيال القادمة ، والمتردد على الاطلاع عليه لاينتمى إلى بيئة معينة ، ولاينتسب إلى ثقافة خاصة ، وإنما المعجم لجميع الناس فى شتى البيئات ، ولمختلفى الثقافات ، ومايترك الآن سيحتاج إليه غدا ، وكذلك مايسجل من مستحدثات لغة العصر سيتبدل فى مستقبل الأيام . وكان أفضل للمعجم أن يكتفى بتيسير التناول . وتسهيل التلقى، وإعادة صوغ العسير فى قالب يسير، مع الحفاظ على الثروة تراثا للأجيال. وفى وسع الجيل المقبل أن يعيد نشر المعجم: مضافا إليه الجديد فيبقى دائما متمشيا مع كل عصر.

وهناك بعض ملحوظات تتصل بالشكل وبالموضوع تعرضت لها الصفحات السابقة وتضاف إليها ملحوظة أخرى هى أنه أحيانا يشرح الشىء بمايعد أكثر غموضا منه مثال ذلك : ماذكره فى مادة : كثر ، قال : (الكثيراء) : نوع نبات من جنس الأسطر غالس من الفصيلة القرنية ، ولم تذكر فى المعجم مادة : الأسطر غالس حيث يتوقع أن تذكر .

وقد يحيل فى شرح المادة على ماذكره فى موضع آخر ثم يتبين خلافه .

مثال ذلك قوله : (الهيدكور) والهيدكورة : انظر : هـ د ك ر .وبالرجوع إلى المعجم تبين أن هذه المادة لم تسجل فى الموضع الذى حدد لها .

وبعد اللجوء إلى توضيح المسميات بالرسوم والصور عملا ييسر للباحث كثيراً من الصعاب ، ويساعد من يتصدى للترجمة على الوقوف على مايريد من أقرب سبيل .

وبعد .. فليست هذه آخر خطوة يخطوها المجمع فى ميدان المعاجم اللغوية ، ففى جعبته الكثير ومايتنظره الناس أكثر .

خاتمة

كان من المفيد أن نتناول هنا بشىء من الدرس : « المعجم اللغوى التاريخى » الذى كتب فيشر (١٨٦٥ - ١٩٤٩ م) نموذجاً منه ،نشره المجمع اللغوى بالقاهرة سنة ١٩٦٧ م .

غير أن هذا النموذج كان مجرد محاولة لكتابة معجم تاريخى للغة العربية ، تترقب الهيئات العلمية والدارسون صدوره ، ويبدو أن « المجمع اللغوى » لم يرسم ، بعد، الطريق الذى يخرج به مثل هذا المعجم إلى الوجود ، وعسى أن يخطو هذه الخطوة ، وأن يتيح للجيل الحاضر شرف الإسهام فى المراحل الأولى ، وماأبعد الوصول إلى إنجازها فى القريب .

ومـازال علـى « المجمـع » أن يعمـل على إظهـار معجـم صغـير « للجيب » ، يجيب تساؤل الشادين ، ويفى بحاجات العصر ، ويسمح بالوقوف على الثروة القديمة الصالحة للاستخدام المعاصر .

وأخيرا فإنى أرجو أن أقدم فى القريب إن شاء الله دراسة تحليلية لبعض « المعاجم المبوبة » ، تعرف الناس بها ، وتيسر سبيل الانتفاع بما فيها من ثروة موفورة الخير .

والله الموفق .

المراجع

١- إبراهيم أنيس(دكتور):	دلالة الألفاظ . ط . الأنجلو المصرية . ١٩٥٨ .
٢ - البلاذرى :	أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر: فتوح البلدان . ط . ليدن . ١٨٧٠ م .
٣ - ابن جرير الطبرى :	أبو جعفر محمد بن جرير : تاريخ الأمم والملوك . ط المطبعة الحسينية المصرية ، الطبعة الأولى .
٤ - ابن جنى :	أبو الفتح عثمان: الخصائص . ط . دار الكتب المصرية. ١٩٥٢ - ١٩٥٦ م .
٥ - ابن جنى :	سر صناعة الإعراب ، الجزء الأول . ط . مصطفى البابى الحلبى ١٩٥٤ م .
٦ - ابن حجر :	شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على بن محمد العسقلانى : تهذيب التهذيب . ط . حيدر أباد ١٣٢٥ هـ .
٧ - ابن حجر :	الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة ط حيدر أباد ١٣٤٩ هـ .
٨ - ابن خلدون :	عبدالرحمن بن محمد : مقدمة ابن خلدون ط. المطبعة الأزهرية بالقاهرة .
٩ - ابن دريد :	أبو بكر محمد بن الحسن : جمهرة اللغة .ط . حيدر أباد ١٣٤٦ هـ .
١٠ - ابن سعد :	عبدالله محمد بن سعد بن منيع الزهرى : الطبقات الكبرى . ليدن ١٣٢٠ - ١٣٢٥ هـ .
١١- ابن سلام :	أبو عبدالله محمد بن سلام الجمحى : طبقات فحول الشعراء دار لمعارف .
١٢ - ابن سيده :	أبو الحسن على بن إسماعيل الأندلسى : المخصص ط المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٣١٦ هـ .
١٣ - ابن العماد :	عبدالحى بن أحمد بن محمد أ و الفلاح الحنبلى:

	شذرات الذهب فى أخبار من ذهب . ط .مكتبة القدسى بالقاهرة ١٣٥٠ - ١٣٥١ هـ .
١٤ - ابن النديم :	محمد بن إسحق :الفهرست . ط الاستقامة بالقاهرة
١٥ - ابن فارس :	أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا : الصاحبى فى فقه اللغة ط المكتبة السلفيه بالقاهرة
١٦ - ابن فارس :	مقاييس اللغة ط عيسى البابى الحلبى . القاهرة ١٣٦٦ ١٣٧١ هـ .
١٧ - ابن مالك :	ابو عبد الله جمال الدين محمد بن مالك الطائى الأندلسى : تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد . تحقيق د . محمد كامل بركات ط . دار الكاتب العربى بالقاهرة ١٩٦٨ م .
١٨ - ابن منظور :	ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم : لسان العرب ط بيروت ١٩٥٥ - ١٩٥٦ م .
١٩ - أبو الطيب :	عبدالواحد اللغوى : شجر الدر : تحقيق الأستاذ محمد عبدالجواد . ط دار المعارف بمصر ١٩١٧ م
٢٠ - أبو الطيب :	مراتب النحويين ط .نهضة مصر بالقاهرة ١٩٥٥ م
٢١ - أحمد أمين :	فجرالإسلام . ط.لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٥
٢٢-أحمد عبدالغفور عطار:	مقدمة الصحاح للجوهرى . ط . دار الكتاب العربى بمصر ١٩٥٦ م .
٢٣ - الأزهرى :	محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة الهروى أبو منصور: التهذيب فى اللغة . ط الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٤ م .
٢٤ - برجشتراسر :	التطور النحوى للغة العربية ١٩٢٩ م .
٢٥ - بروكلمان : كارل :	تاريخ آداب اللغة العربية ترجمة الدكتور عبدالحليم النجار. ط . دار المعارف بالقاهرة .

٢٦ - بروكلمان :	Grundriss d . v . Gram d . sem . Sprachen ' Berlin , 1913
٢٧ - الثعالبى :	أبو منصور عبدالملك بن محمد يتيمة الدهر . ط . السعادة ١٩٥١ م .
٢٨ - جورجى زيدان :	تاريخ آداب اللغة العربية . ط . دار المعارف بالقاهرة ١٩٥٧ م .
٢٩ - الجوهرى :	أبو نصر إسماعيل بن حماد: تاج اللغة وصحاح العربية . ط دار الكتاب العربى ١٩٥٦ م .
٣٠ - حسين نصار (دكتور) :	المعجم العربى : نشأته وتطوره .
٣١ - الخليل بن أحمد :	كتاب العين . ط بغداد ١٩١٣ .
٣٢ - الخليل بن أحمد :	كتاب العين تحقيق دكتور عبدالله درويش .ط. العانى بغداد ١٩٦٧ م .
٣٣ - الرازى :	محمد بن أبى بكر بن عبدالقادر : مختار الصحاح ط المطبعة الحسينية المصرية ١٣٤٣هـ - ١٩٢٥
٣٤ - الرازى :	مختار الصحاح ط . المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٣٣٦هـ - ١٩١٨م
٣٥ - الرضى :	الإمام محمد رضى الدين بن الحسن الاستراباذى : شرح شافية ابن الحاجب ط حجازى بالقاهرة ١٣٥٦ - ١٣٥٨ هـ .
٣٦ - الزركلى :	خير الدين : الأعلام ط المطبعة العربية بمصر، ١٩٢٧ م
٣٧ - الزمخشرى :	أبو القاسم جار الله محمود بن عمر: أساس البلاغة
٣٨ - سيبويه :	الكتاب . ط . بيروت ١٩٦٧ م .
٣٩ - السيوطى :	جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر : بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة .

المؤلف	المرجع
	تحقيق أبو الفضل إبراهيم. ط عيسى الحلبى بالقاهرة.
٤٠ - السيوطى :	المزهر ط عيسى الحلبى بالقاهرة .
٤١ - الشرتونى :	سعيد بن عبدالله بن ميخائيل الخورى : أقرب الموارد فى فصح العربية والشوارد ط بيروت ١٨٨٩ م .
٤٢ - طاهر أحمد الزاوى الطرابلسى :	ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة . ط . الاستقامة بالقاهرة ١٩٥٩ م .
٤٣ - الفيروزابادي :	أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب : القاموس المحيط .
٤٤ - فيشر :	معجم فيشر : مقدمة ونموذج منه ١٩٥٠ م .
٤٥ - فيشر :	المعجم اللغوى التاريخى ١٩٦٧ م .
٤٦ - الفيومى :	أبو العباس أحمد بن محمد بن على: المصباح المنير .
٤٧ - القفطى :	جمال الدين أبو الحسن على بن يوسف . إنباء الرواة على أنباء النحاة . ط دار الكتب المصرية ١٩٥٠ م .
٤٨ - لويس معلوف اليسوعى (الأب) .	المنجد .
٤٩-المجمع اللغوى بالقاهرة:	المعجم الكبير: القسم الأول من الجزء الأول.١٩٥٦ م
٥٠-المجمع اللغوى بالقاهرة:	المعجم الكبير الجزء الأول . ١٩٧٠ م
٥١-المجمع اللغوى بالقاهرة:	المعجم الوسيط ، ١٩٦٠ - ١٩٦١ م .
٥٢-محمد الخضرى(الشيخ):	تاريخ التشريع الإسلامى . ط المكتبة التجارية الكبرى القاهرة ١٩٧٠ م .
٥٣ - مراد كامل (دكتور) :	نشأة الفعل الرباعى فى اللغات السامية الحية . ط . المعهد العلمى الفرنسى القاهرة ١٩٦٢ م .
٥٤ - ياقوت الحموى :	أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله ، شهاب الدين : معجم الأدباء . ط . دار المأمون ١٣٥٥ هـ .
٥٥ - ياقوت الحموى :	معجم البلدان . ط . السعادة ١٣٢٣ -١٣٢٤ هـ

الفهرست